

no. 37

ذِيوَانُ الْمُعْتَبَرِيْنَ

لِلْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلِ الْأَرْبَعِيِّ أَبِي هَادِلِ بْنِ سَيَابَةَ

٢-١

التأليف
مكتبة الاستاذ
بنسبة

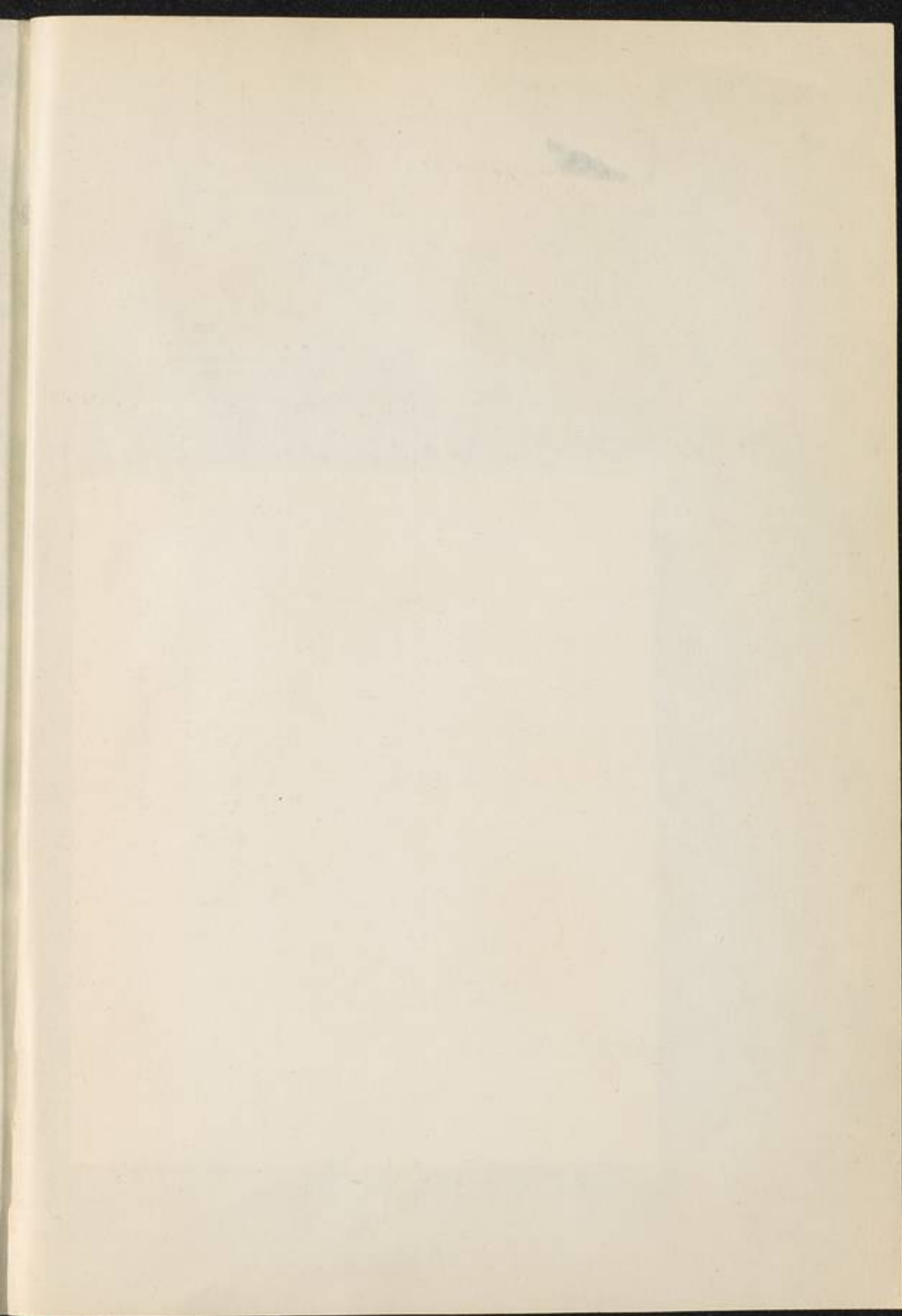


BORST LIBRARY
3 1142 00778 6307



DATE DUE

DATE DUE	
<p>REC'D OCT 9 1986</p> <p>FEB 13 1986</p> <p>70 WASHINGTON ST S NEW YORK N.Y. 10012</p>	<p>RECVL APR - 9 1983</p> <p>MAY - 2 1983</p> <p>GEAC N. Y. GEAC</p>



دِيْوَانُ الْمُعْكَانِي

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الإمامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي
الشنقيطي رحمهما الله ، الأولى في خزانة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة
وهي مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ،
والثانية في دار الكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المنحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو
المتفضل بالنظر في تصحيحه

عنيت بنشره

مَكْتَبَةُ الْقُدْسِ

لِصَيِّحِيهَا جَسَّامِ الدِّينِ الْقُدْسِيِّ

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

PJ
7631
A8
1970x
v.3-9
C.I

كلمة عن حياة المؤلف

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر
وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأنى عليه ووصفه بالعلم والفقه^(١) معاً ، وقال كان يتميزز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤالاتى عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢).

ومن حماته من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرى ! . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى نفسه :

قد تعاطاك شباب وتغشاك مشيب^١
فأنى ما ليس يمضى ومضى ما لا يؤوب^٢
فتأهب^٣ اسقام ليس بشفيه طيب^٤
لاتوهمه^٥ بميداً إنما الآتى قريب^٦

وبما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحى بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بنسبة قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيد ذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ العجمَ وحالى فيكم حالٌ من حاكٌ أو حجماً
فأين انتفاعى بالاصالةِ والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يبصرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلمَ
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الخنفي بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقِ أبيعٍ وأشترى دليلٌ على أن الأنا مَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ عنى رثائهُ كسوى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لقتنيه وصَلّى
لستُ أدرى أطلّ ليلى أم لا كيفَ بدرى بذاك من يتقلّى
لو نفرغتُ لاستظالةِ ليلى ولرعى النجومِ كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلّ ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيتُه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣)
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائهم ملبسى)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يتى ابن شاكِر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلعله اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب مانلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يباقي فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطَّ العسكريُّ أبي هلالٍ
فلو أني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونُ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأنا نبي السرورُ من كلِّ نحوٍ
إنَّ رُوحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورِ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهوامُ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوٍ
ريحه تُلمسُ الصدورَ فتشفي وغماماتهُ تصوبُ فتزوي
لستُ أنسى منه دَمائَةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضارةُ صحوٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببروٍ
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفوٍ
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلٍ وعلوٍ
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَةٌ جَوِّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تُلجج مثلَ ربطِ لبستهُ فوقَ فروٍ

فاستعار العراء^(١) منها لباساً
 فكان الكافور موضع ترب
 وليالٍ أطلت مدةً درسي
 مرّ لي بعضها بفقهِ وبعض
 وحديثٍ كأنه عقدُ ربيّاً
 في حديثِ الرجالِ روضةٌ أنس
 ومن شعره في ارتفاع السفل :

لا يفرنكمُ علوُّ لثيم
 فارتفاعُ القريقِ فيه فضوحٌ
 فملوُّ لا يُستحقُّ سفالٌ
 وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكالٌ

(١) في الأصل « العرار ». (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي فبخر منه يا ابن طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعلجه الشاعر
 قال كتب العنابي الى مالك بن طوف يستزيده ويستزيد به ويدعوه
 الى صلته الرحم والقرباه بينه وبينه وكان ما كتبت ان فراتك من
 قُرب منك خيرٌه وان ابن عمك من عم نفعه وان عيسر نكس
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اهدام بالمنفعه
 عليك وان اهدام الي مودتك من اهداك اليك ولا لا قول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القرباه لا تقرب قاطعا واذا الموده اقرب الانساب

قال ابو هلال رحمه الله

هذا الخبر ما راينا نفيحه هذا الكتاب وباب التوفيق

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده وبوجوب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبدع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عوادبها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فيج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وصميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطر كُحْداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلكُ فقد أبيتُ بعدى قوافي تُعجبُ المتمثلينا
 لذيات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يُلبَسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلاً
 تُتخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 أذً من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سماعِ الجليسِ وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعد الحميد وختمت بآين العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بمحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله: إن القوافي والمسامي لم تزل
 هي جوهرٌ نثرٌ فان ألفته
 في كل معترك وكل مقامة
 فاذا القصائد لم تكن خفراءها
 من أجل ذلك كانت العرب الأثلي
 وتند عندهم العلا الأعلى التي
 مثل النظم^(١) إذا أصاب فريدا
 بالشعر صارَ قلائداً وعُقودا
 يأخذن منها ذمّةً وعهودا
 لم ترضَ منها مشهداً مشهودا
 يدعون ذلك^(٢) سُؤدداً محدودا
 جعلت لها مُررُ القريض^(٣) قيودا
 قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فنند يعني أن خاطره بطيء ،
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الحجر فقال
 تعست العجلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) مئسلا
 غير فند أرسلوه قابساً
 متى يأتي غياثك من تغيث
 إذ بعثناه لحمل المشله^(٦)
 فتسوى حولا وسب العجله

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقبل أسرع من حداجة^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجنان » وهو اللواؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجتمع فيه
 المقدحة بالآتمة ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتردد بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداداً من عوز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداداً من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتألحنني قلت إنما ألحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فالفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل مأسدت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا يوم كريمة وسداد تغر
قال قبح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أئلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن بيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

- (١) القشف : رثابة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أستنها بنحري
- (٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفى سنة ١٢٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازعة
أى الوجوه اتجعت قلت لها
مستى يقبل صاحباً سرادقه
قد كنت أسامتُ فيك مقتبلاً
أقيم علينا يوماً فلم أقيم
وأى وجه إلا إلى الحكم
هذا ابن بيض بالباب يتيسم
فهاهنا اذحل أو قتي سلمى
فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أنصف بيت قاتله العرب قلت ابن غزوية المدني

حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً
وُميده بصرى وإن كان امراً
وأكون وإلى سره فأصونه
وإذا الحوادث أججت بسوامه^(١)
لمزاحم من خلفه وورائه
مسترحزاً في أرضه وسماه
حتى يحين على وقت أدائه
فكرت صحبختنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمي لتركب مركبا
صعباً قعدت له على سيائه^(٢)
وإذا رأيت له رداءً ناظراً
لم يلفني ممتنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أفنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من السرزق لنفسى فأجمل الطلبا
وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغبنا
والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضررنا
ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الأبل . (٢) السياء بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس . (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النيزي ، من معاصري جرير والفرزدق .

قد بُرِّقَ الخَافِقُ المَقِيمُ وما شَدَّ بَعَيْشٍ رَحَلًا ولا قَبَا
 وُيَحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو المَطِيَةِ والسَّرْحَلُ وَمَنْ لا يَزَالُ مُفْسِتَرِبًا
 فقال أحسن ماشاء ، ممالك يا نضر ؟ فقلت أريض لي بمرور أنصابها وأمددها قال
 ألا ^(١) نفيدك مع ذلك مالا ؟ قلت إني الى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب
 ولا أدري ما كتب ، قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن تترب ؟ قلت أتربه ،
 قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ،
 قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام اتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال
 لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يا نضر إن أمير
 المؤمنين أمر لك بنمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أ كذبه فقال
 لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
 وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لي الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفاده مني .
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلي قال
 حدثني أبي قال جرى في مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبيذ
 فأمرت أن يسأل أبو محم عن أحسن ما قيل في ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه
 قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن توبل العكلي ^(٢) :

وَفِيهِ كَالسَيُوفِ أَحْصَرَهُمْ لا حَصَرَ فِيهِمْ ولا بَخَلَ
 بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
 لا يَتَأَرَّوْنَ ^(٤) فِي المَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٍ أَنْ انزِلُوا نَزَلُوا
 لا يَبْعَثِرِي شَرِبْنَا اللِّجَاءَ وَقَدْ تُوْهِبُ فِينَا القِيَانُ وَالْحَلَلُ

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب ^(٥) أبا محم .

(١) في نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الإسلام كبيراً ،
 وكان وجيهاً جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تَأْرِي بالمكان : احتبس .
 (٥) في نسخة « ووصل » .

لحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقتة إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت بالاهتمام إليه حتى تهذب وتنقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال ما ألقي فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي ينزع إليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنعه ويدونه أو رياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتوانى المتهاون ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الذِّي قَاسَمُوهُ حَالِمٌ
 وقيل : وإن سيادة الأتقوام فأعلم لها صعداً مطاعها طويلٌ
 وقيل : إن السيادة والرياسة والعلى أعبأهن كما علمت يقال
 وقيل : وإن جسيات الأمور منسوطه بمسودعات في بطون الأشاود
 وقلت : * إن الأمور مريحها في التعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

ولم يتسهل للفتي درك العُلا إذا هولم يصبر على المتصعب

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ مراده منه وقيل :

طَوَامِسٌ لِي مِنْ دُونِهِمْ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
 بعيدٌ على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريبٌ
 والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا أني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا يجمع فنونه ويحوى ضروره ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعف الصحف غير مقنع بشئ الراغب ويكفي الطالب فجعمته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظاماً وثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يعمده والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : فى الخصال .

الباب الثالث : فى المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : فى ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والتلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتابة وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والمشيىب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولوه وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره فى صغره وكبره ولكن ينبغى أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه وينسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فمير بديع ولاقبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لايسلم منه
خَلقه وخَلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تحسب أمره معائب حتى البدر أكلف أسفع
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح يديت
قالته العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي بأقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمس^١ والملوك^(١) كواكب^٢ إذا طلعت لم يبدُ منهم^٣ كوكب
 ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
 إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
 الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
 الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
 النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
 ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُستردٌ ومَذْهَبٌ
 مُلُوكٌ^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
 كحكمتك في قوم أراك اصطفيتهم^(٣) فلم ترهم في شُكر ذلك أذنبوا
 يقول لآلئني على شكرى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
 أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
 أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبِقٍ أخاً لآلئهِ على شعثِ أئى الرجال المهذب
 فإن أكُ مظلوماً فعبد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
 يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك
 العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
 بأنك شمس^١ والملوك كواكب^٢ إذا طلعت لم يبدُ منهم^٣ كوكب
 يقول ما صلحت لى أنت فأنى لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة
 المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى في
 ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْسَنِي عَلَى مَالِكِ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلَ يَدْتِنَّا قَمَرُهُ مِنْ هُنَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ
يَجْلُو الدُّجَى فهُوَ يَمِينُنَا الْقَمَرُ

كَانَ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّتْ مِنْ يَمِينِهَا الْبَدْرُ

وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكُوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * أحكم في أمواهم وأقرب * قول الأشجع (١) :
لَا تَعْتَدُونِي فِي مَدِيحِي مَعَشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّحُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانِكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحظم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعد عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطالبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنذك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عنابتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،

وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد

أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده؟ قال خالد بن جعفر السكلابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرّك بك - وزكاة الجاه رفق المستعين وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطمة الأسباب حتى يحرك ذكرّاً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء بجري ذكرّاً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فإخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقاً بتأني الأمور^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللات والعزى لكان في أنظر إلى أملاك ذي رعين^(٢) وذى فائش^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرّاً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية امك ثم قال أيفأخرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أبهى من يومه ولقد ألك

(١) في نسخة « يتأني للامور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء الهمين

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أذواء الهمين ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمع من يمينه وأبعدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغفرك أبسط من شبره ولأمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجتهدٌ جَلَّتْ مالهَا حَصْرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّحٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَقَرِّهِ وَفِي الْوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر عثشي فنه دراً ، وقال للمثل هذا تراخ القلوب
ومثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيعحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
لعباس انى لا تعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوعى ضيغم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوَّلَهُ وَقَعُودِ
يُقَلِّبُ الْخَاطِطَ الْمَهَابَةَ يَتَنَبَّهُمْ عُيُونُ ظَبَايَا فِي قُلُوبِ أَسْوَدِ
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصْدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّمَامُ ^(٢)
ما زالَ يَفْتَنُ مَا لَا تَمَّ بِغَرْمِهِ مَا زَالَ لِلْمَسَالِ غَنَامًا وَغَرَامًا
أغر أربع يحكى الغيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجده ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرًا وضرغاما
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدركته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْنُونًا حَبَائِلُه والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصْرُفُه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وَفِعَلُه لكالدهرِ لا عاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة ، وأخذه أبو تمام فقال :
خَشَعُوا صَوْتُكَ التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عاد
فالقول همسٌ والنَّدَاءُ إشارة خوف انتقامك والحديثُ سراد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتُهُ في السماء المطامعُ
بلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح لأمع
وقال البحرى ^(٤) :

- (١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .
- (٢) يقول ابن خلسكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .
- (٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحرى - نسبة الى جد اسمه بحر - قال المبرد :
- أنشدنا شاعر دهره ونسيح وحده البحرى ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن لهمجدهم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قاتله العرب قول أبي الطمجان (١) :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم
نجوم سماء كلما انقض كوكب
دحى الليل حتى نظمت الجزع ثاقبه
بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود
تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيب (٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا
كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدججين أعتشوا (٣) بها
صد عن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفته في سواد إلا محاه ولا قابلت به ملأ

الإكفاء . ومثل قوله * صد عن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجيات

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعمت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى

القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الإسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو

حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغانى :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى

(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤا .

كأتما النجم حين قابله قبيعة (١) في نصاب مرآة
 وقلت: بليل كما ترُفُو الغزاة أسود
 كوا كبه زهر وُصفر كأنها
 وقلت: وذى غننج يأوى إلى فرعه الدجى
 وفيه ظلامٌ بالصباح مُقنعٌ
 ولكنها عن وجهه تتفرج
 وفيه ظلامٌ بالصباح متوج

وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط:

فتى لأبيالي المدجلون بنوره
 له حاجبٌ عن كل أمر يشينه
 إلى مابه ألا تضيء الكواكبُ
 وليس له عن طالب العرف حاجبُ
 وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنان
 لو أنك تستضيء بهم أضوا
 وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا
 كأن الثريا عُلقت في جبينه
 له سقاء لا تشق على البصر
 وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
 ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
 إذا قيلت العوراء غض كأنه
 ذليلٌ بلا ذلٍّ ولو شاء لاتصر
 ذليلٌ بلا ذلٍّ ولو شاء لاتصر
 وقول الآخر (٢):

إخترَ فناءَ بني عمرو فانهمُ
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا
 أو لو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 فالجهد يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
 كشفت أذمار سر غير امرارٍ
 هيئون ليئون أيسارٌ ذوو يسرٍ
 أربابٌ مكرمة أبناء إيسارٍ
 من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
 مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسفيينة: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتى.

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشهدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

إلى مُسْتَنبِرِ الْوَجْهِ طَالَ بِسُودٍ تَقَاصَرَ عَنْهُ الشَّاهِقُ الْمُتَطَاوِلُ
مَدَحْتِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَمِنْ مِدَاحِ الْأَقْوَامِ حَقٌّ وَبَاطِلُ
بِعَيْشِ النَّدَى مَادَمْتَ حَيًّا فَانْتَمَتْ فَلَيْسَ لِحَيٍّ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا لِأَمْرٍ عِنْدِي مُخَيَّلَةٌ نِعْمَةٌ سِوَاكَ وَقَدْ جَادَتْ عَلَى مَخَائِلِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لَوْ يَنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرَ السَّارِيَ لِأَبْنِي الْمَقَالِدَا

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أَنْتَ ابْنُ مُسْلَنْطَحِ الْبَطَاحِ وَلَمْ يَضْرِبْ عَلَيْكَ الْحَنِيَّ وَالْوَلِجِ
لَوْ قَلْتَ لِلسَّيْلِ دَعِ طَرِيقَكَ وَالسَّمُوجِ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَعْتَلِجِ
لَا رَتْدٌ أَوْ سَاخٌ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي جَانِبِ الْأَرْضِ عَنكَ مُنْعَرَجِ
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هيبه ولا مخافة ، والعرب تقول أجزأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراء فترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُيَسِّنُ أَبِي اسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الْعَلَاءِ وَقَامَتْ قَنَاءُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المري الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالغ في مدحه .

هو البحر من أي النواحي آتيته فُجِئَهُ المعروفُ والجودُ ساحله
 تعودَ بسطاً الكفَّ حتى لوانه أرادَ انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجارُ منك على صدى وكفُّكَ ببحرٍ جنةُ البحرِ ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجملون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سالتَ الورى عن كل مكرمةٍ لم تلفِ نسبتها إلا إلى الهولِ
 فتى جواداً أعادَ النيل نائله فالنَّيلُ يشكرُ منه كثرةَ النيلِ
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموتُ يرهبُ أن يلقىَ منيتهُ في شدةِ عندِ عندِ لطفِ الخليلِ بالليلِ
 لو عارض الشمسَ أتى الشمسَ مظلمةً أو زاحمَ الغيمِ ألجأها إلى الميلِ
 أو بارز الليلَ غطته قوادِمه دونَ القوافي كمثل الليلِ بالليلِ
 أمضى من النجمِ ان نابتةُ نائبةُ وعندَ أعدائه أجرى من السيلِ

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلِمَ الغيثَ الندى حتى إذا ما حكاها عامَ البأسِ الأسدُ
 فلهُ الغيثُ مُقرُّ بالندى وله الليثُ مُقرُّ بالجدِ

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل
والجبيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقترأ
أجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يفيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأسُ يقدم كل هادي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجدٍ ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
حلوا محامها من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يسلم في شعره » عاش

الى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،

يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب

فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب

موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدرس

عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثّلُ بينَ الرأسِ والذنبِ
ومنه قول الحطيئة :

قومٌ هم الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسوَّى بأنفِ الناقَةِ الذنبا
وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكلِ أرضٍ وأنتَ من فوقهم سماءُ
وقلت : أبشرفانك رأسٌ والعلاجسدُ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ
لولاك لم يكُ للأيامِ منقبةٌ تسمو إليها ولا للدهرِ مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بأسناد ذكره عن الهيثم بن عدى قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمر المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لى بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بنى الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يأمر
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كنفٌ امرىء متناولٍ بها المجد إلا حيثُ مانلت أطولُ
ولا تبلغ المهدون في القول مدحةً ولو أطنبوا إلا الذى فيك أفضلُ
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرفُ وانقطع الندى من الناس إلا في قلبٍ مُصرّد^(١)
وردت أ كفتُ السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلاف مجددٍ
وليس بحسن عندى أن يقال المسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بمرفٍ قرابةٌ ولم يبقَ في الدنيا رجاءٌ لنايلُ
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ الناس والشهرُ الحرامُ

(١) التصريد : التقليل .

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لولا أبو دُلف لم تحيي عارِفَةً ولم ينفوئو مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم وانخال
وناقِلُ الناس من عُدْمٍ إلى جِدَةٍ وصارفُ الدهرِ من حالٍ إلى حال
أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلَهَا وتُمْسِكُ الأرضَ عن حَسْفٍ وزِلزال
وما مَدَدتْ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قَضَيْتَ بآجالٍ وآمالٍ (٢)
تزور سخطاً فتمسى البيضُ راضيةً وتَسَهَّلُ فتبكي أوجهُ المال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء يباب المعتصم فقعدهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد:
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ (٣)
إن أخلفَ القطرُ لم يُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرُهُ ذكْرناه فَيَسْتَسِعِ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

تَلَامَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيْلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :

أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيْبًا لِأَيْنَسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

- (١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
العجلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .
(٢) في شذرات الذهب « لإقضيت بأرزاق وآجال » .
(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجودُ ويحصى عن ذِمَارِهِمْ وذا تعيشُ به الأَنْعَامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :
لم تزلْ للورى ثلاثُ شُموِسٍ وَجَهْكَ المستضىءُ والقمَرَانِ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير ^(١) :
تراهُ إذا ما جئتهُ مُتهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبى نوفل عمرو بن محمد الثقفى :
ولئن فرحت بما بُنيكُ إنه لما يُنيكُ من نداءهِ أفرحُ
ما زال يُعطينى ناطقاً أوساً كتنأ حتى ظننتُ أبا عقيلٍ يمزحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبى تمام :
أسائلُ نصرٍ لا تسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الأرفادِ منك إلى الرِّفدِ
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطينى حتى حسبت أنه يودعنى ، ونحو
ذلك أن الخجاج قال لاياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطانى
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائى فى خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوقَ المهورِ غرابةً ولا غالياتِ المالِ حلياً على نحرِ
فتى كان مكراماً لنفسِ كريمةٍ مهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ الغدرِ
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، وممن أبدع فى ذلك
البحترى فى قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً فوجهك دُونَ الرِّدِّ يكفى المسلما
ومن الجيد فى ذلك قول ابن الرومى :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبى سلمى المضرى ، قال ابن الأعرابى : كان زهير فى الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأَنَّمَا القَطْرُ مِنْ ندى يَدِهِ والبرقُ مِنْ إِشْرِهِ وَمِنْ ضَحْكِهِ
وقول أبي الأسد :

وَلَا نَمَّةَ لَا مَتَكَ يَا قَيْضُ فِي النَّدَى فَقَلْتُ لَهَا لَنْ يَقْدَحَ اللُّومُ فِي البَحْرِ
أَرَادَتْ لَتُنْثِي القَبْضَ عَن عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَالِذِي يَثْنِي السَّحَابَ عَن القَطْرِ
إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَائِحُ الطَّلَاقِ وَالبَشْرِ
لَهُ فِي بَنِي الحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا مَوَاقِعُ مَاءِ المَزِينِ فِي البَلَدِ القَفِيرِ
وقريب منه قول أبي تمام :

عَمِيدِي بِهِمْ تَسْتَنْبِرُ الأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَن غَطَارِفَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أَنْسِهَا جُمِعُ
وَقَلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَعَلِ إِلَيْهِ تَجِدُهُ البَشْرَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ
وَقَلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تورد وَفِي فَمِّ ضَحْكَ وَفِي وَجْهِهِ بَشْرُ
فَمِنْ يَكُ مَمْدُوحًا بِنِظْمِ يَصْوُغُهُ فَانْكَ مَمْدُوحٌ بِكَ النِّظْمُ وَالبَشْرُ
وقال البحتري :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ عَاقِبُهُ عَنهُ عَلُوٌّ لَمْ يَنْلَهُ الفِرْقَدُ
وَفُتُوَّةُ جَمْعِ التَّقِي أَطْرَافِهَا وَندَى أَحَاطَ بِجَانِبِيهِ السَّوْدُدُ ^(١)
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النِّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ لَدَوِي التَّوَسُّمُ فَهِيَ ^(٢) شَيْبٌ أَسْوَدُ
طَلَقُ اليَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ ^(٣) جَمْعُ العَلَا فِيهَا يَفِيدُ وَيَنْفَعُ
جَذْلَانُ ^(٤) يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّمَا غَنَاهُ مَالُكَ طَلِيءٌ أَوْ مَعْبِدُ
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « وندى أحاطها بماء السؤدد » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسّم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حلاً
من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد
ومن تواضعه للحق في صلب
كانه وهو مستولٌ وممدحٌ
غناه إسحق والأوتار في صخب
بهتر عطفاه عند الحمد يسمعه
من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض يشرفه
من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت: وقد يؤنس الزوار منك اذالتقوا
سخاء عليه للطلاقة شاهد
وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعبسا
كانك بالمنقاش تنف شاربه
وقد أحسن خطة في هذا المعنى أشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني
حاولت تنف الشعر من آنا فيهم
فم فاسقنيها بالكبير وغنني
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح
وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي
انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده)
وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة
المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خسير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع « موكلا » . (٢) هو جرير بن عطية الخططي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء:

فَقُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وقال في الاقتحار:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَسْمِهِمْ غَضَاباً

وقال في الغزل:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرَكْنَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى:

فَكَلِمَا أَزْدَادَتِ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقَوَّيْنَ عَلَى ضَعْفِ الْقُوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردتها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله:

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال:

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ يَبْغِضُهَا ذُبَاباً

وقالوا امدح بيت قاتله العرب قول حسان^(٢):

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تبحهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة عارض بها الدريدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة: فضل

حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث:

اتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخسير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكثر اثمهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمُ لا يفة حربٍ أولأى مكان
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

ومستنبج تستكشطُ الريحُ توبه ليسقط عنهم وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع نومُ
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أقيان المهين مطعمُ
يكادُ إذا ما بصرَ الضيفَ مُقبلا يكلمه من حبه وهو أعجمُ

وقال عمران بن عصام ، وروى لنصيب :

لعبدِ العزيزِ على قومِهِ وغيرهم من غامره
فبابك ألبنُ أبوايهم ودارك ماهولة طامره
وكلبك آانسُ بالمتعفينَ من الأمِّ بابتسها الزائره
وكعكك حين ترى السائلين أندى من الليلة المُمطره
فمنك العطاء ومنك البناء لكل مُحَبَّرة سائره

وقال الحطيئة في خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته كلابهمُ وضرَّ سوه بأنياب وأضراس

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سقى اللهُ القباب وتل عيدي وبالشرفين أيامَ القباب
وأيام لنا قصرت وطالت على فرعات نائمة الكلاب
وقال آخر : ومايكُ في من عيب فاني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إزانبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي الكنتاني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأنَّ الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عندَ الملوكِ مضرَّةٌ ومنافعٌ وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنَّه إذا نفي عنهم أن يضرُّوا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضرَّ فأبما يُراد الفتى كَمَا يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزُّزُ بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزان وإن ضيفَ ألمٌ فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبهم بدوراً وإن ركبوا فانهم حتوف
 وقال آخر : فذلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقفَ الأيامَ بالعتب والرضا على بذلِ مالٍ أو على حدِّ منصل
 وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها غمامةٌ غيثٌ أو ضبابةٌ قسطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو المعارضُ الشجاعُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها
 إذا ماتلظي في وغي أصعق العدى وإن فاض في أكرومة^(١) غمر الزبا
 رزينٌ إذا ما القومُ خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر آجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرومة »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مفضيا
 حرون^١ إذا عاززته في مله فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعداً وان كفل يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدی فی نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخمول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلحم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بنى الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد تزت على زياد مرة فظننته شيخاً يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقلبه خصي أصلع

وقد أحسن البحتری في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقوى^(٢) فله تقواه ولمجد سائره
 له البأس يخشى والساحة تُرجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقوى وصوته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلوا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى اللباب صغارها
 وكان ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كفل يقعد به العجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلما » .

طبيبٌ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناقُ فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي (١) قوله :

فنتي كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يبقى من المسالِ باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل (٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيضاء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد وبيله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفظنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك باقي أفك فرعونَ فيكمُ فان عصا موسى بكفَّ خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعونَ فيكمُ فباقي عصا موسى بكفَّ خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لأشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كانت أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفننته .
وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطراز الأولِ
يعشونَ حتى ماتهُمُ كلابُهُم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادتهم يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنةَ حولَ قبرِ أبيهم قبر ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
ثم قال : فلبثتُ أزماناً طويلاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتني بحب المجدِ يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فبن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل^(١)
وقال السموهلي : وأيامنا مشهورةٌ في عدونا لها غرٌّ معروفةٌ وججولُ
أراد بالفترة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوهِ لثيمةٌ أحسابهم فُطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرًا أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه^(٢) بمناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندبُ شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

بيكي فيذرى البعر من كوة ويلطم الشوك ييلوط
وأخذ حسان قوله * ثم اد كرت كأنى لم أفعل * من قول أبي كبير :
فأذن ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدج ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم^١ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وان كانت النماء^٢ فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبا لا ييكم^٣ من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
وبعدلنى أبناء^٤ سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
بسوسون أحلاماً بعيداً أاناتها وان غضبوا جاء الحفيظة^٥ والحد

ولعمري ان معانى هذه الأبيات أبتكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف
الهزل والمختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة فى بنى لأمى بن شماس من قريش ، وكان
الزبرقان بن بدر لقى الخطيئة فى سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان انى أريد وجهاً فصرت الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لأمى فسدوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد^٦ الى كل طنب من أطناب بيتك
حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدّم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريميون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجوا الزبرقان فقال :

أزمت^٧ ياساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالياس
دع المسكارم لا ترحل^٨ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يهدم جواريه لا يذهب^٩ العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بندي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوممه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتجدثينا
وقلت لامرأتي خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لي وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى مسبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر فيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذتَ أطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخف شتمى وأصبح آمناً لا يجرع
وكان الحطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الحطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أبخل من الحطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريباً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذةٌ غيرَ أنى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعمدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسكُ الماءَ الغرايبِلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمي قال أنشد الحطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كر ورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دَفَرٌ مثل الثيوس ونسوة ^(٣) مماجين مثل الآتن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لاجر » وفى ديوان الحطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قبيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بنى عمرو فاتهمُّ أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 إن يُسألوا الخيرَ يعطوه وإن جهدوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار مر غير أسرار^(٢)
 هيئون لينون أسرار ذرو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لاقيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبلج تأتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطمة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدي
 فقال أجب فهالنى ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلى مولاة فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت
 قائمه العرب فتعجرت ثم جرى على أسانى قول الخنساء :

وإنَّ صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو لنحارُ
 أغر أبلج تأتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتنى أبيات ابن مطير الاسدى :
 وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيرا ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) فى النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حالوتها تقى ويبقى مهرها
 ثم قال حدثني يامفضل فقلت أي الأحاديث يشتهى أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بمشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 مارضيت ان جعلت أباها جيلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الأورى خيار الناس كلهم وشرم لشرار الناس سواراً
 منه الذكر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي كالشمس لا تخفي بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لا أخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي واللداني
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم نداء أول والنيت ثاني
 ويجري والحجرة في عنان فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس بناي على ناي المحلة والمسكان
 إذا عبس الزمان فمل إليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للآذي وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فبتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
 أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوهِ بنى سنانٍ لو انك تستضيءُ بهم أضواؤا
لهم شمسُ النهارِ إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ العلى ومن حسب العشيرةِ حيث شاؤا
فلو أن السماءَ دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قاتله العرب قول الخطيئة :

متى تأته تمشو الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالتمثيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ماجاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسننا صفدى ولكن كنت لى مثلَ الربيع حياً وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العسلا فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كبُ مجد يعلم المجد أنها إذا طلعت باءت بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا ودل لك الدهر
فأنت كاقبال الشيبية والصبا تطيبُ بك الدنيا وينعمُ العمر
وليس كرامُ الناس إلا كوا كبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أمماد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليالها فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسمٍ فخرًا على المجد والعلا فان العلا روضٌ وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماءً مظلةً لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرٌ
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلاً بكفئك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجودَ لا يدنى من المرء حتفه كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك اللهُ ياتوب إنها لقاءُ المنايا دارعاً مثل حاسر
فنعَمَ فتى الدنيا وان كان فاجراً وفوقَ الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحياء من فتاة خريفة وأشجعَ من ليثٍ بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضعُ حاجةً بلبانٍ أخرى كذلك الحاجُ ترضعُ باللبانِ
يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها تنية رجع :

فأقسمُ أبكى بعد توبة هالكاً وأفعل من نالتُ صروفُ المقاديرِ
وكان بيت الأعمى :

تشبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلقُ

يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تآته تعشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعمى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدروح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانك راشدٌ وإنَّ على النارِ الندى وابن مائل

وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعدا لخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيحٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثياب العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثاً خلالٍ قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أبوجلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فإنه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخزوق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظرأه كأنما بعوراءِ عيني جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ

للحاسدِ النعمى على المحسود
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود

وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً

إذا أنتَ لم تدل عليها بحاسد
أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ

وسمعه يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدعان (١) :

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إن حبوته
وليس بشينٍ لامرئٍ بذلٌ وجهه

ينذل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
اليك كما بعضُ السؤال يشين

وقال زهير :

من يلق يوماً على علاته هريماً
لو نال حتى من الدنيا بمكرمة (٣)

يلق الساحة منه والندى خلقاً
أفق السماء لثالث كفه الاقفا
قد جعل المبتغون الخير في هريم
والسائلون الى أبوابه طرقا

وروى بعض الرواة للنايفة وروى لسعيد :

والله والله لنعم الفتى الا عرجُ لا النكس (٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمعروب والمرجل والجامل (٥)
والطاعنُ الطعنة يوم الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرجل والحامل » بمهملات .

والقائل القول الذي مثله
والذافرُ الذنبَ لأهل الحجا
وقال بمض الاسلاميين وأحسن :
مُخَلِّقَةٌ أَنَامِلُهُ لِقَائِمِ مُرْهَفِ
يلقى الرماحَ بوجهه وبصلده
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا
وإذا تأملَ شخصَ صَيفِ مُقْبِلِ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقُ
وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي حفصة (٢) في معن بن زائدة الشيباني (٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما
بهايلُ في الاسلام سادوا ولم يكن
همُ القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فعالمهم
ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادى مثلثة الراء مراعاة : أ كلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .
(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لأمده بقصيدته السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *
(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحِ الازمانِ
 معن بن زائدةَ الذي زيدت به شرفاً إلى شرفِ بنو شيبانِ
 مطر أبوك أبو الاهلةِ والذي بالسيفِ حاز هجائينَ النعمانِ
 نفسى فداءً أبي الوليدِ إذا علا رهجِ السنايكِ والرماحِ دوانى
 فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم أسودٌ لها في غيلِ خفانِ اشبلُ
 وأنشد الأبياتِ المتقدمةِ وزاد :

تشابهَ يوماً علينا فأشكلا فما نحن ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
 أيومِ نداهِ الغمر أم يومِ بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا أبو يوسف القاضى - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى بمثل قول القائل « بنو مطر يوم اللقاء كأنهم » وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخدا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يحمده الا جودان البحر والمطرُ
 وإن أضاءت لنا أنوارُ غرته تضاءل النيران الشمس والقمرُ
 وإن مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزير : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنيتين في تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدّ صوتته
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته
 سهل الخلائق إلا أنه حشن
 لا حية ذكر في مثل صوته
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا
 الجود منه عيان لا ارتياب به
 لم يدرما المزعجان الخوف والخذر
 فان أمر فلو عنده الصبر
 كين المهزة إلا أنه حجر
 ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكرك
 بالأمر رد إليه الرأي والنظر
 إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفره :

أوفوا من الجدير والعليا في قليل
 سبب اللقاء إذا شمت مخائهم
 محسدون ومن يعلق بحبلهم
 من البرية يصبح وهو محسود
 شيم قواعدهن البأس والجود
 بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنانها
 قليل إذا اعتل البخيل اعتلاها
 حواد إذا أعطتك يوماً يمينه
 وعدت غداً عادت عليك شماتها
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا
 وأحدأ سواك إلى المكازم ينسب
 أولاً فأرشدنا إلى من نذهب
 وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيكم بقية حتى قيس
 وهضبتة التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت
 وتمثلون أفعال السحاب
 يذكري مقامي في ذراكم
 مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعموك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مبداه ومحتضره
فاذا ولي أبو دلفٍ ولَّت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه
لدمامته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل اللظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعمطيك صدوراً لتردفاها بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشورٍ على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب
اهدام سيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه عليّ والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف^(١) ثم قال :

أشرقن في أسودَ ازرينَ به كان دُجَاه لهُوى البيضِ سبب^(٢)
فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميتٍ مطلبه فن الأدب
فنازل لم ينتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب
لم أرَ كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغضُّ ظلاً يُستلب
كان الشبابُ لمةً أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب
إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أطفاله مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقمـد في استقباله وهو على إرّهاقه وطيه
 تقولُ فيه جنبٌ إذا انثنى يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائثة حين خطا يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغُ الجهدَ به راكبه إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم تبعه وخلفَ الدهر على أعقابه
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسما كرونق السيف انبلاجاً بالندی
 لاوسنتُ عينٌ رأتُ غرتهُ لولا الأميرُ لغدونا هملاً
 ولم يقم بيأس يوم وندی تكادُ تبدى الارضُ ماأضمـره
 ويستهلُّ أملاً وخيفةً وهو وان كان ابنُ فرعى وأثلٍ
 وبعـلاه وعلا آبائه ويا واحد الدنيا ويا باب الندى
 بأعوحى دلفي المنسب كالماء جالت فيه ریح فاضطرب
 حتى إذا استدبرتهُ قلتُ أكب يقصرُ عنه الحزمان واللبب
 وهو كمثـل القدح مافيه جنب لم يتواكل عن شظا ولاعصب
 كأنها واطئةٌ على نكب أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 ويبلغُ الریح به حين طلب وان تظنى فوته الطرف لرب
 وكلُّ بُقيا فالى يوم عطب فى القدح فيه وارتجاع ماوهب
 ينهض به فراج هم وكرب أو كغراريه على أهل الرب
 واستيقظت نبوته من النوب لم يمثـل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهلَّ وجهه وان قطب فبسماعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب ويا مجير الرعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قريشٌ عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من مليء بالحجا لكنه غير مليء بالنشب
 وقرء بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف ^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته فلما بلغ قوله * لكنه غير مليء بالنشب * قال لا ملائى الله إن لم أملاك يا غلام كم فى بيت المال ؟ قال ما قبضته من طامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعنله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين ظهرانى قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال إليك عنى والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبى حفصة :

كنى القبائلَ معنٌ كلٌّ معضلةٌ يُحصى بها الدينُ أو يُرى بها الحسبُ
 كنز الحامدِ والتقوى ذخائرُه وليس من كنزه ^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهابُ الذى يرمى المدوِّبه فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القومُ الذين لهم فى كل يوم رهان تحرزُ القصب
 ان الفوارسَ من شيبانٍ قد عُرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جربَ الناسُ قبل اليوم أنهم أهلُ الخلويم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذى يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب

قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قومٌ لكى يُدركوهمُ فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح ^(٣) :

(١) عليه « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليله الوليد بن يزيد الأموى .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفك الله بالتمكرم والتقوى فنعلمو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عن مجد أو تعرض سُودد^١ تسامى له ضخمُ الهموم مُهمام
إذا اهتزَّ للبيجاء فهو مُهند^٢ أو اهتزَّ للافضال فهو غمام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعة^٣ وخفَّ على الأرواح وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو ألقىسه ساعة^٤ فيخصب لي طام^٥ ويمر طام
يريدون منه أن يرضن^٦ وإنما أرادوا مجود^٧ الغيم وهو ركام
ولا عيب فيه غير أن ذوى الندى^٨ خساس^٩ إذا قيسوا به ولثام
باغت من العلياء ما فاتهم^{١٠} ما كان لم يرومو ما بلغت وراموا
فمن مبلغ عنى الاكرام^{١١} انهم اذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت ركمت فقلت إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتى أمضى لثنائى مطلقاً فبليت بعدك بالنسا والأجدع
يامن يؤمل أن تكون خلاله كخلال عبد الله أنصت وأسمع
فلا نصحنك في المشورة والذي حجج الحجاج إليه فاقبل أودع
أصدق وعف وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر
الخراسي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا واسكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانه
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
 قلبه (١) فأتى بما لا ينطق (٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
 هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
 ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحترى :
 ذات حسن لو استزادت من الحُسن إليه لما أصابت مزيديا
 فوى الشمس بهجة والقضيب السلدن (٣) ليناً والرَّيم طرفاً وجيدا
 وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يحبي وعمرا وإياساً (٤) وطامراً ووليداً
 وعبيداً ومسرراً (٥) وجدياً وندولاً وبحترأً وعتوداً
 لم أدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
 وقلت في المديح :

حليفٌ علاءٌ ومجدٌ وفخرٌ وبأسٌ وجودٌ وخيرٌ وخير
 أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدر
 وقلت في المديح أيضاً :

من الفرّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
 ومن المديح البليغ قول الأوّل :
 متبذل في الحي وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
 وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
 ديوان البحترى «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحترى
 «أباناً» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسرراً» والتصحيح
 من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الأقدام أن يتطاولوا بلا منة أحسنت أن تتطولا
فعضمت عن ذلك التعظم منهم وأوصاك نبيل القدر أن تتنبلا
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا فخالك انحدار^(٢) وارتفاع^(٣)
كذلك الشمس تبعدان تسمى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحط ضوء البدر وارتفع البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الخازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٤) :

فقلدوا أمركم لله دركم ربح الذراع بأمر الحق^(٥) مضطلعا
لا مترقا أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكاد حشاه يحطم الصلعا
حتى استمر على شزر مريرته مستحكم الرأي لا قهما ولا ضرعا
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أخذان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزدد^(٧)
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعا» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلها الجرا» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هوازن ، كان شجاعا من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره «ويخرج منه صرة الفر جرة» .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كَيْشُ الْأَزَارِ خَارِجٌ نَصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْإِزَاءِ (١) طَلَعُ الْبُحْرِ
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِمَصِيبَاتِ حَافِظٍ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
إِذَا سَارَ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءِ تَزِينَتْ لِرُؤْيَتِهِ كَأَنَّ أُمَّمَ الْإِنْتِبَاحِ
فَلَا يَبْعَدُنكَ اللَّهُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَنْ يَعْلَمُ رُكْنَ مَنْ الْأَرْضِ يَبْعَدُ
مَوْضِعَ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ بَابِ الْمَرَأِيِّ وَأَمَّا أَوْرَدْتَهَا هُنَا لِأَنَّ قَوْلَهُ فِيهَا « قَلِيلُ التَّشْكِيِّ
لِمَصِيبَاتِ » شَبِيهٌ بِمَا تَقْدَمُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ : * وَلَا جَازِعَ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ *
وَمِنْ شِعْرِ الْحَدِيثَيْنِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَعَزَزْتُ بِالسَّبْعِ الَّذِي بَرَّئْتَهُ أَمْسَتْ وَأَصْبَحْتَ الثَّغُورُ عَزِيفًا
قَطَبُ الْخَشُونَةِ وَاللِّيَانِ بِنَفْسِهِ (٢) فَعَدَا جَلِيلًا فِي الْعَيُونِ لَطِيفًا
هَزَّتْهُ مَعْضَلَةُ الْأُمُورِ وَهَزَّهَا وَأَخِيفَ فِي ذَاتِ الْآكَلِ وَخِيفًا
بِقَطَّانٍ أَحْصَدَتْ التَّجَارِبَ جَزْمَهُ (٣) شَرَّرًا وَتَقَفَ عَزْمَهُ تَثْقِيفًا
وَسَلَّكَنْ مِنْ أَرَابِهِ الشَّعْلَ الَّتِي (٤) لَوْ أَنَّهُنَّ طَبَعْنَ كُنَّ سِيُوفًا
وَأَمَّا أَخَذَ وَصَفَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ دِيكَ الْجَنِّ وَكَانَ أَبُو تَمَامٍ كَثِيرَ الْإِنَاخَةِ
عَالِيَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ فِي مَرثِيَّتِهِ :

مَاءٌ مِنَ الْعِبْرَاتِ حَدَى أَرْضِهِ لَوْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ لَكَانَ هَزِيمًا
وَبَلَابِلٌ لَوْ أَنَّهُنَّ مَأْكَلٌ لَمْ تَخْطِئِ الْفَسْلِينَ وَالزَّقُومَا
وَكُرْمِي بَرٍّ وَعَسَى لَوْ أَنَّهُ ظَلَّ لَكَانَ الْحَرِّ وَالْيَحْمُومَا
وَنَقَلَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ أَنُو تَمَامٍ إِلَى مَوْضِعِ آخِرِ فَقَالَ :

مَطَرٌ مِنَ الْعِبْرَاتِ حَدَى أَرْضِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَمَقْلَتَايَ سَمَاوَهُ

(١) لعنه «الضراء» . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قَطَبُ الْخَشُونَةِ بِاللِّيَانِ مَعَاقِبًا فَعَدَا جَلِيلًا فِي الْقُلُوبِ لَطِيفًا

(٣) فِي الدِّيَوَانِ «عَقْدُهُ» . (٤) فِي الدِّيَوَانِ «وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشَّعْلَ الَّتِي» .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعاً
ومكارماً عتق النجار تليداً
متوقداً منه الزمان وربما
ووغى ومبدي غارة ومعيدا
تدمى وإن من السماح جوداً
إن كان هضب عمائتين تليدا
كان الزمان بأخرين بليدا

وقال البحترى :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتسكفا الناس شتى خيالهم
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جنان على ما جرت الحرب جامع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تذود الدنيا عنه نفس أبية
بعيد مقبل السر لا يدرك التي
ومنسكتهم التدبير ليس بظاهر
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحها إلا البحترى .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الخازم قول زينب بنت الطبرية :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه
وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

بِسْرُكٍ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرَّجَالُ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ الْإِمَامِ نَظِيرٌ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَمُخْلَقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواء في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

مَنْعَ الْحَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بِظُلِّ النَّدَى بِسَطْوِهَا وَيَسُورُ
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَجِّكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِيكَمَا فَذَا النَّدَى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ

خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّبْلِ حَتَّى كَأَنِّي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ

يُرُوحُ وَيَفْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرٌ

وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ بِمَكْتَرْتٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورٌ

يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدِهِ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي (١) :

أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفدو بمستن العيون مخجيا وأنتَ بعيب العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكماً الرأي مُستغن بوحده عن الرجال بريب الدهر مضطلعُ
يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذلك القسرى أحواضه ترع
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
لما أخذتُ بكفى حبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاعاً أمرٌ ذكرناه فيتسع
أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابى طلقاً استمر بمرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابى دواؤه معك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاعاً أمرٌ ذكرناه فيتسع
فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
إذا عرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وضرب الهمم

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جنته
إذا أيقظتك جسام الأمور
فنتى لا يبيت على رمة
يحب العطاء وسفك الدماء

وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدت خلا له
وقلت : كم غاية لكم تقاصر كونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت

وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
ودون علاهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمون على الأمر رأيه
وذوها جس لا يحجب الغيب دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التبعى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجى له نفساً ترسع بهمة
وأحسن مما قد (١) أمر وأضمر
إلى كل معروف وقلبا مطهر

(١) زدنا «قد» على النسخ لاقامة الوزن .

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لحوف الله أن يتكبّرا
 طويلُ نجادِ السيفِ مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وان شمّرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبهه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل التظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية الرصافي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرئداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مرمون يلعب سناناه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردت على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور يعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمن يا حضري فقلت وكيف يطمن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل بعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعولك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب الثار وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يماني
 وفي بهم حلاً وُجوداً وُسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوقفهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطوهم يداً وأعلاهم فغلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من كونه بسنان
كان المطايا والمنايا بكفه سبحان مقرونان مؤتلغان

فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واختط عارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أو طانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما بضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلست ثم قال يابى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أراده فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الظم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سرح
لى السلطان ما أملت فأنصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذهُ خارجه بن مديح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتبى الليلُ فى ظلماته زهروا

قومٌ إذا شومسوا لجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الآباءِ وان يأسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرج راھط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمةٍ
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
وكالسيفِ ان لا يئته لانَ منتهُ
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجرُ حُضنا بوجهه
دُجى الليلِ حتى يَسْتَنيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضىء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم
وان ناب خطبٌ أو ألت مُلمةٌ
كفى خابطاً الظلماءِ ضوءُ المصابيح
فكم ثمَّ من آسى جراحٍ وجراح
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :

ولأئمة لأمتك يا قيصُ في الندى
أرادت لتثنى الفيضَ عن عادة الندى
فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ في البلدِ القفرِ^(١)
ولا أعرف في معناها مثليها . وقلت :

تفضي مآربه من كلِّ فائدةٍ لكن من المجد ماتقضى مآربه
أفاده العزَّ آباءُ ذوو كرمٍ وزادهُ الخلقُ المحضِرُ جانبه
لقد فضلتَ كرامَ الناسِ كلِّهم فهم مناسمُ مَجْدِ أنت غاربه
يا ليتَ شعري هل يَسْطِيعُ شُكْرُكم دهرٌ مساعِكم فيه مَنَاقِبِه
وحينَ أَرْضِيتُم كُنتم نوافله وأنتم حينَ أسخَطتم نوائبه
منكم على الدهرِ عينٌ لا تناومه وللحوادثِ قِرْنٌ لا تقالبه

ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوکُ جدی جعفر ولا یصنعونَ كما یصنعُ
وكيف ینالونَ غایاتِه وهم یجمعونَ ولا یجمع
ولیس بأوسعهم فی الفنی ولكنَّ معروفَه أوسع
فما خلفه لامریء مطمعٌ ولا دونه لامریء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبی العز والفضل أن یوضعا
ولا یرفعُ الناسُ من حطه ولا یضعُ الناسُ من یرفعُ
رأیتُ الملوکَ تفضُ العیون إذا ما بدا الملكُ الاتلع
بديتهُ مثلُ تديره متى هجتهُ فهو مُستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الفنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جلتِ القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كلن أرحبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كلِّ خيرٍ منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلتِ إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامةٍ في نجد
فما يتغير من زمانٍ وأهله فما غير الأيامِ مجدكم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمى
حصص إلى منبج فقال :

جرى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمطِ إخوان السماحة والمجد
همُ حضرونى والمهامهُ بيننا كما ارفضَّ غيثٌ من تهامةٍ في نجد
إلا أن قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبداع وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمفري لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالايابِ
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحابِ
وأخذه أبو السمط بن أبى حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري نعمَ الغيثُ غيثُ أصابنا يفتدأ من أرضِ الجزيرة وأبله
ونعمَ الفتى والسدُّ بينى وبينه بسبعينَ ألفاً صبحتنى رسائله
فكنا كحى صبيح الغيثِ داره ولم يحتمل أظمانه وجمائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً ملدحة خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلى الترحيلا
وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توابة :
نفسى فداءً أبى العباس من رجل لم ينسنى قطُّ فى نأى ولا كشب

يقرى وبالرقّة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من مجهم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النسب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فاتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأة والشام بيني وبينه أنتى يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمنُ البيضاء بعدك فاتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاء ما بفرح نائله
 ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :

أسدٌ صار إذا هيجته وأبٌ برَّ إذا ما قدرا
 يعلمُ الأبعد إن أترى ولا يعلمُ الأذنى إذا ما افتقرا

ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأعمار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وجفاه القريب وأسله البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازى
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنة في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة من الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فِرَارَةٌ بَيْتُ الْمَجْدِ وَالْعَزِّ فِيهِمْ فِرَارَةٌ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ فَعَالِهَا
لِهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالشَّرْفُ الَّذِي بَنَاهُ لَقَيْسٌ فِي الْقَدِيمِ رَجَائِهَا
وَهَلْ أَحَدٌ أَنْ مَدَّ يَوْمًا بَأَنفِهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَنَالِهَا
لِبَهِيَّاتِ مَا عَيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ مَا تَرَى قَيْسٍ وَاعْتَلَاهَا خِصَالِهَا

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حدائنة سنك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فقبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شبتته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكله ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقتك لسانك وإلا فاستمن على اصلاحه يبعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

أَلَمْ تَرَ مَفْتَاخَ الْفَوَادِ لِسَانَهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْفِيَمِ
وَكُلَّنْ تَرَى مِنْ صَامِتِكَ مُعْجَبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلِّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فَوَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

ومن بارع المديح :

وَلِي مِنْكَ مَوْعِدٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَخْلَفُ ^(٣) الدَّهْرَ مَوْعِدًا
وَعَوَّدَتْنِي أَنْ لَا تَزَالَ تُظَلِّقُنِي يَدُ مَنْكَ قَدْ قَدَّمَتْ مِنْ قَبْلِهَا يَدًا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكل : الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً نخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخدداً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصّولي عن أبي العيناء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرَكٌ أَيْ جِنَةٌ خَائِفٌ وَمَتَاعٌ دُنْيَا أَنْتَ فِي الْحَدِيثَانِ
مَتَخَمَطٌ يَطَأُ الرَّجَالَ غَلْبَةً (١) وَطَأَ الْفَنِيْقُ (٢) دَوَارِحَ الْقِرْدَانِ
وَتَفْرَجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رَتَاؤُهُ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ بَابَانِ
وَتَبِعَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ فِي ابْنِ أَبِي دَاوُدَ :

فَلْتَبِكِ الْإِحْسَابُ أَيْ حَيَاةٌ وَحَيَاةٌ أَرْزَمَةٌ وَحَيَاةٌ وَادٍ
طَائِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ اللَّوْمِ (٣) إِلَّا مِنْ مَقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نَجَادٍ
وَمِنْ أَجُودٍ مَاقِيلٍ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ قَوْلُ كِشَاخِمِ :

وَمَهْذَبِ الْأَلْفَاظِ مَنطِقُهُ مَافِيهِ مِنْ خَطَلٍ وَلَا مَيِّنِ
مَا شِئْتُ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ شِيمٍ مَافِي مَحَاسِنِهِنَّ مِنْ شَيْنِ
مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

قد أحسن وظرف ولم يقصر في تفليل الحز واطصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب مُنفردَ العلا والمكرمات ويا كثير الحاسدِ
شخص الانام الى كالك فاستعد من شر أعينهم بعيب واحدِ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لَا يَسْتَطِيعُكَ بِالتَّنْقِصِ حَادِثٌ وَأَبَى لَكَ التَّكْمِيلُ أَنْ تَتَزَيَّدَا
وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَحَوْتُ مُحَمَّدَ فِي النَّائِبَاتِ كَمَا دَعَوْتُ مُحَمَّدَا
فَطَلَعْتَ كَالسَّيْفِ الْحَسَامِ مَجْرَدًا لِلْحَقِّ أَوْ مِثْلِ الْهَلَالِ مَجْدَدَا

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضمهتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المسكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف جرد في الوغي
 ومن أبلغ المديح :
 إن الزمان مبيض ماسودا
 وأخذ في الهيجا ورد إلى الغمد
 بديته وفكرته سواء
 وصدر فيه لهم اتساع
 ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 إذا مانابه الخطب الكبير
 إذا ضاقت من الهم الصدور
 أخذوا النبوة والخلافة واثنوا
 وإذا قرئ فضلتك فضلتها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن
 لو سارت الأيام في مسعاتهم
 رفعتهم الآيات في تنزيلها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
 وقلت : لئن قلَّ أرباب المكارم والعلا
 يذكرني جود الغنائم جوده
 تخال به بدرًا مع الليل باهرًا
 يدبيل من الأيام والدهر منصف
 يبرز من الانجناد كل مساور
 بخلق كمن الصخر في كف لأمس
 ورأى كصدر الراغية شارخ
 على بلدة يسقى الصراغم ملؤها
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لعمياشٍ خلائفاً لم تسكن
له كرمٌ لو كان في الماء لم يفيض
أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٍ
يهوئك أن تلقاه في صدرٍ محفلٍ
وماضيق أخطار البلاد أضاقني
وهذي ثياب المدح فاجرٌ ذبولها
وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وفية من حير حمر الظبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت : ما المجدُ الا سماءُ أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقه
بالعقد تحكمه والأمر تبرمه
بيض العطايا حين يسود الأمل
وأسد موت بين غابات أسل
والجود إلا غمام أنت سلسله
وكل فاضل حزب أنت تفضله
والعرض تمنه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العكلى حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
طابت وبك كملت وابن بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجمفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

نلتقطُ الأُنْفاسُ بِرِدِّ الندى فيه فتهديه لِنَارِ الهموم

وقال ابن الرومي * كَأَنَّ أَيامَهُنَّ كَالْبَكْرِ * وقلت :

أَيامُنَا فِي جِوَارِهِ بَكْرٌ وَليلُنَا فِي فِنَائِهِ سحر

ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلا كما بجر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقوله : قتي يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

وقول أبي العتاهية :

أنته الخِلافةُ منقادةُ إليه تجرُّ أذيالها

ولم تكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره لزُلزلتِ الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وإني واسمعييل يومَ وفاته لكالعمد يومَ الزرعِ فارقهُ النصلُ

فإن أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحش يدينها من الأتسِ المحل

الأتس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :

أنتَ الجوادُ ومنك الجودُ أوله فإن مُقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجري الماءُ في العود

وقول البحتری :

وقد قلتُ للمعلی إلى المجدِ طرفهُ دِعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقانِ شاغله

صفتُ مثلَ ما تصفوا المدامُ خلاله ورقت كما رقتُ النسيمُ شمائله

والعرب تمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى نزال إلى الوغى رأيتهم رجلي كأنهم ركب
من المطربين الأولى ليس ينجلي بغيرهم للدهر صرف ولا كرب^(٢)
جعلت نظام المكرمات فلم تدر رحا سوؤد إلا وأنت لها قطب
إذا افتخرت يوماً ربيعةً أقبلت مجنبتى مجد وأنت لها قلب
ومن أجود ما قبل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسبٌ كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً
عريان لا يكبو دليل من عمى فيه ولا يبغي عليه شهوداً
شرف على أولى الزمان وإنما خَلَقُ المناسب ما يكون جديداً
لوم تكن من نبعة نجدية علوية لظننتُ عودك عوداً
مطر أبوك أبو أهلة وابل ملاً البسيطة عدة وعديداً
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا جمعوا جوداً في الملا وجوداً
أكفأة تلد الرجال وإنما ولد الختوف أسوداً وأسوداً
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسبٌ أضاء عموده في رفعه كالصبح فيه ترفعُ وضياءُ
وشمائلٌ شهد العدو بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً حتى يسلمها إليه عداه
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلةً ماناها أخواك البحر والمطر
وباتكرم والافضال مرتبةً لم يعطها خادماك السيف والقدر
قالوا أيمطر من محل ألم به فقلت قد تمطر الانهار والقدر
مال يسدده في جمع مكرمة فالبحر مجتمعٌ والماء منتشرٌ
كروضة أخذت بالغيث زخرتها فالروض منتظمٌ والغيث منتشرٌ

(١) في ديوان البحترى «كأه إذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها
فابشر فانك رأسُ والهِ جسد
لولاك لم تك للأيام منقبه
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
والسيفُ أزهفَ للمضاءِ غراره
أنت الربيعُ الغضُّ رِقَّ نسيمه
خلق كنشرِ الروضِ ظل نباته
للأولياءِ رخاؤه ورخاؤه
يامن أدل على الزمان زمانه
يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضله
ما ن يزال من المآثر والعلا
عالٍ تسورَ فوق قِمةِ سؤدد
يبدو فيبدي الصبحُ غرةَ وجهه
سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه
ولئن أبرَّ على الحسام عزيمة
وكانت أقلامه أسيافه
ما المعجذ إلا العقد جودك شذره^(١)
والجودُ في يدك اليمينِ عنانه
ما زال فوتك في اللواء مولى
فاعمر على زمن أغر محجل
وقال آخر وأحسن :

(١) الشَّدْر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكأؤهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعبت من جري
ويسذل دنياه ويمنع دينه
وقلت: وقتت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثى الغيث مقصرا
فتى لم تزنه بالقوافي وإنما
من الغر لآحوا أشمسا ومضوا ظبي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت: في فتية أخلاقهم وفمالهم
حل السرور جباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى
من الأيدي جميعا والأمانى
كذلك فوارض الثمرات تدنو
لجانيتها فتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قريش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضيل نصيب من العلا ورأس العلا طرآ عقيد الندى وهب
وما ضر وهباً عيب من جحد الندى كما لا يضر البدر ينبع الكلب
فتنى له الوسادة وهش إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختری ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعین النازل على الإقامة ولا نعین
المرتجل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لعا من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المسات لكل حي وقيت به من الحدثان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجبلوا لم يفرح الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزول
مواعيدهم فعل إذا ما تكلموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت: لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلتها فضائله
فحاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين بطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشماله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبواه ويكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قالوا أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قدما بفعلهم وُعدنا بمثل البدو والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف انك من نيمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بنى نيمير على جُبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحمين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تر أن جعثن وسط سعد تسمى بعد قضتها الرحابا^(١)

ترى برصاً بأسفل^(٢) إسكتيا كمنفة الفرزدق حين شابا

قال فما أهن بيت قيل قال قول جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنيتم جاهداً وان عدتم أنيتم والموذ أحسن^(٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلي قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسك والموذ أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بجمع) مكان (أسفل) . (٣) لعنه «أحمد» .

ثياب بني عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ماظلمت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا

قال فن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم^م ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر على .

وقالوا أفخر بيت قاتنه العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف

والايماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل في قصيدته التي يقول فيها :

وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلني ذو بنان بطرف^م

لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف^م

إذا انتهب الأقوم مجداً فاننا لنا مغرفاً مجد وللناس مغرف^م

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف^م نؤفيه إذا الناس طففوا

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه^(١) وأين اللمس من زحل

وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألس من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم

قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر^م دونه فيارب^م مظلون به الخير^م يخلف^م

وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف

وما كل^م من تهواه بهواك قلبه وما كل^م من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بين جنبي عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللّب أني أقولُ على غيِّمٍ وأعلمُ ما أعني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أبوابين
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود

ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هو انا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوت لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مدتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غِدْ أن يَطفَ الودُّ بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصحُّ (١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وبُغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ اللببيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يدما عجبيا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروبا
 وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلى العلاء * ثم قال
 ليس لقوله * فانا حلى العلاء * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكل
 فإنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاقل
 وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
 فان تك أموابي تمزق عن بلي فإني كمثلي السيف في خلق الغمد
 ولا في هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شبيبي فقلت لها لاتعجبي من بياض الصبح في السدف
 وزادها عجبا ان رحت في سَمَل^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
 فرأيت في هذا المعنى تكلفا فقلت :

عيرتني ان رحت في سَمَلِ والدر لا تزدري به الصدف
 وله أيضا في هذا المعنى :

يُعيرني عري رجال سفاهة فعزيت نفسي مصدرا ثم موردا
 بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مجردا
 في ألقاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
 في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
 ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

فقل زهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمتشم
 ولكننا نأبي الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمصم
 وتجهل أدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
 هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولا : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن ذرارة :

أغرّمك أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا ففلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحنق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزديق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشَةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مُؤمِّلٍ وقد يُدركُ المجدَ المؤمِّلَ أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرجلِ
قال فأياها أرق قال قوله :

وما ذرّفت عينك إلا لتضربنى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويا بساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :
ويبئرِ بدرٍ اذ يرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ واذا جَزِ عنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يصجروا يومَ اللقاءِ واذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيق الصديقَ رأفتى واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الابعدُ
وذى ترّةٍ أوجمتهُ وسبقته فقصر عنى سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألنني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أنفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازنُ إنَّ مالي أضرٌّ به الملماتُ الثقال
 أضر به نَعَمٌ ونَعَمٌ قديمًا على ما كان من مال وبالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

فلو نَزادَ ألفَ ألفٍ لم نَزِدْ ولو فَقَدنا مثلهم لم نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضبيء وبشيخ يسأبه قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ وحَلَلٌ في إيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيدًا لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشد
 وأنتِ حرْمىٌ لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللؤمِ التي فيها تلد
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله المخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتى منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأسوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هل ههنا من ولد قرن من أحد أعطيهم من رجزي اليوم وغد

نفرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهمُ جلدتد
 أنى وربُّ الراقصات في السند
 بنفرن من وقع العصي والقصد
 أنى لذو اليوم وذو أمس، وغد
 وابن هذيل وابن أشياخ معد
 ثم نفهم ولفهم العدد
 فلو نزاد ألف ألف لم نزد
 ولو فقدنا مثاهم لم نفتقد
 فارجع إلى معزك تيساً ذاجيد
 أوفى على رأس يقاع فصخد
 قال فحلفت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حمي

والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعيِّرنا أنا قليلٌ عديداً
 فقلت لها إن الكرام قليلٌ
 وما قلٌّ من كانت بقاياها مثلنا
 شبابٌ تسامى للعلا وكهولٌ
 وما صرنا أنا قليلٌ وجارنا
 عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلٌ
 وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جوهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
 وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
 مقاماتنا وقف على الحليم والحجا
 وأمردنا كهلٌ وأشبينا حبرٌ
 اذا زينة الدنيا من المالِ أعرضت
 فأزبن منها عندنا الحمد والشكر
 ليفخر بجود من أراد فانه
 عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكر
 جرى حاتمٌ في حلبة منه لوجرى
 بها القطر يوماً قيل أيهما القطر
 فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل
 لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
 ومنها : كاة اذا طل الكاة لدى الوغى
 وأرماحهم حمرٌ وأوانهم صفر
 بجيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
 إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
 طوى بطنها الآساد حتى لوانه
 بدالك ماشككت في أنه ظهر

صينته ما أن تحدثُ نفسها
فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو طابت قبيض أكفهم
وأى يد في المجد مدت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائعا
إذا ما غاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذي يعطيهم الجود والقنا
يمسوف بالبيض القواطع أديا

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق
وواقع نعماء عن الحر طائر
متى ما يصبني بالقوارع طرفه
وهما مثل للخطوب جوالب
تريك اشتعالاً بالنجوم طوالماً
وترزى على البيض الطوالع انمضت
تخاقي الأيام فهي تخيقي
ولو كن في عيني لما قدبت بها
أطلع منها في ديارى طوالع
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى بآتم الفضل ليس بقانع
فما صحبتته للأنام صنعة

على كل ذى عقل وبالنكر واسع
وطائر بلواه على الحر واقع
أصابته همتى وهن قوارع
كما أنهن للخطوب دوافع
وهن إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات ييض قواطع
وللنكس تهديد إذا ريع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلن خاشع
بسوء وهمتى عليها طلائع
يقوم أزاء النضر حين يقارع
ولكن بأدنى بلغة العيش قانع
ويصبحهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^ه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^ه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعيرتنا وما ان طل^ه را؟
غلاة مودة والاشراك^ه مكتهل^ه
ان تعبسى لدم منا هريق بها
أقعد وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرّضوا أيدباً أيضاً مكرمة^ه
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وحطت مساعينا على حطط الفخر
وعن سخطننا تدنى أوف المتالف
وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل^ه و كل^ه فضل لي عليه فضل^ه
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيد بن في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الختلى (٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق أوفى وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحميل عوده ولا يرحى عوده ولا يخال لغيته مخيلة ولا يحال عن تنكره مخيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلبينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق (٣) من صفاقة الدهر حجر (٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يمد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأى الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رحاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلى به الكرم وتجلي بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمتثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجموة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والايام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طابه وجده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الجبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لوشاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس
المبالي الأمير الأديب المنشي . (٣) لعلها مقحمة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع أسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكل
العيون بصور الغيلان وأنتت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنايذة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهيما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه مالم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الفناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه متمزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالم،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالخاف خصاله وعدى عليه
هذه المعائب لاستماتته من جانب الى جانب لا فى بمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثلته^(١) ومقبل بوده على من
لا يجمله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تنوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولكنى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجنى أن يكسو ضوء مكارمه
كلف الخول ويأذن لطوال المعاليه بالا قول فان فضل سيدى الخود على الوجود والعدم
على الوجود وتزل من شامخ الى خفض ومن حائق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
ضرمه ومال الى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خنصرى وشغل عن الشغل به

(١) سقط من النسخ « أسلته » .

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيا سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت جبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول
وفي بعض ألقاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ حسامه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتكما بالله ما تعلماني ولا تكتمًا شيئًا فعندكما خبري
أرفع نيران القرى لغفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسال نيلًا لا يجاد بمثلها فيفتحهُ بشري ويختمه عندي
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأشردنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طريقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ولا يضيق به ذرعي إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرنى ولا تخشمت من لأوائها جزعا
وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
قول الأقيسيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبي علي يسير^٣

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أولع بالشعر

ونبع فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصِيبُ الأُمُورَ لا ترى منه بُدا
بادرٍ وخيلٌ الهويْنَا وجدًّا كما تجمدا
فلن تلاقى جسدًا حتى تلاقى كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفٍ أسوى وقعته من لسانيا
وهي من قول حسان * وبلغ ما يبلغُ السيفُ مذودي *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقتهُ عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتني أمجادٌ جحاجةٌ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أتباج أعنانٍ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمتنون إن منوا باحسانٍ
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لساني لم يضره أن لم يصل بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من
جذام وأكثر من وصف ملوك الخيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن
كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا
بالإسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك
شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان
السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مفدى وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

ألم تعلمي يا عمرك الله أني كريمٌ على حين الكرامٍ قليل
وإني لا أخزي إذا قيل مُسَلَّقٌ جوادٌ وأخزي أن يُقالَ بنخيلٌ
فان لم يكن عظمي طويلاً فاني له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإنك قَصْدٌ في الرجالِ فاني إذا حلَّ أمرٌ سآحتي لجليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم
 ولا خير في طول الجسوم وعرضها
 ولم أر كالمعروف أما مذاقه
 وقلت : غنای غنی نفسی ومالی قناعتی
 وغری اسلامی وذخری أمانتی
 ولی عزمت كالسیوف قواضیا
 وتغشى صدور النائبات صدورها
 ألا لا یذم الدهر من كان عاجزاً
 فمن لم تبلغه المعالی نفسه
 ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
 ونحن الخا کون إذا أطعنا
 ونحن التار کون لما سخطنا
 ونحن العائفون إذا عصينا
 ونحن الآخنون لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إماماً تریتى أمام القوم متبعاً
 يوما أنيخ فلا ادعى على نسب
 لا تسأل القوم عن حى صحبتهم
 وقال : أميل مع الذمام على ابن عمي
 أفرق بين معروفى وبينى
 فاما تلفنى حراً مطاعا
 فقد أرى من وراء^(٢) الخليل أتبع
 واستبيح فلا أبقي ولا أدع
 ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وأقضي للصدیق على الشقیق
 وأجمع بين مالى والحقوق
 فانك واجدى عبد الصديق

وهذا من قول الأول :

(١) في الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقعمة . وهو صاحب
 المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
 بنحو نصف قرن . (٢) في الأصل « ورأى » .

وإني لعبدٌ الضيفِ مادامَ نأويا وما فيَّ إلا ذلك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا

قوله * أخافُ عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجوم لو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلي :

وكن على الدهرِ فارساً بطلاً فأنما الدهرُ فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيلِ إن تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
مرةً باللجين ننقلها ومرةً بالدماء تنتقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأثي حتى زاد
النايبة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبالغه فيه إلا البحرى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم يندر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النايبة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهناني ومهما جاء عنهم من شكها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكر سيف بن ذي يزن واتبائه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محلا
تلك المكارم لاقعبان من ابن شيبث بقاء فعاتت بعد أبو الـ^(٢)
أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في شاذ مهردع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذي يزن
ولست أختار من التهناني بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها تمضي بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لانفتق وتغنيها
ولانقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة^٤ اليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
ان الخليفة سيف لا يجرد^٥ إلا الذي يملك الدنيا وما فيها
مقارع الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعيا
وقلت : ما لليالي والأيام منقبة^٦ غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربي يبيحك ماتهوى على فرح كما يلقيك ماتهوى ويعلبك
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضي قضايك منها في أمانيك

(١) في الاصل « ينسب ». (٢) في الاصل « شيباباء فعاتت بعد أبو الـ ».

(٣) في النسخ « غرة ».

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعلّي بن محمد الحواري :

عليّ إذا الجودِ والمعالى بامعدنّ الانعامِ والافضال
يامن به نيّطت عُرى الآمال فحُكّم الآمالَ في الاموال
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالٍ مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرفِ الاحوال
فليسلهُ أزهرُ ذواشتمالِ كأنه وجهك في الجمال
وصبحهُ بلّال ذواهمال يحكي ندى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجال
فاشْتَبَهَ الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيالِ بعزٍّ ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تنزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما اهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبائه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بمذكرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أياتاً اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقرِ لازالت من الله نعمةٌ تجددُها الأيامُ عندك والدهرُ
ولازالت الأعيادُ تمضى وتنتضى وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فانك للدنيا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ ذخراً هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس لشيء عند مقداره قدرُ
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جوده ولا يرُّ إلا دونهُ ذلك الهرُّ
فأهديتُ من حلى المديحِ جواهرأً منصلةً يرهبى بها النظمُ والنثرُ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهرُ وتبهى بها الأيامُ ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلِ حُسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد: أيها السيد النجيب عشت أطول الأعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لانقضى حق نعمه حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى إلى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجد لهذا اليوم برأ ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فبجعت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخر
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مُرتهن^٢ بجميل فملك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثر هم معاني . وأول من افتتح المسكينة في التهامي بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سغط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالاطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نُهدى إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يُهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نُهدى إلى من نُجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحقوقك علينا فنكون من السكاذبين فاقصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن
فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلی بن أيوب له متصم : النفس لأمر المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق قبيصة ولا على أحد فيه غصاصة ، وباقيه من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلی بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علی بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمر بما خوله واستقبل به من العمر أسراً وأطولها وملاؤه من العز أمداً
وأكمله وألبسه من الانعام أسبغة وأجزله ومهد له من العيش أرغدته وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهنئة قليلة النظير منها
ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها الى فضله
مقاداتها وبلوغها في ظله ارادتها وأنحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفائته بفترة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قررت لديه قرارها وأنقبت يديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من
استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحذات احلاس الجهل بها ولاغرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخطت خطته وعاهدت لا برحت ساحته فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذيول الخيبة ويتسقطون
في فصول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيبل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى وليه بحقوق قديم
وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بأحيازها الى امضائه وتدييره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنايه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهنا الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيته متشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهادة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالغنم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشرًا حله التي استعارها من شيمته ومبدياً حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جودة وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعدته سمادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة التي ساقها اليه ومدروا قها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخلقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق ففره الله ميا من أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنيء فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كلنجر أدام الله عزها طالعا ملك ونجيا
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما ربيع المحاسن ووطئت لهما أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتني من السرور ما فسح مناهج
 الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأياء بمسارها وأزججت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله أيام ما أدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
 وتعلو به الجلود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعى الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنية بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 آنسها الله وحرصها بذكر ما لقاها كرم مولانا وورقاها اليه من مراتب تشريف لا تكمل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاها فحمدت الله
 ولي الحمد والشكر وأخذت بالحظ من قوة القلب وانشراح الصدر وسأته أن يطيل
 بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادعه من
 شرف لا يرحل مقيم ولا يتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنية بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 ميعا المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقولة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهلك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خير البشرى فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل يبلوغ المعتر يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتر بشري بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر بقرب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا^(١) بملو هته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للعز قرن والسمك نديم
فلا أمره التميم^(٢) كيف تصرفت حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافتك يوم رزقه حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ومهد سد الليل وهو بهم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتة خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا أهله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عيم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النعماء فيه ممتعاً » . (٢) في الاصل مهملة .

ولحده التصميم حين تلاحقت أقرانه وشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشيذ ان عبد الملك بن صالح يُمدُّ كلامه فأنكر الرشيذ
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بوأحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيذ : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطعم من عبد الملك فى الفصاحة . وقلت فى تهئة بملود :

فاستقبل الخير فى نجيب	عما يعيب الورى نزيه
شمس نهار وبدر ليل	يملك أبصاراً ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشف عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سواً	تكثر علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلو	يقرب من كف مجتبه
وعن قليل بصير شهما	يشقى به جد كاشجه
ألا فعش فى ضمان خير	حتى ترى الشيب من بنيه

وقلت فى تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاك عما تحبه فانك قد فصلت بالنبر جوهرها
فصيرته للدهر عقداً مفصلاً وطيرته فى الأفق نشرأ معطرا
هو الين لم يعدمك محبوبة دنت ومكروهة شطت وضعباً تيسرا
ومن عجائب المعانى تهئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالمقد^(٢) لرجل زوج أمه:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة فى محذور تحمله فكذلك لا تطيع الأنفة فى مباح تحظره ويأوى

(١) فى الاصل « بملاذها بهجة » . (٢) فى الاصل « بالعقرية » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ماعلمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيتها ومشقة فيها تجشمها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هواك لأبيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقدرأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الخلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائده من نعمه توافق مصالحمهم ونطاق
حوالهم في تصاريه نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبعية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته ممتهاها يناقص سائر
وبنافية نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنع والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن يصحبه حافظاً وجعلك بما جعل
من صورتك وكمل من ادانتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام في المشاهد الجامعة مسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلعة
 الثقة بسدادك وجارياً مجربى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منكما من رقد يمدده وناصر يؤيده يسلكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده اليه من ترك ابقائه في السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاتصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله جباك بمزيتها في جمال غشاك وكال
 أنك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة يتزوج أم وتمزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجربى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تنفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيبك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحملك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله ثلاثاً تقدم من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يسيد الشمل
 مجتمعا بمدفراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل في حللها وتبختر في حليها واكتنفها بيمين يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة في

تقريب ركاب مولانا أطال الله بقاءه وكبت أعداءه وكب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا ير حل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته ماينقاد له أقصر الاسار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستفرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ كتاب المبالغة ﴾

فى أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى ﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قائلته العرب قول مسلم
ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الفوائى، تأدب فى الكوفة وعظم شأنه فى الشعر، مات ببحر جان .

يجودُ بالنفس إن صَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: ^(١)

تجودُ بنفس لا يجادُ بمثالها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كان من حسي ونسي
فلما لم أجدُ شيئاً نفسياً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد
بمشت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غايباً وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُه الركباً
فقلتُ له هل جئتنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحف ^(٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حبيتُ لها قرباً
إذا هي وافت من ثمانينَ قامَةً فلا السهلَ ألقاها الآلهُ ولا الرجا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .
(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ ببغداد وخص بالتوكل العباسي ، ثم غضب
عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها (٣) كذا في النسخ
ولعله سقط «بها التريا» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلی عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسائرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثنه فقال :

هزرتك هزةُ السيفِ المحلى فلما ان ضربتُ بك اثنتيتُ
ففيها مدحةٌ ذهبٌ ضياعاً كذبتُ عليك فيها وافترتُ
فلما قرأ العباس الآيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرُفدُ
الا نسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّاً وأحشاؤه تُرعدُ
كأنك من خشيةِ السؤالِ في عينه الحيةُ الاسودُ

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم : اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لؤمهم فأنى أرى الناس قد أصلدوا
 وإنى أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالي وقد أرعدوا
 ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا فى أبيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبى العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوتهُ وباطنهُ خلوٌ من الخير أخربُ
 أبا دلف يأ كذبَ الناسِ كلهم سواى فأنى فى مديحك أ كذبُ
 وأخذ البيهترى قوله * كانوا كوا كباها وكنت هلالها * فقال فى المتوكل :
 اذاغبتَ عن أرض ويمتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاقُ البلادِ خصيبةٌ وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها (١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال فى عينه الحيسة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهٌ ليل مظلم وحفيفٌ نافحةٌ وكلبٌ موسد
 وأخوك محتملٌ عليك ضغينةٌ وخسيفٌ قومك لا تمُّ لا يحمدُ
 والضيفُ عندك مثل أسودٍ صالحٍ لا بل أحبهما اليك الأسود
 ومن جيد ما جاء فى خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامسك

قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ بأطلالٍ قلتُ السلامُ على المحيلِ محالٍ
 عاج للشقى مراده دَمَن البلى ومرادُ عيني قلةٌ وحجالُ
 لا نادمن (٢) البراج وهي زلال ولا طرقت البيت فيه غزال
 ولا تترك حليها وبقلبه حرقٌ وحشوءٌ فزاده بكبسال

(١) فى الأصل « ثمارها » . (٢) فى الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حبي فم^١ وحتى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسل الأوكال^١ وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه
 ولم يكن لك مال^١ يوم تكسبه
 تحب^١ من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^١ امرىء
 فليس على الجود^١ والمكرمات
 هو المال^١ ان أنت لم تخترب
 فكنته تكن مثل ما يعجبك
 حجاب^١ إذا جتته^١ يحجبك
 أباح^١ لك الدهر^١ ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابن^١ ورد قاننى
 ومن يؤثر الحق^١ النؤوب^١ يكن به
 تعود^١ على مالى الحقوق^١ العوائد^١
 وقال عبد الملك بن مروان ماوردت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولايشفي) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال

عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتم^١ أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسماقنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونُكْرِمُ
فقلت له نعماك فيهم آتمها ودَعَّ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :

سحابٌ عداني جودُهُ وهو هامر وبجرٌ خطاني فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمٌ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهُ هِمٌّ لا مُنتهى لكبارها وهمة الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن مِمشارَ جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ

أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداهما

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي

احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكّر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن يبلغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصرى :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
فاستخر اللهَ وخذ مُرهفاً وافتك بأهل الشرقِ والغربِ
ولا تمت ان حضرت ميتهُ حتى تيمت السيفَ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بجداءِ ابله^(١)
قد لعبت أيدي النوى بشمله ممتعاً مضطلعاً بحمله
مُمنصلاً كالسيفِ عند سله مولودة همته من قبله
قد دان ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحله
إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همة تنطحُ النجومَ وجدُّ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
أبلغ ما قيل في يمن النقية^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبع لا أوربت نارا
الحصاة مع النبع لا تورى قال فأتت من يمن نقيتك لو قدحت بهما لا أوربت .
وقال بعض الأعراب :

يد كرنى سمداً دعاءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
واختلطَ الليلى بألوانِ الحصى وأرسلوا سمداً الى الماءِ سرى

من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراء شاوه الى العلى والمكرماتِ مطرح
قد شح بالعرض وجاد باللهى فحوى المجد بما جاد وشح
فاذا هم بأمرٍ ناله فسواء جد فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقبت وم بادىء العزى غير معقب
ولما يفرره تغلب دهره فقلت لعلّ الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أيادى لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يُخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا قذبت عينه صرف الهمّة إلى تقدّتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من حيث » حيث يخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةٌ نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتمللمُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طرقت به دوى فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمى ^(١) :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فانى مستهلكُ مالى وعرضى وافرُ لم يكلمـ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل

الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على

شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً
 هلاً سألت الخليل بابنة مالك
 تمكو فريسته كشدق الا علم
 إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 أخشى الوغى وأعف عند المنعم
 لا تمنع هرباً ولا مستسلم
 ليس الكريم على القنا محرم^(١)
 والكفر نخبلة لنفس المنعم
 عنها ولكني تضايق مقدمي

ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم
 قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عيس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهرة واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فسكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كرفيقول لا يحسن العبد
 الكبر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنتره » .
 والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمع رجلى بها حنر الموت وإنى لفرور
 ولقد أعطفها كراهة حين للنفس من الموت هرير
 كل ماء لك مني خلق وبكل أنا في الزوع جدير

فقال « وإنى لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليعمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات خلال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة وإنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهاها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصامعاه روى لنا أبو أحمد عن العيشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحمات عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بمحدث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعديه . مسترعفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادم حبيبت^(١) حليابه فياجارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضمها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حبيبت) .

وكنت إذاماهمتُ اعتزمت وأخرى إذا قلتُ أن أفعلا

وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتقصت رسائله
له نسبُ الأنسى يعرفُ نجله وللجنِّ منه خلقه وشيئله

وقال عبيد بن أيوب :

فله درُّ العولِ أي رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعله الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبيني وذكر أنه ذهب إلى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر إذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بني إسرائيل قال حنتمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلتها :
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حدَّ السيف من أن تضيئه إذالم يكن عن شفرة السيف مزحج
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمرك ما أدري وأنى لأوجل *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنتمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظُرى وما قال من شيء فهو لى وكان عبد الله بن
الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة (١) حيث يقول :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال
دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك فقال القرآن والفرائض فقال
روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة
والشجاعة وقد رأيتني ليلة صيفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لى عمتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطائى على المسكروه مالى وضربى هامة الشيخ المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

لاذفع عن ما تمرر صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح

بندى شطب كلون الملح صاف ونفس لا تفر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على السكتيبة لأبلى أحتفى كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس فى غمار الموت منغمس إذا تأنى على مكروهه صدقا

غشيته وهو فى جأواء باسلة عضباً أصاب سواه الرأس فانلقا

بضربة لم تكن منى مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

(١) الخرزجي المشهور .

ليث بمسئّر بصطادُ الرجالَ إذا ما الليثُ كذبَ عن أقرانهِ صدقا
 يطعنهمُ ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابنُ حَمام^(١) :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز للظفر يemiş به عزيزاً أو موت بموته شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى ما نابني فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج^(٢)
 فتى بملا الشيزي^(٣) وروى سنانهُ ويضربُ في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قائته العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحزب قول أبي تمام :
 خطوُ ترى الصارمَ الهنديَّ متصراً به من المارنِ الخطيَّ منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الاسلام .
 (٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلى شكوكاً إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددٌ
إذا رأوا للعنايا عارضاً لبسوا من اليقينِ دُرُوعاً مالها زردٌ
ناءً عن المصريحِ الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أو مسترخيَ الطولِ
حاطَ الاخلافةَ سيفٌ من بني مطر أقام قائمهُ من كلِّ ذا ميل
سدَّ الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيفِ لا بالختلِ والحيلِ
موف على مهج في يوم ذى رهجٍ كأنه أجلُّ يسعى إلى أملِ
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهلِ
يكسو السيوف نفوساً^(١) الناكثين به ويجمل الهام^(٢) تيجان القنا الذبلِ
يفدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجلِ
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مر محلِ
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالكَ الموتِ في الأبدانِ والقللِ
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجلِ
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهلِ
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدينِ من خللِ

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شيبان من مثل كذلك مالبنى شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل^١ وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
 وقوله : سلّ الخليفة سيقاً من بنى مطر يمضى فيخترق الاحشاء والهاما
 كالدهر لا ينتهى عماهم^٢ به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 تظلم المال والاعداء من يده لازال للمال والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً واظلاما
 تمضى المنايا لما تمضى أسنته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضا :

يلقى المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا غنى الحديد غناء غير تفريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر^٣
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرّ والخلق الوعر^٤
 غدا غدوة والحمد نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغى اللحد ولا أبتغى الكفن^٥ من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عدا^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفى بها على أروس الاقران خمس سحائب
 وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بغيبتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قائلته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قائلته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَدمُ جوازِيهٗ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه^(١) :
والخيرُ تزدادُ منه ما كفت^(٢) بهِ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله اليربوعي :
الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لاحالةٌ زائلٌ
وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهمِ دويبةٌ تصفرُّ منها الا ناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذي كما يؤذي أصحابه
يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم
ولبيد ينشدهم • ألا كل شيء ما خلا الله باطل • فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت • وكل نعيم لاحالة زائل • فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فنزا رجل من قریش فطمع عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وسادتها وفسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثمانية فقال لأربى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويفنى إذا ما أخطأته الحبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما طاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نرُوحُ ونغدو لحاجاتنا وحاجةٌ من عاش لا تنقضى

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته

العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعى • وأنا أقول :

كأن مُقللاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقى من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأكرماتين فأنا يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجعُ
زرعتُ رجاءً في ذراكٍ مُبكرًا وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينُ لك بأبها
وان قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمور اجتنابها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ما شئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ما شئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطامن شئت يغنيك عن الخفاءِ في الذرّوةِ
فكم أنساك ما نهوا هُنبيلُ الشيءِ لم تهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطعمٌ يوماً غزاني غزوتهُ^١ كتائب ناس كرها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى ان ترضى النفوس ثادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفس رغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالك
وذمَّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا تكبير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلان غير الحى والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمتهِ وإذا يُشجُّ فلا يرئى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللثيمُ مطاً حاجبيه وذادَ عن حريمِ درهميه
فترك عنانَ البخلِ في يديه وقم إلى السيفِ^(١) وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضريه إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردني إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنَّ صونَ العرضِ بالجرأجل
وقال ديك الجن :

لأنقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةُ حالِ
وإذا خفتَ ان يراهقك العدْمُ فعدْ بالثغفاتِ العوالِ
وأن نفسك الكريمةَ للموتِ وقحم بها على الأهوالِ

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتهته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصف الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الورى من تراه يُرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفى المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدنى أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاستراثت رحلى سبيلك إن سواها سبيل
 يرجى اليسار لها بالقول لعل المنية قبل القبول
 لعمري التي وعدتك الثراء يجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجميل
 سأتقى العفاف وأغنى الكفالم فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعد لزم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزب محل الذليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل

قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيتني نبي الشعر. وقال البصير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفل ولم أكدر
 لا تجمعوا ان تهينونى وأكرمكم ولا تمدوا الى نيل اللئام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لغد
 فرب ملتس مالىس يدركه ومدرك ما تمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا يبيعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فتهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسى نشأ فى البصرة.

فقالوا الرقيهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزارة ولا
بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال
تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغدى
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أنى^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزبة أن غوت غويت^١ وان ترشد غزبة أرشد

وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا
الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد
كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي
ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملت إليه نصحاً وكان لما أشير^١ به سميعاً
أطاف^١ بغيه ونهيت^١ عنها وقلت^١ تجنب الامر الفظيماً
أردت^١ رشادته جهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلت^١ آرائى وسقت^١ نصيحتى إلى غير طلق^١ للنصيح ولاهش^١
فلما أبى نصحى سلكت^١ سبيله^١ وأوسعت^١ من زور قول ومن غش^١
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجة^١ أنى^١ أغش^١ إذا ما للنصح^١ لم يقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أوطاة :

عرضت^١ نصيحة^١ منى^١ ليحى^١ فقال غششتنى والنصح^١ مر^١
ومابى أن أكون^١ أعيب^١ يحى^١ ويحى^١ طاهر^١ الاخلاق^١ بر^١
ولكن قد أتانى^١ أن^١ يحى^١ يقال^١ عليه^١ فى نقعاء^١ شر^١

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلت له تجنب كل شيء يُقال عليك إن الحرَّ حرٌّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :
إن أخا الصدق الذي لن يخذلك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا صرف زمان صدعك شدتَّ شمال نفسه ليجمعك
وان غدوت ظالماً غدا معك

فسرّوه بكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعاً »
وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم فقلت هشيمةً من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قريش على محبوبك الأصابِ جرد
ووجداً ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئاً غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يراك حين تغيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أحدث ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كراماً وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من مصيبة زيد أربى فتى إذا نهته لم يقضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى ما لم يبذل لمأجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلِ ما لم يحمل ففز في عيني حين ذلَّ لى
إن جمالَ الحرِّ في التجميل وقد يكونُ العزُّ في التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم المهمد بالذى يلوئمك إن ولى ويرضيك مُقبلا
ولكنه النائى إذا كنتَ آمنا وصاحبك الادنى إذا الأمرُ أعضلا
أبلغ ما قيل في التانى وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفعسى :

تقطع بالتزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
يَرْفِقِ فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الخمقة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لو اغب يقلُّ إكثار الذميل ذميلها
نفض عبرة حلَّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيمهم على الدار يسقى ظلهم طولها
ومن المشهور فى التانى قول القطامي :

قد يدرك المتانى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يبادر
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لسكان متكفامردوداً وكثيراً ما يقع « كل » فى
الشعر قلق المسكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فبالأتمى دغى أعالى بقميتى فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرف أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ عُتْبَةً أَنِي مِنْهَا عَلَى أَجَلٍ مَطْلٍ

وشكوتُ ما ألقى اليَسْها والمدامعُ تستهلُ

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الاذَلُ

قالت فأى الناسِ تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كلُّ

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذلُ

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

وأول الأبيات :

رأتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بُخزىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أ كيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالةٍ وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى التومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شئت تجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ماتكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) فى الاصل «يختلف» .

دعنى الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضة فألفتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لاتطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع الحسبه
 فهل تعذرونى كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرت بعذر فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمأنينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر • لآحمدنّ امرأً
 حتى تجربه • سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كفو النعمة • ولا أطرف من قول البحترى • الشكر نسيم النعمة •
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ما عنده للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سميتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صنعتُ بي فقصرت مغلوباً وإني لشاكر
قوله وإني لشاكر مع قوله مغلوباً حسن. الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر:

فراق حبيب لم بين وهو بائن
لأنك توليني الجميلَ بداهةً
فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتي
لهأولُ في المكرماتِ وآخرُ
وقول الآخر :

ولو أن لي في كلِّ منبتِ شعرةٍ
لساناً يثُ الشكرَ فيك لقصراً
وقول دعبل :

هجرْتُك لأعن جفوةً وملاةً
ولسكني لما أتيتك راغباً
فلانٌ (١) لا آتيك إلا معذراً
فان زدتَ في برى تزايدتُ جفوةً
ولا لقلى أبطأت عنك أبا بكر
فأفرطتَ في برى عجزتُ عن الشكر
أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
فلا نلتقي (٢) حتى القيامة والحشر
وقول أبي نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعتذراً
أنتَ امرؤٌ قلتَني نعماً
لا تسدينَّ إلى عارِفةً
وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارةً طويلة ، وأحد أدواء

الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحترى :

هاتيك أخلاقُ اسماعيل في تعب من العلاء والعلا منهن في تعب
أدأبتُ شكري فأمسى منك في نصب أقصر فمالي في جدواك من أرب
لأقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ لهُ شكري ولو كان مسديه إلى أبي
لما سألتك وإفاني نذاك على أضعاف شكري فلم أظفر ولم أخب

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتني »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءهُ باعُ شكري قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
 وآسى أن تطولَ يداي منهُ إلى ما لا يُطاوَلُه لسانِي
 كأن ندى يديه عناقُ بين فليس بَسْرُفِي إلا شجاني
 لهجتُ بذكره لا بينَ عنه فضاقتُ بوصفه ذرعُ البيان
 حناني ثقله ولو أن قوساً تلقى منكبي لما حناني
 فما أنا منه مفتقرٌ وغاف وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
 أخرجتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
 وقطعتني بالجوْدِ حتى أني متخوفٌ أن لا يكون لقاء
 صلةً غدت في الناس وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاء
 ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
 حتى يتم لك الثناء مخلداً أبدا كما تمت لك النعماء
 فنظلتُ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدني بك الشعراء
 وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فأ أهتدى
 لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظمنى من حسن رأيك
 فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى :

مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ وَمَكافاةٍ مَا أَنَالَ وَأَسْدَى
 كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقي رجعتني لهُ أياديه عبدا

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
 مسار: ما أدري الغمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل مامنه
 نعمة والناس يجعلونه محنة ونعمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلي بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بمحقوق الأنواء إذا تحلى بيوافقت الأنوار والآلئ الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجاً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بالٍ وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما فعلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأنتموا بالذي أنتَ أهلهُ ولو سكتوا أننتَ عليك الحقائقُ
 تم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
 قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
 مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيحُ بما أوليتَ من حسنٍ وكل ماتدعيه غيرُ مردود
 كلي هجاءٌ وقتلي لا يجلُّ لكم فما يداويكم مني سوى الجودِ
 وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

وبما يجرى في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
 أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن اسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنتُ في القولِ مرَّةً فنك ومن آتارك امتار هاجسي
 تعلمتُ مما قلتهُ وفعلتهُ فأهديتُ غصناً من حنای لغارسي
 أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لأنكرن اهداءنا لك منطقالاً منك استفدنا حسنه ونظامه
 فالله جلَّ وعزَّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيه وكلامه
 وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم فارة لك في المكارم ضخمه غادرت فيها ماملكت قتيلا
 فرأيت أكثر ما بذلت من اللهی نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا
 وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرتُ عنك الى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كنكرك
 ورجعتُ من كتب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
 ولما أروم بما أقو ل زيادة في رفع ذكرك
 لكنه حق أو فيه عوانك بعد بكرك

كم نعمة لك ملء فكسرى لا تلاحظها بفكرك
 (أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
 أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو وأحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل
 فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكن صبري يأميمٌ جميل
 وبمده: ألم تعلمي ان قد تفرقَ قبلنا خيلاً صفاء مالِكٍ وعقيلٌ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب:

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريبِ الدهرِ لا أنضعضُ
 حتى كأتني للحوادثِ مروءةٌ بصفا المشعر كل يوم تفرع
 وقوله: وإن صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لجَّ من ماء الشؤون لجوجُ
 لأحسبَ جلدًا أو لينبأ شامتُ وللشرِّ بعد القارعات فروج

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي:

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
 هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورة أوجب
 فشدَّ امرؤٌ بالصبر كفاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
 هو المهربُ المنجى لمن أهدت به مكارهٌ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ
 لبوسُ جمالِ جنةٍ من شماتة شفاءُ أسمى يثنى به ويشوب
 فيأعجباً للشئ هذى خلاله وتاركٌ ما فيه من الخطِّ أعجب
 وقد يتظنِّي الناسُ ان أسامُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
 وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ بصرفه ذونكبة حين ينكب
 فان شاء أن يأسي أطاع له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خو بلدين مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو، أسلم وعاش الى زمن عمر.

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 بصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج محتج على النفس لم يكف
 وساعدها الصبر الجميل فأقبلت
 وإن هو مناها الأباطيل لم تزل
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مُصيبة
 فلا يعذر التارك الصبر نفسه
 ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبة
 واجعل طلابك بالأوتار ما عظمت
 ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجاتِ الرجالِ سجيةٌ
 وما الحقدُ إلا نوامُ الشكرِ في الفتى
 فحيثُ ترى حقداً على ذى إساءةٍ
 ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية شمراية^(١) وقال * نفرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن ثقله حيلتي أتصبرُ
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر كرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبرُ من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والخبث
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عينته بن حصن :
 أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التقشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والذى يقول لعن الله الصبر فان مضرته عاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرُ ونفعٌ من لأم في الهوى ضرر
 من كان دون المرادٍ مُصطبراً فليست دون المرادٍ أصطبر
 منفعة الصبر غيرُ عاجلةٍ وربما حال دُونها الغير
 فقم بنا نلتمس ما رُبنا أقام أولم يقيم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن ^(١) الزمان أو ينذر
 وابتغ من العيش ما تسرُّ به ان عنذ الناس فيه أو عنذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الخليم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الخليم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
 والتناقل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الخليم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأوَّل :

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للعرء راضياً إذا كان عند السخبط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للعرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم

ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي تصبر عليه وقال الشاعر :

لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى بذلوا وإن عزوا لا أقوام
ويشتموا فتري الألوان مسفرةً لا صفح ذلٍ ولكن صفح أحلام

وسمعه يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمةٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر

ولأعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
يكون ذنب أورثه من حلمي وماغضبي على من أملك أو ماغضبي على من لأملك .
يريد أنى إذا كنت مالسكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسي
الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
ولأضره . وقال الشاعر في الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سأزوم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي مثل فان زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعر حاكم
وأما الذي دوني فان قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابين له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى حُلُقِي دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ وَلَا أَفْنُ
من منقر في بيتٍ مَكْرُمَةٍ والفرعُ يَنْبْتُ فَوْقَهُ الْفِصْنُ
خطباً، حينَ يَقُولُ قائلُهُم يَبِضُّ الْوَجُوهَ مِصَاقِعُ لِسْنُ
لا يَفْطَنُونَ لَعِيبِ جَارِهِم وَهُمْ لِحَفْظِ جِوَارِهِم فَطَنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة ^(١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهُمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حِلماً قال المنطس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلم
ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
والماء ومصطبراً محتسباً وِعَفُوًّا وصالحاً ومحتماً وكافئاً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجايا والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقيحَ الجهلَ بالفتى وللحلمُ أحياناً من الجهلِ أقيحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عَوْنَ عَدُوِّهِ عليه فأنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرنِ في الوغى كثيرُ الأيادي وأسعُ الذرعِ بالفضلِ
ويحلمُ مالم يجبِ الحلمُ ذلَّةً ويجهلُ ما شدت قوى الحلمِ بالجهلِ
وقال غيره :

(١) في النسخ « حفص » في مواضع .

ترفتُ عن شتم العشيبة اني رأيتُ أبي قد كف عن شتمهم قبلي
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسيء لي عبد لأخ لي رأيتُ تغدبه ، والصفح عنه
 إجلالاً لتقدر مولاه وواعظاً لما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفعك من سعدِ الينا قَطْوُوعِ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدرُب^(٢) للظلوم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبي مسلم ، أولها :

أباجعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارِ يقتحمُ الردي وبصرُعه في المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتلٍ متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأجاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامِ نائمِ
 وقد ترد الأيامُ عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروانٌ قد دارت على نفسه الردي لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجري سادرأي طريقهم ولا تتق أشباه تلك الققائمِ
 تجردتَ للإسلامِ تمفو رسومه وتعزى مطايا الليوث الضراغمِ
 فازلتَ حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضى وتارة
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن
ولا تجمل الشورى عليك غضاصة
وما خيراً كيف أمسك الغلُّ اختها
وخلُّ الهوينال للضعيف ولا تكن
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تُشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرُد الهِمَّ بالمنى ولا تباغُ العليا بغير المسكارم
وما قارعَ الأقوامَ مثلُ مشيع أريبٍ ولا جلى العمى مثلُ عالم
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمحي قال سمعت المازني
يقول سمعت أبا عبيدة بن ول ميمية يشارهذه أحب إلى من ميميتي جرير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أبياتك في المشورة فقال المستشير بين صواب يفوز بشمرته
أو خطأ يشارك في مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لا يشبه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا لتكبر
على وتصاغرت له ودختني الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون
مهيب في الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضم شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرتك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاائه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
وقال رومي لفارسي نحن لا نملك من يشاور فقال الفارسي نحن لا نملك من

لا يشاور، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .

ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طبع، والطمع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفيني
والغفَةُ القوت وأصلها الفأرة^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة^(٢) :

ألا أمتي عميرة أن رأيتي عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلتقي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أني أتبيح لها حرباء تنضبة^(٣) لا يرسل الساق إلا مسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوتِ من الحياءِ سقياً
حتى إذا رفعَ اللواءَ رايتهُ تحت اللواءِ على الخميسِ زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

بشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأُعناقِ والقمم
إذا خذا المسكُ يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فظنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بلت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياتهُ وبدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكاسيف إن لا بنته لأن مسه و-دأه ان خاشته خشان

وقال أبو دهبيل :

تزرُّ الكلام من الحياء تخاله صمتاً وليس بجسمه سقم
عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
غيره : انى كأتى أرى من لآحياء له ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاحبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول :

ومالب اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيت الحظ يستر عيب قوم وهيات الحظوظ من العقول
والعرب تقول «اسع بجدد أودع»

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت تآقت الى ماليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياه السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خير مال لدى كريم يروح بغير مال
وان تصبر فإن الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالى
تجمل إن بليت بسوء حال فان من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف إلى كل راهبٍ وسبيك موقوف على كل راغب
تباشرت الدنيا بجداولك واكتفت فلم تتباشر بالغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
بصير له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك مجدته لاتزال تحوطه ونحميه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى اذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الغيوم السواكب

وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلاذة الزمن الخؤون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكنسى اهابى سيني فى وجوه التجارب
تجلتته بالرأى حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكل لنجم فى الدجنة ناقب
وكنت متى تهزز لخطب تغشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنسا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازيمي^(١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بمضمهم^(٢)
وقال الآخر: سأ كتمة سرى وأحفظُ سره
علم فينسى أوجهول يذيعه
وما الناس إلا جاهل وعليم
والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق^٣

أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله للمرء عقله
إذا كلَّ الرحمن للمرء عقله
يعيشُ الفتى بالعقل في الناس انه
ومن كان غالباً بعقل ونجدة
يزبن الفتى في الناس صحة عقله
ويزرى الفتى^(٤) في الناس قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى

إذا حاشَ بين الناس منعدم^(٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه^(٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازيمي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المراء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمى من ابنِ تَعْنِ وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصغدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية البنيط ثم حمام دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فاتحل الشرب بخذا فيره وجمعه بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بعيب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجدر رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدابي
 قتمَّ جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
 عز السكالم فلا يحظى به أحدٌ فكل خلق وان لم يدر ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل ويان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكى وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس السكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الاول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً لسانه مقبلاً على شانه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتتُ عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدُّ من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرارُ نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :

إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كل وغد^(٢) ضعيف كان أمرٌ كما سواء
وإن داويت دنيا بالتناسى وبالليان أخطأت الدواء

وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أخرى أن تنال جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ

ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو غيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

بغضى حياءً وبغضى من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جملة مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأشهدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يرجعُ هَيْبَةً والسائلونَ نواكسُ الأذقان
هدى التقيَّ وعزُّ سلطانِ النهي وهو المهيبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيهه جاء في الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائرًا يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمرُّ في القلبِ عتاباً لهُ فان بدا أنسيتُ من هيبته
ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبغ ولعلك لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
* وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصورِ أملاً للعين من البدورِ

وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم * وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهيبة والخافة فقال :

نبتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُسرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً
وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هَيْبَةً ^(١) بطلت لديها سورة الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم لهُ ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشراً
وقال الأشجع في ابراهيم بن نهيك وقد ولي اعمونة :

شدَّ الخطامَ بأنفِ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح الساطان إلا هيبه تلقى البرىءَ بفضلِ جرمِ المجرم
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالشيءِ تكراهه وإن لم تعلم
ونهجت من حزمِ السياسة منهجاً فهمت مذهبهُ الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبدشعي عن المبرد :

وأنت حياً في الحروب محلهم والجيش باسم أبيهم يستهزم
بقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمامَ بالرُّدينية السميرِ
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفاً والجياد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي الهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابنَ عمِّ محمد رصدان ضوءُ الصبح والاضلامُ
فاذا تنبهَ رعتهُ وإذا هذى^(١) سلت عليه سيوفك الاحلامُ
فنقله أبو نواس إلى غزال فقال :
قاسيتُ فيهِ الهومَ والأطما وصرتُ فيهِ بينَ الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا تمتُ كانَ لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كاه قول النبي ﷺ « نصرت بالزُّعب » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ماشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشمِ حميدع
 يقومون من بُعدٍ إذا أبصروا به لا بلجٍ موقورٍ الجلالةِ أروع
 يدعونَ بالاسماءِ مثني وموحداً إذا حضروا بلبِ الرواقِ المرفع
 وإن سار كفَّ اللحظ عن كل منظرٍ سواه وغيض الصوتُ عن كل مسمع
 فلست ترى إلا إفاضةً شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيرٍ بأصبع
 وقوله: تراءوك من أقصى السماطِ فقصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
 ولما قضوا صدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسامِ سجيتهُ رسل
 إذا أسرعوا في خطبة قطعهمُ جلالهُ طلقَ الوجهِ جانبه السهل
 إذا نكسوا أبصارهم من مهابةٍ ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سرورهم تناثرتِ الأشرافُ منهم على الأرض
 وقال البحترى :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامه وقيامهم لعوده
 فاللهُ يكلؤهُ لنا ويحوطهُ ويعزهُ ويزيدُ فى تأييده

أبلغ ماجاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرىء ما يحسنه .
 وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرىء علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعدِّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
 كميل بن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
 ابن الزيدانى حدثنا على بن حكيم الاذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
 عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
 رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدان به تكسب به الطاعة في حياتك وجميل الاحدوثمة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لخدمة الحق لا بصيرة له في اجنائه فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أو لا ذا ولاذا فمنهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة إظهاره وإماخائف ائمه تبطل حجة الله وتبيناه وكم وأين أولئك الاقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسمع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلنوا ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقربحة إنها فخر المسكائر
واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً وبئسَ مُستودعَ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمرٍ دفاتر تلتقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضبعةٍ وكأئن رأينا من نفيسٍ يضيعُ
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعلّ ولم يثن اللسانَ على هجر
بصرفٍ بالقولِ اللسانَ كما اتحنى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو السكلا م إذا اهتديتَ الى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
ويعجبني زىُّ الفتى وجماله ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً ورُبما سمعت من الأعرابِ ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قببح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدر كت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنبارى عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفعالي
وبحثك في الأمورِ عن المعاني وتخريج المقالِ من المقال
وقولك بالصواب إذا أنارت شواهدُ ورفضك للجدال
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيمٍ ليفهمك الصحيحَ من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلى حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحث المودة وحاصد يذهب بالضعفين ومُله يوقف الاستماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقليل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليسكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید الله قال قال جدی : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا
يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن
اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتی
من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة
قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت
فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه
وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو
القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو
جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن
محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعمر بن الأهتم أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه
شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني
أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه
لزم المرودة ضيق العطن أحق الوالد لئيم الخلال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت
في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول
الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله
ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأوا أعجز
مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد
الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل
خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن
كعب فقال له ماتقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم السكرم وغرس
الجدود إن فيهم لخصلاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طمأناً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم همماً هم الجرة في الحرب والرشد في الجذب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودابع جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملسكتهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الا صغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدهم القادح وأي جد بلغ المزاح
ومثله : صارَ جِداً ما فرحت به رَبُّ جِدِّ جَرَّةُ لَعْبُ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه
أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري بوصى ولده وقومه
وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال
يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق
الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نابسكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي
به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن
يوسف فإنه الذي وطأ لكم المغابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر
وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يُمددِ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
 عزت ولم تكسر وإن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام على بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماتريان فان كان في نفوسكما شيء من بعة الوليد زرعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضينا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلتما لمتما قبلي ثم رفع طرف فراشه فاذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شعر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا. ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكتنا وهل بالموت ياللناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا منا ذرا حدنا به تحبظ فينا ناب آخر مقرم
 فسمع مسلة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشي ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
 إذا سُمتُهُ وصلَ القرابةِ سامني
 وأسعى لسكى أبني ويهدم مصالحي
 يحاولُ رغبي لا يحاولُ غيرهُ
 فإن أتصر منه أكن مثلَ رائش
 فبادر مني النأي والمرءُ قادرُ
 فإن أعفُ عنه أغض جفناً على القذى
 حفظتُ الذي قد كان بيني وبينه
 فما زلتُ في إين له وتعطف
 لا أستل منه الضغنَ حتى سلته
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاهها قال معن

ابن أوس المزني .

ومن أجمع ما قيل في المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرني
 عم أبي عن أبيه قال قال العتابي كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لي
 فأقبل يحيى بن أكنم فقامت إليه فقلت استأذن لي علي أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجة فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بي غير سبيلي قلت
 إن الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت وبالنقصان إن كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو إلى ازدياد نعمتك وتأتي علي ولكل
 شيء زكاة وزكاة الجاه رُفد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به علي من لجاه له) فقعدت ودخل فما لبث أن خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفیان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم فنادوا كروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته واذا صغرت عظمته واذا سترته تمته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك ان لهم ذكره وسناؤه ونغره فمهما أتيت من معروف فانما أتيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفًا وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا نتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله »

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نغفها من النجمة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيوماً وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فاجتمعت وأنا بالتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحي من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود

بثّ النوال ولا يمنمك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بثّ اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثلُ المعلى	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعه فيه البخيلُ
فما هذا المظالُ فدتك نفسى	وباعك بالندى باعٌ طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً	يقبلُ لديك لي منه الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتيلُ
وأطلق ماتهمُ به عساهُ	كفانى أيها الرجلُ النبيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت دارُ فاسرعَ بي الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُه	فما سدت على عزم سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرا الرجالِ ولا الغنى
ولسكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث السكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو بصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما ما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيته مؤنة السؤال ؟ قال لاني رأيت الذي
أخذت مني بمسألتي إياك بوجهي أكثر مما نالتى من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لمارأيتني أهله من انزال الحاجة بي إلا قبلتها وقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقليل له قد أقلت فقال وكيف لا أقل
ومضى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لآخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنني أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنني أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
ووصف من مقته فقال (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَعِيمٍ مَنَاعٍ لِلسَّخِيرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ) فذم قوله وفعله وعاب شيعته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاءً بما اكتسب من ذميمة الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكالا من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد المدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُرِيدِينَ كَمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمَدِ
يَقُولُ لَأُمِّ عَمْرٍو امْرَأَةٌ مِنْ هَذِيلٍ وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ وَهَبُ بْنُ عَمْرٍو
- وَقِيلَ وَهَبُ بْنُ جَابِرٍ - هُوَ بِهَا فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ يَوْمًا بِتَصِيدٍ فَخَلَّ ظَلِيمةً فَلَمَّا
أَخَذَهَا أَنْشَدَ :

فَالِكِ يَأْشِبِيهَ أُمَّ عَمْرٍو ذَا طَائِنَتْنَا لَا تَأْمِنُنَا
فَمِينِكَ عَيْنِهَا إِذْ تَنْظُرِينَا^(١) وَجِيدُكَ جِيدُهَا لَوْ تَنْطَقِينَا
وَسَاقِكَ سَاقِهَا^(٢) وَلَا أُمَّ عَمْرٍو خَدْلُجَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْبَرِينَا
وَأَسْكَ أَزْعَرَ وَلَا أُمَّ عَمْرٍو فَدَائِرُ يَنْعَفِرُنَّ وَيَنْثِينَا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أئبغ وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل إليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركت أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّدِ^(٢) للعدي من السرِّ ما يُطَوِّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لياليَ نفسهُ توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه عُذرةٌ ونحوها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودِّه أغانيجٌ حَوِّدِ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّةٌ تظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تُديرها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائنُ تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن اللهُ حلمك إذ غزا وسافرَ والاحلامِ جمَّ عثورها
لعلك إما أمٌ عمرو نبذت سواك خليلاً شامئى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضُ سنة من يسيرها
وهذا جواب لآثرى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها^(٦)

- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (ن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلح ، أدرك الجاعلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «تفش» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنه وفجورها» . (٤) في الاصل (وينى) .
(٥) تستخيرها : تستمطفها وأصم أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أى تعدل عنها . وفي الديوان (تجورها) .

ألم تنتقدها من ابن عويمر وأنت صفيُّ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكو من قريب مخانة^(١) فتلك الجوازي عقيبها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكينٌ على الحلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمرو علانيتها
ونخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمرو معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمرو أبي الطيرِ المرية غدوة على خالد إن قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودي بمثله عشيةً لآفته المنيةً بالردم
فأنك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منعت^(٢) الستارَ بين أظلم فالخزم
علمت بأن البابَ ليست؟ ولا البكر لا ضمت يدك على غنم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الخزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل:

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذلولونينِ ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاؤه فجاؤهُ وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا طابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقاؤه فيه متفجع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ
نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة .

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن في المودة شافع^١ إذا لم يكن بين الضلوع شفيح^٢
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تبعاً غدو^٣ إليك ورواحا حتى ماني البكور
وسمى التهجير وشكافى الطريق ولخافى الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ود^٤ امرئ متكاره^٥ عليك ولا في صاحب لا توافقه
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملئ الانسان إلا ملته^٦ ولا فاني شيء^٧ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائم^٨ ولست إذا مال الصديق على حرف^٩
إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كنى^{١٠}
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي وليبك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولسكني
أساحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١١) أتيناكم نعودكم^{١٢} وتذنبون فنأتيكم ونعتذر^{١٣}
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الاحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأعتنم

(١) في القاموس : ذره من خبر : شيء منه (٢) في الاصل (إذا مرضنا)

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جئتكم أستعيرُ فكيفَ إذا جئتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فلأعزَّ عندهمُ منسكبُ
يُقربُ مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقربُ
عتبتك للودِّ لا للقلبي وواصلُ صديقاً ماتعتبُ

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ أزوراراً من أخى ثقةً ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
فإن صدَدتُ بوجهي كي أكافئه فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبانُ

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم ليالي عودكم حلوا المذاق وفيكمُ مستعتبُ
فالآن إذا ظهرَ التعتبُ منكمُ ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهبُ

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برٌّ ينفعُ
واعلمُ بأنى لأمرشُ بحاجةٍ إلا وفي عمرى بها مستمتعُ

ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بفرتهِ (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كتبُ
نيس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجسى حين نحتجبُ
مدونٌ بابك لي باب الودِّ به وما وراءك لي مشوى ومطلبُ

وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المرِيثِ خيرٌ من الطمع الكاذبِ
وللريبُ تحصره بالنجاحِ خيرٌ من الأمل الخائبِ

وقال يمانب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برويته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمرعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطق
وانَّ امرأً ضنتُ بداهُ على امرئٍ
أخذه من قول مسلم :

وأحببتُ من حبها الباخلينَ
إذا سئلتُ عرفاً كسا وجهه
يفارُ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لا آل وهبٍ أكفُّ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غيارى دُونَ مجدهم
ومنها: دنيا والسكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى بيهجته
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ إستعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيرَ ناصر
فان أنتم لم تحفظوا لمودتى
قفوا موقفَ الملعون منى بمنزل
هي النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
بغايا ولن يرجى لديه ممنوعها
وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أبخلُ بالقرطاسِ والخطُّ عن أخ
وكفالكُ أئدى في العطايا من المزنِ

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً». (٢) في الديوان «أن يجوداً».

فلا يكن المبذول للوم^(١) سممه وقرطاسه^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر^٢ والحى للفعل الجميل شكور
لكن رأيتُ بيباب دارك جفوة^٣ فيها لصفو صنيعه تكدير
مابال دارك حين تدخلُ جنة^٤ وبيباب دارك منكرو^٥ ونكبير
غيره : (٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلبن قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدتُ إلى تركِ الحجب سبيلا
وقول أبى تمام * ان السماء ترحى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأوّل :
وإنى لأرجوكم على بطم سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبه ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت العلاء معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٣) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلتة تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول طارها
فلا تمكن المظل من ذمة الندى فبئس أخوال الأيدي الكبار^(٤) وجارها
فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادقاً^(٥) إذا ما سماء اليوم طال انهارها
وخير عذات المرء^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف^(٧) بالتسويق الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) اللوم) ساقطة من الأصل فاستدر كنها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العيثيل ، وفيه (يخف) مكان (بلىن) و (اللقاء)

في موضع (الحجب) . (٣) في ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) فى الأصل « ضارياً » .

(٦) فى ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) فى الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء، وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حجبه :
 قل لابن طوق رحاسه إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حليماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجره الفيحاء ^(١) مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زالك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصحاب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه اليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من بدى خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكمل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالعني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودُّك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن برع شرقي البلاد سوامه وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تحبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجماء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من دني الخطاب ووضع الدماء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصحاب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد نقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدرأً ولا الشبل ليناً ولا الفصن
 ساقاً ولا القظوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبر تيمناً وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا متكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفحك ويحطك
 ولا يرفعك استغادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مايأل من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض نبي هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولربّ مولى لا يبيضُ جاحهٌ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذلِّ

يطغى عليك وانت تلامُّ شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمانُ فضاقت فيه قلبي والمساء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون محله ؟ فمنزلكم للحمد والشكر منزلٌ

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألوكم فوق ما كان يسأل

وقصر عن مسعاكم كلُّ آخري وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغتُ الذي قد كنتُ آمله لكم
 ومالي حقٌ واجبٌ غير أني
 فإني أنتم أنعمتم وبردتم
 وإن كنتم أوليتموني تفضلاً
 وكم ملحفٍ قد نال منكم رغبةً
 وعودتموني قبل أن أسأل الغني
 وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تخسيسٌ^(١) النبوال ومطله
 فمجلٌ خسيماً أو فأجل موفراً
 وكن نخلة تلوى وتسني عطاءها
 وإلا فسكن عفاً أقر وبسراً
 وقال : يا شبية البدر في الحسن
 وفي بُعد المثال
 جُدٌ فقد تنفجر الصخرة
 بالماء الزلال

وله في المعانيب ما لا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته
 لا تجمعن علي العار والنار
 إن كنت أحسنت في وصفي ما ثركم
 فأثروا في بالأحسان آثارا
 وإن أكن قلت ما لا أستحق به^(٢)
 منكم ثواباً فردوه وما سارا
 إن المديح إذا مسار منفرداً
 من الثواب كسى من قاله طارا
 فقد بعز بلوغ في بلاغته
 وقد يظن سوى المختار مختارا
 أسهت فيكم لكي أعلى فطاطاني
 تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
 إن السلايم لا تبني أطاولها
 يوماً ليهبط بانين اغوارا
 لكن ليصعد انجاداً تشرّفه
 حتى يمد إليها^(٣) الناس أبصارا
 وقد هبط بما شيدته لكم
 من حائق ولعل الله قد خارا

(١) في الأصل « تظنيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت ما لا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١) وغائر منجد من بعد ماغارا
 نقلت في كفة الميزان فانكدرت^(٢) تهوى وشال خفاف الناس^(٣) أقدارا
 صبراً فكم ناهض من بعد وقعته يوماً وكم واقع من بعد ماطارا
 لابن سمير^(٣) صروف غير غافلة يحسن نقضاً كما أحسن امرارا
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلم أنافي نماك ردف وهم صدر^م
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم^م فلم كسبهم مدح ولم مكسبي جزر
 وماى لا أنفك أنى مسنداً ولى منكم ظهر وما مثلكم ظهر
 لعمرى لقد غوتت غير مقصير^م لتجبر من مالى وقد أمكن الجبر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لو ساعد الزمر
 وقلت: قد كنت توليني الحسى وتكرمنى وكنت أشكر ما أتى من الحسن
 فما بدا لك في مجود ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح في البدن
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا شكراً يكون لها من أوفر الثمن
 وحسن أحدوية لو كنت تبصرها حسبها غرة في جبهة الزمن
 أركب من المسك في أصداغ غانية كأنها قرأ أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد في الاستزاد والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فمنها:
 سيدهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعلع
 وقد طرف البحترى في قوله يستبطنى محمد بن العباس الكلابي:
 المثة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث — كما في جنى الجنتين.

ان كنت لاتنوي نجاحاً لها
وقوله : عمرت آبا اسحق مصلح العمر
فانت ندى نحيبا به حيث لا ندى
على اننى بعد الرضا منسخط
وقد أوحشتني ردة لم أكن بها
فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي
وما بالله يأبى دخولي وقد رأى
ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبي تمام :

وإذا المجد كان عونى على المر
تقاضيته بترك التقاضى

وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله
وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
وفي خلاف ذلك قول بعضهم : تقى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمى بشغلك
يحدو على اذ كرك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للمجد ولكن شراهة الشعراء
وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى

وقول الآخر : وأموت خير من حياة زهيدة

ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامساكى ليس

باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامساكى ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى

الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت ما كولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق

ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

السلوان وبعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة أخت العداوة والعداوة أم القطيمة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى الفحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك أخوانك ببعض العتاب لئلا يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ما تنكر منهم لئلا يوحشهم الخاحك. وهذا أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لي: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبائك وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بدأ فاقصد فيه ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في الحمد ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التفاضي	وليس لديك غير المطلب نقد
خلا وعد مددت إليه كفي ^(١)	فأعرض دونه مطلق يمد
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفيني من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجذت بكر من المنع واف
وأتبعته منكم لي بالمجاب	مهلاً هديت فني المنع كاف
كأنني سألتك حبّ القلوب	ذاك الذي من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما ترجوه منك فأننا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا نعتذر بالشغل عنا فأنما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت إليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قاتله العرب قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
والله لو ددنا أننا افتديناها بأملاكنا ، وقول زياد الأعمج :

لعمرك ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذو كران جريراً لما قال :

فوالله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذو كران جريراً لما قال :
والتغلبى إذا تنحنح للقرى حكَّ استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتبعية قاتل أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكمها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا اليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فحجبلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشقى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرقى بيتن خائفا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهي لعمري ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخالك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أئدى الناس كغماً وأشجعهم لقاءً
لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنه وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفجياء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيبة وأم علاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوئته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بنى عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كذلك رأى يزك عن هذا أ كفت تظن أن أحدًا من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنتا كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه تواري عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتا كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بمد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحك . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدرًا من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى جبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تفنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى طامر بن الظمیل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علقم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا ثار عجاج الكمه التائر
ساد وألفى رهطه سادة وكبراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعمروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد

علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتانى وعيد الخوص من آل جعفر فيا عبد عمر ولونبيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغانى بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمكم ويحرك ساج لا يوارى الدعامصا
 كلا أبويكم كنَّ فرع دطامةٍ ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرني يمتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القأتمات القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراھصا
 فعض حديد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواھصا
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ لنحن أغلظُ أكبأداً من الابل
 وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ الله دمعهُ ألا إنما يبكي من الذلُّ دوالٌ
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتهُ أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرةٍ وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة : جاريت قرماً أجاد الأحوصان به . جزل المواهب في عرينه شمم والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين - وعمر بن الاحوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .
 (٣) في طبقات الجمحي وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى « علقم لالنت الى عامر » فر على السنتم وسقط شعر الخطيئة .
أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتف العصفور طار فواده وليت حديد الثاب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا دراته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لاتعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا
ولى الدنيا بمخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لاتر حل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس وبجى
ابن زياد وحماة عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعترهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة نسيلاً قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباطُ الخيل معلة وفي كليب رباطُ اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم قالوا لأهمم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوهاً شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيولها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحران غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

أست كليباً إذا سم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن فى طبقته لحكم على جميع

ما فى معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل فى الاحتقار والتقليل والجنين :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوأت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل فى الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة الوتر^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يقدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشده :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فمادى بني العجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يقدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما بلغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكلك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كنّ من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
 قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما مسمى العجلان إلا لقيلمهم مُخَذِ القعبَ واحلبَ أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجأهم ولكن
 سلح عليهم قههدد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :
 ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الودّ العتابُ
 وهان عليك سخطى حين تغدو . بمرض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهى فى الاحتقار والحول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قومٌ من الحسب الزاكي بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
 ان الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر * لو يحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارئ القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
 لوكنت من كرم لوكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلنى حتى أرى أحداً بهجوه لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيادة الاعمج .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابَهُ ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأخبار بالأشعار قول الأول :

فلو آتى بليتٍ بهاشميٍّ خواتمه بنو عبد الداني
صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً قتالاً فلك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صعصعه
فسته رهط به خمسة وخسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوا كلما زادوا
ولا يهولنك من دهائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كل حي فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فأذهب فانت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

فجعله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقاته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « لهان على ما ألقى ولكن » .

فكنْ كَيْفَ شئتَ وَقَلْ مَا نشأ وأبرقْ يميناً وأرعد شمالاً
 نجابك لئوم منجى الذباب حتمه مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجد خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لاأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لانسبُ حماك لئومك أن تُسبأ
 وقال الآخر : بذلةِ والديك كسبتَ عزاً وباللؤمِ اجترأتَ على الجوابِ
 وقال غيره : دناءةُ عرضك حصنٌ منيعُ تقبك إذا ساء منك الصنيعُ
 فقلْ لعدوك ما تشتهى فأنت الرفيعُ المنيعُ الوضعُ
 وقلت : لست الوضعِ ولا الصغيرِ وإنما أنت الوضعُ عن الوضعِ الأصغرِ
 لانفخرنَّ وإنْ عدوتَ مقدماً فعلى جبينك سيباء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجهُ غالب قام له هجوى مقام الشرفِ
 يقولُ قد أسرفَ فى هجونا وإنما زادَ بذلك السرفُ
 غالبُ لاتسمى لتبنى العلاء بلغتَ مجداً بهجائى فقف
 قد كنتَ مجهولاً ولكنى نوهتُ بالمجهولِ حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيتُ من غيلانٍ إلا كما أبقتُ من البظيرِ المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لايقع فى حياته وفى موته فجريمة قول بعضهم :
 وأنت امرؤٌ منا خلقتَ لغيرنا حياتك لانفعُ وموتك فاجعُ
 وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهى قاصداً ولا تأمننَّ من العايرِ

ولكن وراك معراتها
تضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره:

إني هجوت بكل لفظٍ مقذعٍ
زيداً وكان له الهجاء مديحاً
وقلت: يا أبا القاسم هل أبصرت
شبهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك
أو لؤمك أو شحك
إن من شبهك الكلب
فقد بالغ في مدحك
وقلت: أهنت هجائي يا ابن عروة فأتجى
على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أنهمجو مثله في سقوطه
فقلت لهم جريت سيني على كلب
وقال ابن الرومي:

خسأت كلباً مرّياً مرّةً
فقال مهلاً يا أبا خالد
حسبكم خزياً بنى آدم
شركتكم إياه في الوالد
ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك^(١) لنفسه:

وعصبة لما توسّطتهم
صارت^(٢) على الأرض كالخاتم
كانهم من سوء أفهامهم
لم يخرجوا بعد إلى العالم
بضحك إبليس سروراً بهم
لأنهم عار على آدم
وقلت: قلت للكلب حين مرّ بي أخساً
فكأنني كويت قلبك كيا
أترى انني أعدك كلباً
أنت عندي إذا نبحت الثريا
ومن التناهي في الاستصغار والحوّل قول زياد الأعجم:

إذا ماتني الله امرؤ وأطاعه
فليس به بأس وإن كان من جرم
ولو جمعت جرم على رأس نملة
لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألتني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثلُ أخلاقِ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها للممة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشودها
إذا امرئياتٌ حللن^(٣) ببلدةٍ من الأرض لم يصلح طهوراً صعيدها
وقال غيره: لعمرِكَ ما تبلى سراويلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دولٌ وأحراها بأن تنقلا
هلا جعلت لنا كحكمةٍ دعبل في استِ أمِّ كلبٍ لانسواي دعبل
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيره فهيك لبرد نلت أمك^(٤) من برد

وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد عجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تها لحما في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ ما بينَ ذى فرح منها ومهموم
ومالكُ ظلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرٍ وبنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي (١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقييل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبيين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدروا أو يبخلوا لم يبخلوا

وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاختوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف إن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أقفاها الشعر

إن نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قلمروا الزنج عن أحسابهم قمر

كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ربح الكلاب إذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ربح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتميم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الأبواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أيك وخالك

وإن أحق الناس إن لا تلومهُ على اللؤم من أنى أباه كذلك

ومن الإفراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يؤس الناس من فتحه

فلو كان يملك أمر استه لما طمع الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة إلى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي . وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت أسار
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَسْأَلُنَّ أَبَا وَائِلَةَ
فَمَا سَأَلَ اللهُ عَبْدَهُ لَهُ نَحَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلَةَ
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ يا باهلي لا عَوَّلَ مِنْ قَبْحِ هَذَا النَّسَبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بازأهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدِ
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحالتُ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعثك منه بلا شاهد تخافةً أدركَ بالشاهدِ
وأبتُ إلى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَ لَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
 فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تَنْفَسَ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
 رَضِيَتْ لَتَشْتِيَتْ^(١) أَمْوَالَهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إلى الله أشكو أنني بث طاهراً فجاء سلوئي فبال على رجلي
 فقلت أقطعوها بآرك الله فيكم فاني كريم غير مدخلها رحلي
 وقلت : وقفت لديكم للسلام عليكم وقوفي على أطلال سلمى وعاتك
 يرومك تسليم العفاة كأنه بوادر طعن في الضلوع مواشك
 وما فيكم حر بكرم ضيفه ولكن إذا ما ساء أكرم نائله
 وإن كنتم ناساً وما أنتم به فإن القروء والكلاب ملائك

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليس بالحسن
 فلم أفر منهم إلا بما حملت رجل البعوضة من فخارة اللبن
 وهذا كما تراه ببلغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أتقفل مطبخاً لا شيء فيه من الدنيا تخاف عليه أكل
 فهذا المطبخ استوتقت منه فما بال الكنيف عليه قفل
 ولكن قد بخلت بكل شيء فحتى السلح منك عليك بخل
 وأنشدنا : وإن له لطبخاً وخبزاً وأنواع الفواكه والشراب
 ولكن دونه حبس وضرب وأبواب تطابق دون باب

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يذودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبنَّ بخيرٍ زلَّ عن يدهِ (١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليسته (٢) ان قال مجتهداً
 وان همت به فافكك بخبرته
 قد كان يعجبني لو أن غيرته
 وقال آخر : يزداً لوماً على المديح كما
 وقلت : خبز الأُميرِ عشيَّةً
 وإذا بدأ جلسه
 ومحوطه أحرأسه
 فالزورُ بضعُ عنده
 وقال آخر: قبي لرغيه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيه بكى عليه
 ودون رغيه قلع الثنايا
 وقال آخر: إن هذا القتي بصون رغيافاً
 هو في سفتين من آدم الطا
 ختمت كلُّ سلة برصاص
 في جراب في جوف تابوت موسى
 وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ
 لثيمٌ إذا جاءه طارقٌ
 كأمثال الملائكة الغضاب
 فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرض أحياناً
 «لا والرغيه» فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمه ودمه
 على جرادقة كانت على حرمة
 يزداً نتن الكلاب بالمطر
 يغدو عليه يلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذب عنه كتابه
 والضيف ينتف شاربه
 واكيلان من دررٍ وشنر
 بكاء الخنساء إذ فجمت بصخر
 وحرَّب مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كل (٣) من سبيل
 نف في ساتين في مندبل
 وسيور قددن من جلد فيل
 والمفاتيح عند ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كل ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يمنهمُ ماءً
فما ولنغ الكلبِ في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ
وسمعتُ عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابسُ الرُّوثَ في أعفاجِ بقلته خوفاً على الحبِّ من نقطِ العصافيرِ
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدتُ فأكدتُ المواعيدَ بيننا وأقامتُ إقلاعَ الجهامِ بلا وبلى
وأجررتُ لي حبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرفِ الجبلِ
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدورَ الناسِ سوداً من الصلَى^(١) وقدرَ الرقائشِ زهراءَ كالبدْرِ
يُبَيْتُهَا للمعتنى بفنائهمُ ثلاثاً كنقطِ الثاءِ من نقطِ الخبرِ
إذا ماتنادوا للرَّحيلِ سعى بها أمامهمُ الخولى من ولدِ الذرِ
ولو جنتها ملائِ عبيطاً^(٢) مجزراً لا خرجت ما فيها على طرفِ الظفرِ
غيره: يحصنُ زاده عن كلِّ ضررٍ ويعملُ ضرسه في كلِّ زادِ
ولا يروى من الآدابِ^(٣) شيئاً سوى بيتِ لا بُرْهَةَ الأيادي
قليلُ المالِ نُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفسادِ
وقلت في مثله :

يطعمُ دُونَ الشبَعِ أولادَهُ ويختمُ البُرْمَةَ والجفنه
لم يروِ إلا خـبـراً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالفطنة
وقال آخر: ظلمتكَ اذ سألتكَ ماءَ كرمِ وماءُ الكرمِ للرَّجلِ الكريمِ
وقلت: لك بُرْمَةٌ تزَّهتْها من أن تَدنَسَ بالدَّسَمِ
بيضاءَ يُشْرِقُ نورُها كالبدْرِ في غَسقِ الظلمِ

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ الممدَّحَ في الأمم
أو كانَ فعلك مثلَ قو لك كنتَ تاريخَ الكرم
ومن أبخل بيت قيل :

وما روَّحْتَنَا لتذبَّ عنا
وقال أبو نواس بصف قدرآ :

بفصُّ بملقوم الجرادة صدرها
وتعلَى بذكرِ النارِ من غيرِ حرِّها
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمى ويحتمى
فلستَ ترى في بيته غيرَ جامع

ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :

إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجدتهُ
وليس عجيباً ذاك منه فأنهُ
يزيد به يبساً وان ظنَّ^(١) يربط

وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :

رغيفك في الحجابِ عليه قفل
وحراسٌ وأبوابٌ منيعه

رأوا في بيته يوماً رغيفاً
فقالَ لضيفه هذا وديعه

وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ دونهُ حاجبٌ
وحاجبٌ حاجبهُ مُحْتَجِبٌ

وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرضُ وجهك صخرةُ
في غيرِ منفعةٍ مؤونةُ حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :

الجمال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان

ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لا تتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبُ أسرفتُ في مدحه
 حجابهُ أزمسني منزلي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرَّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعد فأذكرهُ
 ليس له ما خلا اسمه نسبهُ
 وانخيرُ يأتيك من يدي عمر
 كأنه آدمُ أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتِ
 وقلت: إن كانَ شكلك غير مُتفقٍ
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحاتٌ كثيرةٌ من رجال
 معلماتٍ أن لستَ بآبن حلالِ
 فكذا خلاك غيرُ مؤتلفه
 صورت من نطف قد اختلفت
 شبهت داركم به عرفه
 فانت خلاك وهي مختلفه
 فورئت من ذا قبيح منظره
 وورئت ذلك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا تزرى به الصدفة
 غيرتني أن رُحت في صملي

(١) في الأصل غير منقوطة.

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعَرَضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصْلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحاقٍ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
 لا يلتقي والعلمُ في مجلس أو يلتقى الإدراكُ والفوتُ
 و كتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدبت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر:
 وثقيل أشدّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الآليم
 لو عصت ربّها الجحيمُ لما كا نَ سِوَاهُ عَقُوبَةً لِلْجَحِيمِ
 وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا نَ خَفِيفاً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
 ولقد قلت حين طلّ على القوم ^(٢) م ثقيلٌ أُرْبَى عَلَى تَهْلَانِ

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 المقدم الفرید « ولقد قلت إذ أطل على القوم » . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً
حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنت فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ
حُقرَ الفضلُ ثم صغرت عنه
ثم عرجت فأحتواك انتقاصٌ
ثم بردت فانتصفت من النا
قبولُ النفوسِ إليك عندي
إنَّ قوماً أصبحت تنفقُ فيهم
أو أناس غدوا وراحوا من الظَّر
فتى ظفروا بزورٍ ظريفٍ
كلأ عاريب لم يروا درمك البسر
وكذا القومُ لم يروا لجة البحر
ياتقيلاً على القلوب خفيفاً
طر سخيفاً وقع مقبلاً فطوراً
وله : وتقبل نسيحانه من ثقيل
حمل الله أرضه ثقليها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه في كلمة :
أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلهِ (٣) وأنت جرادٌ ليس يبقى ولا يدَرُ
له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنت تعني دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطة» وفي الاصل نقص كلمات إستكملناه
من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغاني (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطانُ خزياً بخالد فهل لك فيه يبخرك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك بقول
 في قبيلة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وأن جهدتَ ببالغ^(١) سعى ابن عمك في الندى داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّ لم ليس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مذمَّمٌ عجباً لذاك وأنتا من عود
 ولربَّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشٌّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضيعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اخترتَ حميدهم ألفيته مثل الذمِّم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبرِ الجسو م ولا تسلِّ رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قبل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاءُ
 أتتهجوه ولست له بكفءٍ فشر كما لخير كما الفداءُ

(١) في الأغانى (بمدرک) . (٢) في الأغانى (ذى الملا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغانى .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغانى .

(٥) في النسخ بياض وله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقار بها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد بلد الحُرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبَنَّ الناسُ منكُ ومنها فما حَبَّثُ من فضةٍ بمعجب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً نا جعفر بن محمد قال أهدجى ما قالت العرب قول الشاعر:
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الخليغان المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعى أبو دلف أنشد :

لا يمينك خفض العيشِ في دَعَا نزوعِ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ
 فقال هذا ألام بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردى . والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف ألام بيت قاتله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاقَ أوَّلَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائل ناظري وغصنُ ثناه بالغداةِ يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْودَ إِذَا أَتَتْ بِنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدَوَى
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعِ الْعَهْودَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِمَأْمِنٍ
 وَسَنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (١). وَمِمَّا لَانْتِكَادِ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأَمْرَاءِ بِبَرْقَعِيدٍ (٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَمَلَ الْأَمِيرُ يَعْتابُ جَارِيَةً بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدْبٌ لِعَمْرُكُ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدَّبُ بِرَقَعِيدِ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ (٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ (٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقَيْودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ بِصَطْكَ الْحَدِيدُ

وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدُمُ :

قَلَّ خَيْرٌ ابْنِ قَاسِمٍ فَفَنَاهُ كَعَدَمِهِ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرْيِ يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّؤْمِ حَدَّهُ كَأَيْهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ
 قُلْتُ : قَرَانَا بَقَوْلًا إِذْ أَنْخَنَا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرْيَ وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ (٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلسكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أغبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائزٍ وان جازَ في فقه^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^٢ تعاورُ ضيفٍ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نظوى على الطوى كأننا على غبراءٍ من ظهرِ واشم
 وأطعمنا لما مرقنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لانساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوَّرَةً سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيشِ قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارو بناه للحطية ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عني لستَ بي أخبرَ مني

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسميجُ في العيينِ فدعَ عنكَ التظنى

أنا لا أسلم من نفسي فمن يسلم مني

وهجأ أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجلٍ وعده أبو نواس وعداً ثم مطلقه :

وأخوس^(٥) ولاجٌ على ورائح^٦ رجاء نوال لو أعين^(٦) بجود

زَوَيْتُ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)

فان كنتَ لآعن سوء فملك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فمندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومي :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبرٍ لشرٍ منتظرٍ ياشرٍ منتظرٍ

(١) في الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيما سياتى .

(٢) في الأصل (فرقنا) . (٣) بريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بانحاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لويغان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فإن تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
 رأيت عيبك شعري حين تالمه شبيهه عض أخيك الكلب للحجر
 فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شيئاً منه ولم تذر
 وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقيدي ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه
 سريت ونومي فيه نومٌ مُشردٌ كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
 على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه أبو جابر في خبطه وجفونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها مسومةٌ تدعوا عبداً وأزماً

أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
 وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
 ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكثر عليهم ورجالا
 وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب

وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره يحول أويغور من صفره
 لو صاح في الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
 يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قَرْنُ سُلَيْمَانَ وَدَ أضرَّ به شوقٌ إلى وجه سيدنغه
 لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي العمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلت تشجمني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هأني شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعير البهاليل
ما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصمت أطوى الغلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و حتى تخلصت مخضوب السر اويل
وهذا خلاف مقاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدية فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرار بمروان قتل له عاد الظلوم ظليماً همته الهرب
أني الفرار وترك الحرب إذ كشفت عنك الهويينا فلا دين ولا حسب
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداء فكاب دونه كلب

فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنغر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفرجة ينفر من ظل الشجر فواده أنثى وضرسه ذكر
والنفرجة الجبان . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الذنبي يخسر بالعجائب بعد سبعة
خلعوا عليه ويجلو ه وصار في عز ومنعه
وكذاك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه
وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقطلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
 جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
 وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجني ويرقدُها وقد كشفَ الغطاء
 ويأخذني ويطرُحني عليها ويرقدُها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمة سحا علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألني بعض الأديباء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذي يقول :
 أتبه على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقاً لتهدت على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فإن صدقوا أتى من الانس مثلهم فما في عيب غير أتى من الانس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
 النطفة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
 ومن بليغ ما جاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد
 من السخاء والأدب مع الكبر والمعجب . وقلت في مثل هذا :
 وعندهم مُذنبٌ مُنِيبٌ أحمد من محسن مدلّ
 وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يألت لي من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت ووجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فإنها خلعت خلعاً العدم^(١)

فهي تستهلك الجيـل وتأتي على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعدياء هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم نظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الخصى ريم تحت السنابك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فانت منسه الدهر في طرفه

ومن أنجل مقاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

اجعل الزوج من سراجك فرداً واقتصد يا غلام والقصد أجدى

(١) في الاصل (الحلم) .

ان يكنُ فمكد الضياء رديئاً فاقنصادي للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ماجئتَ أحمدَ مستيحا فلا بفرركَ من ظرهُ الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبراقيةُ تروق ولا تريق

ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئتَ بالبنِ أبي تبّعَ بأمِّ الدّواهي لدى المجمع
حلفتُ بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بأبائهم أتيتهمُ بالمعجب العاجب
قلتَ وأرغمتَ أباً خاملاً أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودعتهُ السرُّ فالفيتهُ أتمَّ من كأسٍ على راح

وقال السري :

ثنى عنك فاستشعرتَ هجرا خلالَ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتَ سرّاً أتمَّ من النسيم على الرِّياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهيد الذي عهدتَ إلا كما يمسك الماء الغرايل

وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالآ إذ استودعتَ سرّاً وكانونا على المتحدِّثينا

والسكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

بيت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل « حلفتُ بأبائك » .

وقدمر فيما تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدَتْ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وَقَلَّتْ أَمْدَحَ بِهِ مِنْ شُدَّتْ غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِيَا وَقَدْ أَعْلَقَتْ^(٢) فِيهِ مَخَازِيكَ اللَّوَاتِي لَنْ تَبِيدَا

ثم أخنى عايشه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحري مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

وَوَجْهُ ضَمَانِ الْبَشْرِ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى النَّجِجِ وَالْحَاجَاتِ تُتْرَى عَجَالَهَا

بِهِ مِنْ صَفِيحِ الْهِنْدِ وَشَمٌّ تَبِينُهُ صَفِيحَةٌ وَصَّاحٌ يَرُوقُ جَمَالَهَا

مَتَى رِبْدَتِهَا عِزَّةٌ أَوْ حَفِيظَةٌ أُعِيدُ إِلَيْهَا بِالسُّؤَالِ صَقَالَهَا

مَتَى تَرَاهَا يَوْمًا عَلَيْهَا دَلِيلُهَا تَعْجَبُكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَيْهَا هَلَالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بُوجَهُ أَبِي اسْحَقَ صَدْعٌ كَهْرُضَةٌ لَهُ قِصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ يَظْهَرُ

يَخْبُرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَثَرُ ضَرْبَةٍ يَبْعُضُ سَيْوْفِ الزَّيْنِجِ حِينَ يَخْبُرُ

وَمَا ضَرْبَتُهُ الزَّيْنِجُ فِي الْوَجْهِ بِلِرَأْيِ أَبُورِهِمْ فَا نَشَقُّ فِي وَجْهِهِ حُرُ

فِي آيَاتِ سَخِيْفَةٍ فَطَلَبَهُ ابْنُ الْمَدْبَرِ أَشَدَّ الطَّلَبِ فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ أَرَادَ قَتْلَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَقَّقْكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَمَّلٌ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنِ عَبْدِكَ الْمَسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَعْوُ مَا تَسْتَحِقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال بهجو بخيلاً :

نَمَّاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرُبُهَا أَنْكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وَجَبَّكَ الدَّمَّ لَأَتَّقُ بِكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنْزِيرِ بِالْقَنْدَرِ

أَبْدَيْتَ فِي أَوْلِيَاتِ لَوْمِكَ مَا قَدَرْتَ فِي أَخْرِيَاتِهِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعبت). .

كالقطران الذي يرى أبدأً في رأسه ماقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوانٍ الشبابِ عاجلنى الشيبُ وهذا من أول الدنّ دُردي
وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفَعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيهِ يأخى زمانه
بات للبرد في طهارةِ سوءِ ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيفِ جُوعٌ وقرٌّ ولمولاهُ ذِلَّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في يئسه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوا
ثمّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ هف نفسى على رغيفِ أضيعا
كان خداعةَ الضيوفِ ولكن ربما أصبحَ الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزته محلاً رفيعاً فنذا ذلك الرفيعُ وضعيا
عجباً منه إذ أتيجَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينهما في الأخلاق)

قال الأوّل في ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيدَ قومی سميك لايزيدُ ولايزيد
يقودُ عصابَةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهِك في الولادةِ والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود
ومثله : علىٌ وعبدُ اللهِ بينهما أبٌ وشتانَ ما بين الطبايعِ والفعلِ
ألم ترَ عبدَ اللهِ يلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىٌ على البخلِ
ومثله : فان يكَ بحجرانا إلى جمعِ نسبةِ ففي الرأى والأخلاقِ مختلفانِ
وما أنتَ مثلى في مقامِ أقومهُ

آخر: لئن وصلت أبوتنا انتساباً لقد قطعت مرارتنا العقول
 أبوك أبي وأنت أختي ولكن تباينت الطبائع والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما أهدت بيت
 من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس:
 ألا فاسقتي خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقتي سرًّا إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقتي خمرًا، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهدتك من هذا قال وما هو؟ فأشدته:

أبتعت سُكْرًا بسكر وابتعتُ خمرًا بقر

فقال هذا لعمرى أهدتك من ذلك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوؤة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايقاً مرضياً؛ وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماؤهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن الثوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سيروا فقد جن الظلام عليكم
 فدفعنا إليه وهو كالريح خاطباً^(٣) فشد على أكبانا بالعمائم
 ومالي من ذنب إليه علمته سوى أنني قد جثته غير صائم
 فلولا يد الفاروق عندي رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فردناها إعتاداً على ماورد في أسانيد

الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة

للحزین باختلاف في بعض الالفاظ. (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً ».

فليتك من جرّم بن زبّان أوبى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
 أناس إذا ما الضيفُ حلّ بدارهم غداً جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبها عاصماً من أن تلمّ به - أعنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفان
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرّب الموت يمشاهُ على خبزك مكتوبٌ سيكفيكمهُ اللهُ
 وقال بشار (١) :

وضيفٌ عمرو وعمروٌ يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفُ للجوع
 آخر : نوالك دونهُ خرطُ القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرّمت المنام إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكنى هجوتك للكساد
 وقال آخر : رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ لبخله وتصحيفه ضيفاً فقام بوائبه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للبال ربا فصار في البخل عبدهُ وصحف الصيفَ ضيفاً فقام يطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ماشقٌ يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريراً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفائك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألقى بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبداعٌ ظرفاً
 مزجه العذب بماء السببر كي يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقيةُ البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كعقواء مغرب تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمرّ ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم ير أوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزهُ الا كليب بن وائل ليالى يحمى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذ هو لا يستب خصان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليياً لم يكن ذاك عن ذلّ
 واسكن قضاءً ليس يسطاع رده بجيلة ذى مكرٍ ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستب خصان عنده * على قول مهلهل
 * واستبّ بعدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قل ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مفرز أشفى) .
 والأشفي بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من نقتها ثومةٌ لكنها في اللونِ أترجَه
 تفاوتتْ خاقمتها فاغنتتْ لكلِّ من عطل محتجَه (١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرنِيخةٌ شيبتْ بلبلنجه
 خراجةٌ للفسقِ دَخالةٌ تعجبها الدخلةُ والخرجه
 كأنما فمحتها فحمةٌ فت عليها عابث ثلجَه

وهي أبياتٌ سخيصةٌ تركتْ أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجَه *
 إلى موضعٍ آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيتْ نعمي تسربلتها كم حججةٌ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتْ فماذا اعتضتْ قلتُ لهم خرقَ النعالِ وإخلاقِ السراويل (٢)
 ذاك الأميرُ الذي طالتْ علاوتهُ كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا : قفا ملك يقضي الهموم على بثق °
 وقلت : سوداء يذرفُ دمهها مثلَ الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبحها سلحُ العليلِ على الخرفِ
 وقال أبو تمام :

فأشهدُ (٣) ماجسرتَ على إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيتْ به ندبما فأنتَ نسيجٌ وحدك في القناعة
 ولو بدلتسهُ وجهاً إذا لم أصلٌ به نهراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوقِ راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعيت له من جانب السوقِ مخظة توهمت أن السوقِ منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجَه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقدر به أنفأ وأقدر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعزيتك في البيت بطوفٌ

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلي خنافس سودا في صراة قلب
وأما خص الأنياب العلي دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التأؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلي لأفقر مني انى لفقير
فشبهه أسنانها بالخنافس وسعة فيها بالقلب، والصراة: الماء الفاسد فشبهه به فساد
نكبتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نقش عرفه بقاتل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبخر قول ابن الرومي:

من سدة في أنفك المورم	تحسب مزكوماً وان لم تزكم
إن لم تنخ مرة تنخم	محشرج الصدر يطل بلغم
دكنا رقطاء بقيح أودم	نخامة كالضفدع الموشم
تضطر من أنف وتفسو من فم	متخطاً بالسكوع أو بالمعصم
حتى دعاك الملائم أرحم ترحم	ذانكهم من لم تمته يصدم

وقال جحظة^(١) في البخر:

وأعرض عني جانباً فحييت	تنفس في وجهي فكادت أموت
وربكما يا صاحبي خربت	ونسى؟ حتى حسبت بأنني
	وقال بعضهم في سرعة الكلام:
فراريج يلقى بينهن سويق	كان بنى رالان إذ جاء جمعهم

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة.

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فوهاء شوهاء لها شعرة
كانها خمل على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديبنتف :

وَخَدَهُ مَشُوكٌ مَزُورٌ التلويز
وَأَنفُهُ كَسْتَرَةٍ مَشْتَرِقِ الْاَفْرِيزِ^(١)

وقلت : لعب الزمان بحسن وجه محمد
قد كان معروف الجمال فلم يزل
عهدى به متكفراً متعصفاً
وكانما صدغاه في وجناته
لعب الصبا بالربع حتى أقفرا
ينتأبه^(٢) الحدان حتى أنكرا
ثم اغتدى متصنلاً متزعفراً
جمالان ينتابان سلحاً أصفراً

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كعبة النبك التي نصبت له
فتبيت بين مقابلي ومدائري
كأجيري المنشار يجتذبانه
ولأعرفه سبق الى هذا المعنى وهو من أطرف معنى وأعجبه .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رأيت في دار حسين مشرعه
لها بظور في استنها مجمه
وامرأة قاعدة مربعة
كانها أترجة مقمه

وقال في خصي أراد أن يتزوج بالمرأة :

قل لنجح أخطأت باب النجاح إذ تعاطيته^(٥) بلا مفتاح
لست بالسابع المجيد فدع عنك ركوب البحار للسباح

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فظع الحب بالخصي^١ كما يظع فقد المردي بالملاح
 ليت شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجه^٢ قرد حائل اللور جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قفراه كونيم الذئباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح^٣ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأبحاح
 إن من يعشق النساء بلا أفسر كئيل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شهبوا القروود ولكن خالفيها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعده الله ذلك السبال فقد كان سترأ على مستراح
 وقال ابن السكن:

رجل^٤ يعق الكأس كل عشيّة ويعاقب المساك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصف
 لعن الله ليلة بت^٥ فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لاعدت^٦ فقالوا له من يبع فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرقيق إذا قبلت صحفت التقبيل تقبيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتركوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلمود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقبيلًا
 فاحشةُ النقصانِ لكنّها قد كملتُ بالبظرِ تكميلًا
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البظرِ تفضيلًا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أعارتَ بظرها الفيلا
 غول بييت الشرب من قبحها يرونَ في النومِ التهاويلًا
 ما أحسنَ الأزعمَ طوقًا لها وأحسنَ الأسودِ اكليلا
 قد عذّبَ اللهُ امرأً نالها طورَينِ تعجيلًا وتأجيلًا
 لها ضراطٌ ريمهُ عاصفٌ يطفيءُ في الليلِ القناديلا
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويلًا
 أحللت تنكيلى يباب استها فكان للتنكيلِ تنكيلا
 لورامت التوبةَ لم تستطعُ لسنة الشيطانِ تبديلا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيلِ تذيلا
 وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو وجودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين نجان الدارج^(٢) وفرّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوانق
 وقال الآخر : ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه إنسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت إبطه فرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الدينج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيّة قاضي القضاة لوجهدت مجهدّها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد الكرمي توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رقية بن مصقلة لأبي شيبه القاضي : لو كانت لحيّتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للمدلّ بلحية موفورة وسما ولحية كلّ ألحى جهله
 لا يبعجنك طول نبذك إنّه من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيّة عليك وتعرض فالتحالي معروفة للحمير
 علق الله في عذاريك مخلا ة ولكنها بغير شعير
 لو غدا حكما على لطارت في مهبّ الرياح كلّ مطير
 ارع منها الموسى فانك منها شهد الله في أنام كبير
 أيما كوسج رآها فيلتي ربّه بمدّها صحیح الضمير
 هو أحرى بأن يشك ويغري باتهام الحكيم في التقدير
 ماتلقاك كوسج قطّ إلا جورّ الله أيما تجوير
 لحيّة أهملت فطالت وفاضت فاليها تشير كفه المشير
 مارأتها عين امرى مارأتها قطّ إلا أهل بالتكبير
 روعه تستخفه لم يرعها من رأى وجه منكر ونكير
 فأتق الله ذا الجلال وغير منكر منك ممكن التفسير
 أوقصر منها فحسبك منها قيد شير علامة التذكير
 لو رآها النبي يوماً لأجرى في لحي الناس سنّة التقصير
 واستحب الاحفاء فيهنّ والحلسق مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْمُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةٌ البعض من البعض
 مضى الى السوق وعُثِنُونَهُ أقامَ في البيتِ فلم يمض
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يملأها بالطول والعرض
 يدُوسها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجاهز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفنها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهينَ لحيةٌ طوولُه شطرُ طولها
 فهو الدهرُ كله عاثرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لترك التشنيع المفظوز من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخيخ الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجرير والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جرذٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كافي
 كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالى في الامالى لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبطية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره: ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامه
 وقال آخر: يمثر الناس في الطريق من دمامته؟
 وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً^٢ بقدي لم يزد فيه القيام^٣
 وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صفر الجثاب والقرص
 وقال: وعازب الرأي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر:
 إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فحم
 وقال ابن الرومي في القبح والسواد:
 وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
 كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر
 وقال ابن طباطبا في مجذور:

ذو جدري وجهه يحكيه جلد السمكه
 أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
 أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشبكه
 أو سفر محبب أو كرش منفرکه
 أو منخل أو عرض رقعته منتهكه
 أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلکه
 أو كور زبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبكه
 أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
 يفضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جَدَرِيٌّ مَا شَأْنُهَا وَهِيَ شَيْنٌ كُلُّ أَثْرِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ نَقْشٌ
 بدلت من ضفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمره مخبره ومنظره
 شعره تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
 عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
 فصادف على بابه عثمانين أسودين كالفتح متممين بعمتين حراوين فامتحنها
 فوجدهما من الأدب خاليتين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رَأَيْتُ بِيَابَ الدَّارِ اسْوَدَّ بَيْنَ ذَوَى عِمَامَتَيْنِ حَرَّ أَوْ بَيْنَ
 كَجَمْرَتَيْنِ فَوْقَ لَحْمَتَيْنِ قَدْ غَادَرَ الرُّوضِ قَرِيرَ الْعَيْنِ
 جَدُّ كَمَا عَمَّانُ دُوَّ النَّوْرَيْنِ فَالَهُ أَنْسَلَ ظُلْمَتَيْنِ
 يَأْقُبِحَ شَيْنٍ صَادِرٍ عَنِ زَيْنِ حَدَائِدِ تَطْبَعُ مِنْ لَجِينِ
 مَا أَتَمَّا إِلَّا عُرَابَا بَيْنِ طَيْرَا فَقَدْ وَقَعْنَا
 ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين
 وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين
 ستعطيان في مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم^(١) بما ساءه وساءه كرتك الخاسرة
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهرة
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحبي أسد القاهره
 أبارك المكروه من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتبع لأبي تمام مخلد الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأني غادته من المنى وقطمان من السكر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاهه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روجي ضرب الله شقته بغنايه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختلّ اليدين

مارآه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع للذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لارتفعت
وكما انخفضت فيه مرزومة
لا تحد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقة
وقال الناجم : وقية شتمها قنوت
مقودة الكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تفتى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
ماعجبي منه ولكني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ناسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تفتي لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لحة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج الالحى قول البسامي :

قالوا تفسير عن ملاحظته
يازهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان بريكم العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سعيد بن حميد :

فلا آن حين بدت بخدك لحيته
 وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه السر
 ذهبت بملحك ملء كف القابض
 تب وخف الله على كفك مما اجترحت
 هل لك عنر عنده إذا الوحوش حشرت
 بلحية ان سئلت بأى ذنب تنفت
 وقلت : حصلت في سى ذا غلظة
 يالحيه هتك أستارها بأصبع منه وأظفور
 فخذ من سح ؟ تارة وتارة من قشر بلور
 فتارة كالمسك في لونه فتارة في لون كافور
 يعجبه الرد فيحكيمهم حكاية زور من الزور
 يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة في النور
 وقلت : من شقوة الرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم
 ياويحهم من لحي جدت منافشهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم
 قد آتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فربما استثير العز من تحت الذلة واجتنب الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب لمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، وما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختم^(١) جأثما متحيزاً^(٢) بمكانه ملء اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى المجسِّةِ بالعبيرِ مقرمد
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لا عظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدوهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يمتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للعمرِ مذهبٌ
لئن كنتَ قد بلغتَ عنى خيانتَهُ لمبلسك الواشي أغشٌ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أحاً لانتكهُ على شعثِ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهه أنا في ودوني راكسٌ فالضواجع^(٣)

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبت كآتي ساورتنى ضئيلة^١ من الرقش في أنيابها السم نافع^٢
 أتاني أبيت اللعن انك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع^٣
 إلى أن قال :

فان كنت لاذوالضفن عنى مكذب^٤ ولا حيافي على البراة نافع^٥
 ولا أنا مأمون بشيء أقوله^٦ وأنت بأمر لاحالة واقع^٧
 فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المتأى عنك واسع^٨
 وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار^(١) على زار من الأسد
 مهلاً فداء لك الأقوم كلهم وما أتمر من مال ومن ولد
 لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأتمك الأعداء بالرقد^(٢)
 ما قلت من شيء مما أتيت به إذا فلارفعت سوطي إلى يدي
 ها إن ذى عنرة إلاتكن نفعت^(٣) فان صاحبها قد تاه في البلد

فخلع عايه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا
 الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
 البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
 لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها
 وقصيدته في صفة البركة . ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها . واعتذاراته في قصائده
 إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي
 وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها . ألم تر تغليس الربيع المبكر .
 وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
 إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
 أولها . لوت بالسلام بناناً خضيباً . فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولا مقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافى ،
 والرقد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْنَاكَ مِنْ أَيْ خَطْبِ عَرَا
 وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ قَدْ حَالَ فِيَّ
 بِرَيْبِنِي الشَّيْءَ نَأَى بِهِ
 وَآكْرَهُ أَنْ أَمَادَى عَلَى
 أَوْ كَذَّبَ نَفْسِي بَأَنْ قَدْ جَنَيْتَ^(١)
 وَلَوْ لَمْ تَسْكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ
 أَيْصَبِحُ وَرَدَى فِي سَاخِطِكَ
 وَمَا كَانَ سَخِطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ
 وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَّا
 سَأَصْبِرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضَاكَ
 أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصْحَ
 وَقَوْلُهُ : عَذِيرِي مِنَ الْإِيَّامِ رَتَقَنَ مَشْرَبِي
 وَاسْتَبْنَى سَخِطَ امْرِئٍ بَتُّ مَوْهِنًا
 تَبْلُجَ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَانطَوَى عَلَى
 إِذَا قَاتَ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهَا
 وَأَصِيدَانِ نَازَعَتْهُ الطَّرْفُ^(٢) رَدَّهُ
 ثَمَّ الْعَدَى عَنِّي فَأَصْبَحَ مَعْرَضًا
 وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرْتُ
 أَمْتَحِذُ عِنْدِي الْإِسَاءَةَ مُحْسِنًا
 وَمَكْتَسِبًا فِي الْمَلَامَةِ مَا جُدُّ
 يَخُوفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشْرًا

(١) فِي الْأَصْلِ (فَأَوْلَيْتُنِي) (٢) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (أَوْ كَذَّبَ ظَنِّي بَأَنْ قَدْ سَخِطْتَ).

(٣) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (نَازَعَتْهُ اللَّحْظُ).

أعنيك أن أخشاك من غير حادث
 ألسنت الموالى فيك نظم^(١) قصائد
 أعدت نظراً فيما نسخت هل ترى
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمت
 وكان رجائي أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الغي مذهبها
 ولم اعرف الذنب الذي سؤتني له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذ كرك العهد الذي ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لي الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أداة
 وان صنع المعروف زاد ونما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثماناً وثماناً وثماناً وثماناً . وكتبت: وسيلتي
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعرافك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط
 فتفضل علي بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجنتان تذللني لك وأخرى ردك لي . وقد
 قيل: ارض لطالب الخسوع ذنباً مثلاً الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر علي العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذر أقدمه وأقوى سبب أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك في حرائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن علي رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعته شفيع لطالب شاكر ولا في لا أبلغ

المجهد ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندي بدون إنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلف من الاجفاف ، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن
ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحملة من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لِأَنِّي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْعِدٍ وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي حَالِ سَلِهِ إِلَى الْهَرَزِ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيَا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فمعا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَبَسْوَهِ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَهُ مُسْتَعِيدِ
وَإِنْ تَعَفَّرَ فَاحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرِ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك وامتعت بأحبتك وأعطاك مأمولك
في نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش في ضمان الفرح ويبوء حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحدرون بذله اللثيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف و كراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طرقة وتأمل ما هديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظرك وشحذاً لناظرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرقت عينك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل

يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدنه علة بسهميك يعنى عينيها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخنّ نعامنا

ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقاها نخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعودَ اليها القلبُ مُشتاقا

وقد أحسن ابن الرومي ولأعرف في معناه أبلغ منه :

أطاعتها والنفسُ بعدَ مَشَوَقَةٍ اليها وهلْ بعدَ العناقِ تداني

والثم فإها كي تموتَ حزازتي فيشدُّ ما ألقى من الهيجان

وما كان مقدر الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفتُ الشفتان

فإن فؤادي ليس بشفي رسيه سوى أن ترى الروحان تمتزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتَ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ

وقبَّلَ الريحَ من صبايته ما قبَّلَ الريحَ قبله أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟

قال أنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن

الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا ظلك ، أخذه بشار فقال :

إنى لا أكنم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها

وبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا ظلها

وقلت : أحبك يا شبيه الشمس حباً تفرّد بالتمام فلا تمامُ

فلو ألقينه ما بين ماء و نارٍ كان بينهما التمامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سالة نور ليس بدر كها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعه أهوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بدر كده) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدر كنها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامه بأذنى وان غيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف الذئب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودتيه ما صورة البدر الأذن صورته

يارب ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفوتيته

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدته بلحيته

ومن الظريف قول كشافهم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم من التبر محتومهن على الدر

ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأمدى :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس يزبن (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتفع لم ترتفع بأذنى المراتع

كان لديها سائقاً يستحقها كفى سائقاً بالشوق بين الأضائع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صبت يحث مطاياهُ بذكركم وليس ينسأكم ان حل أو سارا

برجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه ناراً

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر

وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأجرع أعناق الابل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « يزبن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد الغز :

إن لها لسائقاً خدجاً لم يدلج الليلة فيمن أدجاً
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتل شوقها زيارتي كلنا يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكر على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى الله صحبته أنى وان كنت لألقاه لقاءه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينسائه
وقلت : ذكرهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان عاصانى
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذكر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره وينام عن ليلى وأسهره
وبجوره ماضار مورقه حظى وحظ سوى مشره
وكفى الهوى لو كان مكثفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين نسي إلا وحظى منه أوفره
فأصبح فى نفس أصعبه وأعوم فى دمع أجده

ومن مليح ذلك قول بشار :

واست بناس من يكون كلامه بأذى وان غيب قرطاً معلماً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليللة لانه ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب

الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالت ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجل غائر
أما رأيت الباب من دوننا قلت فاني وائب ظافر
قالت فان القصر من دوننا قلت فاني فوقه ظاهر
قالت فان الليث عاد به قلت فسيفي مرهف بائر
قالت فهذا البحر مايتنا قلت فاني سابح ماهر
قالت أليس الله من فوقنا قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فأما كنت أعييتنا فأت إذا ماهجم السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانه ولا زاجر

ومن مליح ماجاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرفني رسلاً والليل كالطيلسان مُعْتَكِرُ
فقلن جئنا إليك عن ثقة من عند ضوء كأنها قمر
هل لك في عادة مُنعمية يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طول إذا التفت وفي خطاها إذا مشت قصر
فقلت أسمى الى مُحجَّبة تضيء منها البيوت والحجر
فقلت لما بدا تخفها جودي ولا يمنعك الخفر
قالت توقر ودع مقالك ذا أنت امرؤ بالقبيح مشهر
والله لانت ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شعر
لأنت لي قيم فتخبرني ولا أمير علي مؤتمر
قلت ولكن ضيف أذاك به نحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسي الأجر في إنائه وباشري قد تطاول العسر
قلت فقد جئت بتبغى عملاً تكاد منه السماء تنفطر

فقلت لما رأيتها حرجت وغشيتها * المهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبدأ أنثى ولكن بعاقب الذكر
 قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره التذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبى لا يمسه سقر
 ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دأمة الأعراس غنى فسا يخطر لي ذكر على بالها
 صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضى بليل فاذا أقيت أقيت الشمس بأقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سر بالها
 لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نار خلخالها
 وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا بسن خلخال كذبن أسماء الخلال

يقول لا تخلخل الخلال في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبه أسماؤها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَ الشمسَ نيطَ بها قمرٌ يمناهُ والقدرُ

صدٌّ إذ مازحتهُ غضباً ماعلى الأحابِ إذ مزحوا

وهو لا يدري لنخوتهِ أنما في النومِ نصطليح

ثمَّ لا أنسى مقاته « أطفيليُّ » ويقترح «

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإنى لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظره لولا الحياءُ شديدٌ

وسها قالتُ لقد نلت ودهُ وما صرّنى بخلٌ فكيف أجودُ

وقالوا أنسب بيت قاله العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مضميرِ القلبِ والحشا سريرةٌ وُدٌّ يومَ تبلى السرائرُ

ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :

خرّجتُ غداةَ النحرِ أعرضَ الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ

فوالله ما أدري أحسنًا رزقته أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحبِّ

وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم « حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيُصَمُّ ^(١) » وأنشدني أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زَعَوْهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ يَوْمَ حَرٍّ تَبْتَرِدُ

أَكْبَا يَنْعَمَنِي تَبْصِرْنَنِي عَمَّرَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ

فَتَضَاحِكُنَّ وَقَدْ قَلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ

حَسَدًا حَمَلْنَهُ مِنْ أَجَاهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفتُ بصحراءِ الحجونِ وناقتي لها بين قاعِ الأخشيينِ حنينٌ

غموساً لقد فضلت في الحسنِ بطة على الناسِ أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لجيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيني وفي كلِّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال هوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قولٍ حقٍّ ويقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يلوِّمُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملكَ يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكمت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظٌ ليله ومد

وتشبه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تبدتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئتْ بحاجبٍ^(١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضئتْ بحاجب

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كانَ المنى بلقائها فلقيتها وهوتُ من هو امرئ مكدوب
فرايتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضئت بحاجب » .

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فقير حالها

وسعى إلى بعيد^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٤) مخدودهن نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقوف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تقنعا

تبالهن بالعرفان لما رأيتي وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم بقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تنيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطاها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لايحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالى « بصرم عزة » . (٤) في الامالى (جعل المليك) .

(٥) في الامالى (موقف) . (٦) في الاغانى « أشرقت » .

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في المحاق وحسبها
وقال العباس بن الأحنف :

قلت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عينٌ مكمحلةٌ
وقال النظام : يامشرقاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتنا شبهتها البدر طالعا
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :
يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزيد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت
كلّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلّ ما تنقني فهو مقترح
والمعارضة تمخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نرحت بمنزها البلاد
يعادُ حديثها فيزيدُ حسناً وقد يُستقبح الشيء المعادُ

وقال الحاني :

إذا كنت لم أفتد الغائبين
تباعد نفس إذا ما بعدت
وان عبت كنت فريداً وحيداً
فليس تعاود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيء حسناً فما آتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ بعمى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيبٌ من الریحان ريان أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرب ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انعصر

يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العين في نفسه فما جعلت بطلوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

وقال ابن الرومي : تمتعت وجهك في بديتها جدد وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جدد حسن شيء من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه إليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إن اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيالك من خد أسيلٍ ومنطقٍ رخمٍ ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبشي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أظرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمعني وإياهم مرع فأنا في يوماً وقال لي يا عصمة إن مياً منقر به وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة تزار عليها مياً فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فر كباها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف فعرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت مى وجئنا حتى
أتخنا وسلنا ووقفنا نتحدث واذا مى جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرتُ الى أظمانِ مى كآنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدر كأنم بمغز وورقٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها

(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه». (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة ممنهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح^٢ عن القلب اتته جميعاً عوازبه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقولُ بها إلا الذي أنا كاذبُه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوُّ أحرابُه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك^(٣) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
 فيالك من خدي أسيل ومنطقٍ رخيِم ومن خلق^(٤) تعلق جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لسانا فقمنا بقمن وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبتُه ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحدثنا به مي وهذه قلائد
 للجوزور ولا والله لأفقدن بعيراً وشدهن بدؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأباني فقال يا عصمة قد رحلت مي ولم
 يبق إلا الأثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحني
 أتبنا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

أفاسلمى يا دارمي على البلى ولا زال منهلًا بجرعائك القطرُ

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبدت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب

كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجهه » .

قال فارأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا ونفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبى ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت الى ظبي بعينيه حور ديب لوطى توارى وانتشر
فظفرت لاظفرت أى ظفر وهكذا العقرب للقمع

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلنا ثم لم ينجين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا
وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

بذكرنى ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
و(مراراً) حشوا ليجتاح اليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع ^(١) :

وكانتها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرفقت فى عينه سنه وليس بناثم
أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركانا . فقال :
كأما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشئ :

لا شىء أعجب فى جفنيه أنهما لا يضمعان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة فى قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بنى
أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بارملى أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز:

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متن السيف والحدّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي:

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنتُ عنه فسكادَ بهم

وبلاءهُ إنْ نظرتُ وإنْ هي أعرضتُ وقعُ السهامِ ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم:

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر:

ينظرن من خلال السجوفِ كما بما يمطرن أحشاءَ الكريمِ نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج:

لله ما صنعتُ بنا تلك الحاجرُ في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)

وقلت: فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة مقيت مدا

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهام

وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

يتى جرير * أن العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتبه السفنة

بألسنتها هات غيره، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي:

نبارزُ أبطالَ الوغى فنبيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليسست سيوفُ الهند تفتى نفوسنا ولكن سهامُ فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هامش الاصل.

وقال ابن الرومي :

تقسّمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكراً^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سُمّيت ريامن النوم تسهر^{هـ}
وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدر بين كواكب شهب^{هـ}
فلأت^{هـ} طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجني على الصب^{هـ}
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قابي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
وغدا قمت^{هـ} عليه عند سهه^{هـ} أثر من التقبيل في شفتيه^{هـ}
وسقام عين لم تذق طعم الكرى بدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
وقلت : إذا ما جاءني بالأخذ^{هـ} عنى تشاغل^{هـ} طرفه بالأخذ مني

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{هـ} من النا روينشا من سقم عينيك سقمي^{هـ}
وقلت : يسعى^{هـ} الى مقرطق^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عيـــــــــنيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أطعت^{هـ} العذول فيه وإن أســـــــــرف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لا أرى في السلو^{هـ} ماتريانه
وقلت : ومقله كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون
وقلت أيضاً :

ونسقميك في ليل شبيه^{هـ} بفرعها شبيهاً^{هـ} بيمينها وشكلاً^{هـ} بخدّها

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكّر من عين وكأسٍ ووجنةٍ تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 نجرى السواك على أغرّ كأنه بردٌ تحدر من مُتونِ غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكّة برداً أسفّ لثانتهُ بالأمسِ
 كالأقوحان غداة غبّ سمائه جفتْ أعاليه وأسفلهُ ندى
 شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفلّجن الشفاء عن أقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار

ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى موعدهُ لنا تبينَ رامى الدرّ منا ولاقطه
 فن بردٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هنّ ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كفّ ناظم

ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحترى أيضاً :

ويرجعُ الليلُ مبيضاً إذا ضحكتْ عن أبيض خضل السمطين وضاح

فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق

تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى

أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

تغرّه عند سرده كالغراب المزرد

مثل دُرٍّ منظم بين درٍ منضد^(٣)

وقد أحسن البحترى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «متنهي الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشبتياً يفضُّ من لؤلؤ النظم — م وبزرى على شتيت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجينة للشر ب وكادت تضيء للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بألحا ظي أمراض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهن قبل الراج
 وتدبر^(١) الجفون من عدم الألسباب مالا يدور في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيق
 دهاني منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس يالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقلت أفواهاً عذاباً كأنها بنايع خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما اعتبرها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتختر
 كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يمجُّه بين ثناياكا
 بروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وبينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمري من خمر عينها ووجنتها كأساً يمتت ويدنف

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امرجها بالرُضابِ لعلهُ يسكنُ من خمر الهوى ويخففُ
فصدتُ ملياً ثم جادتُ بريقةِ يزيد بها سكرُ الحبِّ ويضعفُ
فراح بضعفِ سكره من مزاجها وقد يسأل المعدل الولاية فيسعف
فهل من مزاج زاد في سكرِ شاربِ سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مزجت خمره عينها بريقتها كيا تكفكفُ غنى من حياها
فاشتد إسكارها إياي إذ مررتُ جتُ ومزجُك الكأس ينهى عنك طفياها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفج
ذرى أقحوان واجه الليل وارثي اليه الندى غاديه والمتروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهرُ ينفجُ منها المسكُ والعنبرُ
وردية تحدها ؟ كأنها من خدهِ تمصرُ

مهفف لم يتسم ضاحكا مذ كان إلا كنبيد الجواهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يفنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فها مسكٌ ومشولةٌ صرفٌ ومنظومٌ من الدرُّ

فالمسكُ للنكبة والخمرُ للسر يقسه والسؤلُو للثغر

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ أم نظمتُ العقدُ من ثناياها

وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كفسدير وعقار وروضة من أفاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
وقال : قلت للكأس وهو يكرع منها
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
بأبي حبيب كنت أعهد
عقب الكلام بمسكة نفحت
وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقتها فتعلم أنه
وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
وقول بشار من قول قيس :

كانّ على أنوابها الخمر
وما ذقتّه إلا بعيني تفرّساً
ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
وقال ابن الرومي :

بدالي وميض مؤذن أن صوبه
وما ذقتّه إلا لشيم ابتسامها
وقال عمار بن عقيل (١) :

كانّ على أنيابها مبيت الكرى
تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحب له
كشهادة لله خالصة
وقلت في معنى الأئول : أقول للملاح من خدره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة .

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فازره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وان لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثره
 فمن عذير الصب من صدده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزي على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يبنن من قولٍ يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي
 وقد أحسن القائل :

هي الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرُّ منظوماً إذا لم تكلم
 تبتدئ أحرار القلوب بذلها وتملا عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المني على وما أفاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شهبوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن .
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :
 وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يمل وان هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) ماملها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) في الأمالى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

واقعد سئمت ما ربي فكأن أطيبها خبيث

إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بيت أرويه للرجال وتروي

وحديث الرجال روضة أنس بات يرحاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفزة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

بضى بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولاعجل

قال قد جمعها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الاسلت (١) :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعتذر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازم (٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأني طانقت ريحانة تنفست في ليها البارد

فلو ترانا في قميص الدجسي حسبنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قِطْمَتِهَا وطوالها بالقاصراتِ قِصَارُ

أخلو النهار على النهار وأننى والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار

خَدَاهُ وَرَدُّهُ والنواظرُ نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضابُ عُقَار

حتى إذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا كُونَ الأزارِ من العناقِ إزار

فعلى النحورِ من النحورِ قِلَادَةٌ وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفتُ الى الصبيح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام وإزار^ه من^ه عناق

وأشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرْتَدِّ صَاحِبِهِ كارتداءِ السيفِ في يومِ الوغى

بحدودِ شَافِيَاتٍ من جوى وشفاهِ مُرَوِيَاتٍ من ظما

نتساقى الريقَ فيما بيننا زَا امات القِطَا زَغَبِ القِطَا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضيت منها الى جنبةِ تَدَكَّتْ عَلَى عِناقِيدِهَا

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^ه من قيام فرعها وتغيب^ه فيه وهو جئ^ه (١) أسحم

وكانها فيه نهار^ه ساطع^ه وكأنه ليل^ه عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي « وحف أسحم » .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو الخنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها ففرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبين إلى الحب قصارها
ولرب ليالات بهن تفرجت أسدانها وتارجت أسحارها
ماكن ذلك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزاماها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبيل عينك أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها في حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من غقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة إذا مانأت عنك أحماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقة وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إداره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قيل أجماله
وقلت : رخيم فاتر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الأصل (حدامها).

وقد عمم بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه (١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خخاله بضفاثره
وبكاتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لاتعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خخاله بضفاثره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرده (٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت (٣) وقفاً لا لى حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها العتار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاه من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق، ولاحت شمس توجهها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح معمم
يروق سليبي منك جعد مسلسل
وفرعك من صبغ الشباب ممسك
ووجهك مثل الروض بفسله الحيا
أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغداف
وفي عطفة الصدغ خال له
وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
وقوله : غلالة خدّه وردّ جنّي
وقلت : وكان دارة صدغه وعذاره
وقال ديك الجن :

فدام مختلفاً كالبدر مطافاً
رقت غلالة خديه فلو رميا
كان لاما أديرت فوق وجنته
وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
فإذا شربت فمن رحيق سلسل
من ريق أهيف كالقضيبي محضرا
فاذا جلا لك غرة في طرة
فانظر عناق ممسك لمكفر
وإذا تعانق خدّه وعذاره
وقال آخر : عجبني لخضرة زعفران عذاره
والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا
باللحظ أو ماها بأن يكفا
واختطّ كاتبها من تحتها ألفا
رأيت تفاعاً بها عضه
والرّوض بين مجدد ومدبج
وإذا رشفت فمن شديت أفلح
أو كفّ أبلج كالصباح الأبلج
ألوى بقلبك أبلج في أدعج
يجلوه حسن مفلج ومضرج
فانظر عناق عمائق وبنفسج
ومن المعجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز:

من كف ريم تثنى مناطقه على هضم الكشحين ممشوق
 يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء ممشوق
 مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غصن الا بتوريق
 وقلت: له وجنتا وررد وعينا غزالة وغررة اصباح وطرة غيب
 وصدغ يناجي الاذن وهو معقرب وطورا يناغي الخد غير معقرب
 له من ظلام الليل احسن ملبس وفوق ضياء الصبح احسن ملعب

وقال الصنوبري:

تلك طرار عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زرد
 وقلت: يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
 مثلها تكتب بالمسك على الكافور سطر وعذار يسحر الصب وما يعرف سحرا
 وبصدغ دار في الخد كما تعقد عشر
 كلما أظلم (ليلي) (١) كان (لي) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز:

لعمرك ما زرت يوسف لحيه ولكنه قد زاد حسنا وأضعفا
 فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسن الدينار إلا مسيفا
 وقال في خضرة الشارب:

تبسم إذ ما زحته فكأنما تكشف عن در حجاب زبرجد (٢)
 وقال بمض المتأخرين وأحسن:
 ومعدن كان نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلقا
 قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد).

وقلت : وعماقت خلف من صدغه نلغا كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأما - النور مضحكٌ يقق وعطفةُ الغصن شاربٌ خضر

وقلت : وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود وترى الغصنَ مثلَ شارِبِ أمرد

ولعبد الرحمن السبلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في طارضيهِ على جهيد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأته أنها قد أخطأت وجنت وأتت تعودُ فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعظفا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخا ثقبه لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول .

وقلت : وقد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومفتج قال الكمال لوجهه كن مجماً للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كمدارِه حسناً فسأوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثي إلى حمرة من وجنثيه

فيجعل قلبي في كفه يسبي إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصولجائف يرد ضربته

وقال ٥ وصدغه كالصولجان المنكسر ٥

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبير المعجزة: أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أشدوني

أحسن ما قيل في حسن القد وعظم المعجزة فأنشده بعضهم قول علقمة:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم

قال لم تأت بشيء، فأنشدت ذى الرمة:

ترى خلفها نصفاً قناة قويمه ونصفاً نقا يرتج أو يتمرمر
وأنشد بيت الأعشى:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا تمشت يكاد الخصر ينحول^(٢)

وأنشدت ذى الرمة:

عجزاً ممكورة^٣ خمصانة^٣ قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)

فقال أحسن من هذا كله قول الحارث:

غرثان سمط وشاحها قلق^٤ شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال:

سلى وتسلى تفوق المني؟ والوصف أنواعاً وألواناً

وشاحها يحسد^٥ خلخالها كجائع يحسد^٥ شبعاناً

نقله إلى وصف السلو، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال:

وظبيساء^٦ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس:

وربان من ماء الشباب كأنه^٧ يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خرعة). (٢) في ديوان الأعشى (ينخزل).

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها. والقصب: العظام التي بها المخ.

أخذه الآخر فقال :

ظبيُّ كَانٌ بِخَصْرِهِ من ضمره ظمأ وجوا
وقلت : وقد بعصن اوفانا كشماتِ كافور
وقد شدت زنانيراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثلَ حِبتِي تشبهُ البدرَ إذ بدا

تدخلُ اليومَ ثم تد خلُّ أردافها غدا

وأشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلتُ لما مرَّ يخطو ماشياً (٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا منْ يُسلمُ خصره من ردفه سلمُ فؤادٍ محبهِ من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لبن القوام والسرغ ؟

من له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نزيه

وقلت : لا والظباء الآنسات إذ آرت فافقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظاً لظاً أوملن ملن غصونا

ويدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفطور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا مترجح الأرداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يعقد ايننا

داب النعيم له فائز صدره ثمراً إذا حلت الثمار حليننا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً مطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأمل لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لأن بدا متبخرًا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنشوراً بل لا تبصر أعطاف الفتيان تتثنى تتثنى الأغصان في قرايط
 الحبير ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأتقار مطرفة
 بمقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
 عن حباب الراح ويمزجون الدلال بخجل أساء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
 الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
 ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذي إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجني
 أهيف كالفضيب لو أن ريحاً حرَّكت هذباً ثوبه لتثني

وأجود ما قيل في النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لا يمس
 الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى تديبها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
 من الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
 وإذا الرياح مع العشي تناوحت نهن حاسدة وهجن غيورا
 وقلت : تمشي بأرداف أين قعودها بين النساء كما أين قيامها

وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصناً ان هزة مشيه خشيت أن يسقط رمانه
 إرحم مليكاً صار مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانه

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن المعلى عن ابن خالد عن الهيثم
 ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن علي بالسكوفة فخرجت جارية
 فظفقت الاعرابي ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
 واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطك وغصن يهتز وتدى يحرق
 أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتني أحد مثل ما مدحتني

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصري المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر السكامن وانك
لما بما يكنى عنه الريلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أبا وَرَدَاً عَلَى غصن بكرٍ اللحظ يلقطه
ورماناً عَلَى قنن يكادُ المشيُ بسقطه
أتى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدُّجنِ نغبتهُ
وخوفُ الناسِ يقبضهُ وحبُّ الوصلِ يبسطهُ

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكِ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أفأنتى بفتورِ الجفونِ ورُماتينِ عَلَى منبر
كحقين من لبِّ كفورَةٍ برأسيهما نقتنا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الدأعيات إلى الصبا وقد فاجأها العينُ والستر واقع
فقطت بكفيتها^(١) ثمارَ نخورها كأيدى الأَسارى أنقلتها^(٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النعمري :

أعيرُ كيفَ بحاجة طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أنا ملي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قيب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أنثيته لا ينثي

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانهُ حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » . (٢) في الأصل « أفقتها »

يقول القائلون إذا رأوها أهدأ الخلى من هذى الحقائق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسودين يعفر :
 يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قتأت أنا مله من الفرصاد
 فأخذ المحذون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
 يا قمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
 يبكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
 وقال ديك الجن :

ودعتها الفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
 فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرحيل فأمرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
 فاخضرت موضع كفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كف جاربية كأن بنانها من فضة قد طرقت عنابا
 وكان يمناها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
 تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
 وقال : متعاشقان مكأتمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأتما يتدارسان كتابا
 وإذا هدت عين الرقيب تخالست كفاهما جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسبن خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عناباً
يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على ججارة غضه
ومن غريب ما قيل في نظم حلين قول النمر بن توب :

كباب عليها لؤلؤٌ وزبرجدٌ ونظمٌ كأجوان الجرادِ مفصل
قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .

ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمسُ في كفه وأنجمُ الليل عليه رعاش
وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلماتٍ ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبس :

لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرٍّ هنَّ حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤٌ وعقيق
وقول أبي تمام : نثرت فريداً مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغم (١)
وصلت نجيماً بالدموع (٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فياليت شعري هل تراءونها بعدى
ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخلد ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

لو كنت يوم الوداع حاضرنا وهنَّ يطفئنَ لوعةً الوجد
لم ترَ إلا الدموعَ جاريةً تسقطُ من مقلة على خدِّ
كأنَّ تلك الدموعَ قطرٌ ندى يقطرُ من زرجسٍ على وردٍ

ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجم)

لَا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَخَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّ عَلَيْهِ طَلٌ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبْتُ لَوْلُوًّا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجْتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضُهُ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جَلَنَارِ

ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَحْدِرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحٌّ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادِيٌّ وَمِثْنِيٌّ يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَىٌّ وَفِي عُلَى وَرَقِ الْوَرْدِ

ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الحَمَامُ كَالْفَضِّ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا المَاءُ عَلَى جِسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسْنَةٍ غَضُهُ

وفي صفة الدمع :

تُورِيْدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جِسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فِرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ

وقول البحتری في معناه :

وَيَحْسُنُ دَلَّهَا وَالمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ المَوْتَ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعَهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) في أمالي القالي (يفالب دمعها نظر قليل) .

نَهْتَهُ رُقْبَةً الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

قوله «بحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
 بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَا حَكَأً جَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
 إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْفِرَامُ سِرَائِي وَأَظْهَرَ لِلْعَدَالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
 وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَمَشَقُهُ مَعِي
 وهذا معنى ظريف حسن جداً

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبُكَاءِ لِي رَاحَةٌ وَعَنَّانُ سَرِّي فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
 حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشِيًّا رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ

ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
 وَقَلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادِهَا قَلِقَ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَفْنِ رَدِّهَا الْفَرْقِ
 فِي فِوَادِي سَبَلُ اللَّامِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلِقِ
 لَهَيْبِ قَلْبِي أَفْضَلَ الدَّمْعِ مِنْ بَصْرِي وَالْعَوْدُ يَقَطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ

ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز

وَلَطْمَةٌ خَدٍّ تَجْمَلُ الْوَرْدَ خَرْمًا وَتَنْثَرُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدِرَا
 لَا تُأَادَ تَفَاحَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لَمْ يَ وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْبِرَا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذى الرمة :

لَعَلَّ أَنْحَادَ الدَّمْعِ يُعَقَّبُ رَاحَةٌ مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِي الْبَلَابِلِ

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا
والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى
ففيه مسلاةٌ وتسهيلٌ
وهو إذا أنت تأملتُه
حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرهُ
والدمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني
والدمعُ معترفٌ به لم يجحد
والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لاجوابٍ لمفحم متحير
إلا الدموع تصان بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقاله آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها
لك السكبد الحرى فسرولك الصبر
وقد سبقتها عبيرةٌ قدموعها
على خدِّها يبيضُ وفي نحرها حجر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

غَدَتُ بأحبتى طولَ المطايا
فبنانَ النومِ وامتنعَ القرار
وكان الدمعُ لى ذخرًا معدًّا
فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركنه لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعمشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة
خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ
مؤزرٌ بعيم النباتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماريجُ قاعِ ذى مُخرامى وحنوة له أرجٌ من طيبِ النبتِ عازب
بأطيب من مئى إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا بطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ التبيحةَ جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن أخذه ابن الرومى فقال :

أوف عطر تذكى وهى ذاكيةٌ إذا أسامتْ جوارَ العطر أبدان

نعم كل نهار من مجامرها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان

كانها وعشان الندى يشملها شمسٌ عليها ضباياتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ

بدیعة وهو قوله :

وماريجُ قاعِ زاهرٍ مست الندى

وروض من الریحان سحت سحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة

كما جرَّ من ذيل الغلالة ساحبه

بأطيب من أثوابِ شمر موهبا

إذا الليلُ أدجى دابر كتائبه

إذا رغبت عن جانب من فراشها

تضوَع مسكاً أين مالت جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

ذ كرتك بالرَّیحان لما شمته

وبالرائح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْضِ ذى أقاح وحنوة

وذى نفل من قلة الحزن عازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت

من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرِّيحان^(١) منك روائحاً^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه
 تطيرت أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يذكركني منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي آية رائحة أطيبت قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نجبة
 مرَّ بروضِ زاهرٍ ذرٌّ عليه عشبه
 فغاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنهج البرداليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوبَ ربح المسك فيه وإنما به المسك إذ جرَّت به ذيلها جل
 وقوله : وأنت الذي حبيت سمعاً إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواهما
 حلت بهنزي مرّة ثم مرة بهنزي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضوعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلوا الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه «عطرات» بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كلَّ أرضٍ يعمتها^(١) وإن مضت لها حجيجٌ يزيد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الأحنف في قوله :

وجدت الناسُ ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشاربَ طيبا
فهمٌ ينكرونَ ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحترى : فكان^(٢) العبير بها واشياً
وقلت : تأملت منها غزلاً ريبيا
جئت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسرارة الكثيب
عشية راحت وأتراها
كواكب ليل إذا مارأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشية من ذى الغضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيبت من طيبها والطيبُ فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) فى الأصل (دمنتها) . (٢) فى الديوان (فصان) (٣) فى هامش الأصل : ماعليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع فى النفوس .

أثاها بمطرٍ أهلها فتضاحكت^١ وقالت^٢ وهل يحتاج عطر^٣ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقى لأيام مضت^٤ وكان^٥ معهدا حلوم
أيام يقى لي ويفسنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على^٦ في برد الضحى إلا النسيم

أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١)

ولولا أن^٧ يقال صبا نصيب^٨ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل^٩ مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^{١٠}
إذا ما اللذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الأزار^{١١}

ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم^(٢) :

وصغيرة علقتها كانت من العنن الكبار

كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

وأشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقدملح وطرف :

جارية أذهلها اللعب^{١٢} عما يقاسى الهائم^{١٣} الصب^{١٤}

شكوت^{١٥} ما ألقاه من حبها فأقبلت^{١٦} تسأل^{١٧} ما الحب^{١٨}

ومن مليح ذلك ماروى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها

أبكر أنت أم ثيب؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة^{١٩} فأجبتهم خير^{٢٠} المطي لدى^{٢١} ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ^{٢٢} مثقوبة^{٢٣} لست^{٢٤} وحببة لؤلؤ^{٢٥} لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فألت الجارية: إن المطايا لا يلدن ركبها مالم تذلل بالزمام وتركب
والدرر ليس بنافع أربابه مالم يؤلف في النظام ويشقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يشقب ويؤلف في النظام
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أم لك للفؤاد بقره من أن يرى للسرى فيه نصيب
وقلت : آفة السرى من جفون دوام دوام

كيف يخفى مع الدموع الهوى في الهوامع
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
إن نيران حبه باديات الطوامع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيت وكنت لأجفني وعلامة الهجران لا تخفي
وأراك تمزجني وتشريني ولقد عهدتكَ شاربِي صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهرجكم لللالة مني ولالمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محب ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأتى ذبالة نصبت نضبي للناس وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليله ودمنة وإلى معنى قول البيت الأول
يومية قول البحترى :

قصائد ما تنفك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل إلى غير من يجبي بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فأنثى غصن بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله اللذيذ جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ماشدها قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نظفة كانت سلالة بارق تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أتياب تلتم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيدا لأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظبي له من قلوب الناس نابتة من المودة تجني أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلا
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقة أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لولم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها
 للناس في الشهر هلال ولى فكل شيء ما خلاها محال
 وقال: متناه بجباله صلف من وجهها كل صباح هلال
 لو كانت الأشياء صورته لا استطاع كلامه تيبها
 وقال: ألاحظ حسن وجنته حتى إذا كملت تاهت على التيهها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي فتجر حتى وأجرها
 وكان كانت إشراقاً وحسنًا هواك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كانت إشراقاً وحسنًا وقلة رحمة للمستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ماجاء في ذلك قول ابن الرومي :
 ماسأني إعراضه عني ولكن سررتني
 سألته عوَضُ عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدّ عني من غير جرم إليه ليس إلا حسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبهة له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كنت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وقرب منه قول مسلم :

ويخطيء عذري وجه جرمي عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليباسُ في حضرة المنى
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صباية نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصباية والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ أملُ باخلا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرتهُ
على أني أنأي فأدنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلوطنني أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشقي في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربت دارمُ كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زاد الهوى لا تتظارها
ففي كلِّ حال لا محالة فرحةٌ
ومثله قول الآخر :

وما في الارض أشقى من محبٍ
تراه باكباً في كلِّ حين
فبيكي ان ناوا شوقاً إليهم

رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبي
وتجزع من بعدى وتنفرُ من قربي

فأجني إليها الذنبَ من حيث لا أدري
فان سخطتُ كان اعتذارى من العذر
وإن كنتُ لم أذكرك إلا على ذكر

وصبوة قلب ما ترى القلبَ شافياً
فصرتُ أرى للخلِّ ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكرُ ناسياً
جفاني وسماني اذا غبتُ جافياً
ولستُ كمن يدنو فينأى تناسياً
إليه وإمساكي عليه ودادياً
ولو خالني أنساه لم يكُ نائياً
فيأمن سلواني ويرجو غرامياً

العشق على حقيقته الذي يقول :

أسفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلتُ بالوعدِ متُّ على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

وان وجدَ الهوى حلوَ المذاق
مخافةً فرقةً أو لاشتياق
ويبكي ان دتوا خوفَ الفراق

فتمسخن عينه عند التنائي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
 وصالكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسامكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد و يروي لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذاك الرضا بمقتبط
 علماً بأن الرضا سيبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكل ما ساءنى فمن خلق منك وما سررتى فمن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً يجحد
 وإلا فابذلى من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت فى نحو ذلك :

نسي على بعد الديار تنائياً وخلقتك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى فى قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد
 ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر
 ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
 بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الانبارى لجميل^(٤) :

(١) فى الأصل (تمسخن) . (٢) فى ديوان ابن الاحنف (علمى بدان سوف يتبعه العتب)

(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وانى لأرضى من بشينةً بالذى لو استيقنَ الواشى لقرتْ بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالامل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوآخره لا نلتقى وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلتُ منها محرماً غير أنى إذا هى بالتْ بلتْ حيث تبول
 وعفة هذا كمفة المتنبى فى قوله :

انى على شغفى بمافى خمرها لأعفُ عما فى سراويلاتها

سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكراها فكأنما تمثُلُ لى لىلى بكلِّ سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمري وداؤه ودواؤه لديها وريهاها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأنَّ يمسى سقيماً لعلها إذا سمعتْ منه بشكوى ترأسله
 ويهترئ للمعروف فى طلب العلى لتحمدَ يوماً عندَ سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضتُ تعودنى فأحببتُ لو أتى غدوتُ مريضاً
 وزدتُ أنساعاً فى المكارم والعلا ليصبحَ جاهي عندهنَّ عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالامل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجاداً في المناقِ لهُ حتى لبستُ نجاداً من ذوائبه
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبه

وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبايةِ عندَ المغيبِ تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برُدِّ الثفورِ إذا هو صادفَ حرَّ الصدرِ

ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديبك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ما تصنعُ الشمسُ لهُ فينا
بأىَّ وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأونى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أىُّ الواعدِينَ تربتهُ أشدُّ كما مطلاً فانى لأدرى
أأنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى أم النفسُ بالسوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى

عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال

جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هى الشمسُ مسكنها في السماء فعزُّ الفؤادِ عزاءُ جميلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :

قد سحِبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قدرمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا
وهذا معنى غريب بدیع ماأظنه سبق اليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :
شكوت إلى بدرٍ هوأى فقال لي ألت تری بدر السماء الذي يسرى
فقلت بلى قال التمه فأنه نظيري ومثلي في علو وفي قدر
فان نلته فاعلم بأنك نائلي وإن لم تنله فابغ أمراً سوى أمرى
فكان كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويلي من بدر السماء ومن بدرى
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليس عندي شحط النوى بعظيم فيه غم وفيه كشف غوم
من يكن يسكره الفراق فاني أشتهيه لموضع التسليم
إن فيه اعتناقة لوداع وانظار اعتناقه لقدم
فلكم قبلة وغيبة شهر (هي) خير من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان في الفراق عناق جعل الله كل يوم فراقا
أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كان القلب ليلة قيل يقدي بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها^(٤) شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكناني من شعراء العصر الاموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأمل ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبٌ مُقْلَنَةً تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فَوَادَهُ قَلْقَا لِسَانَ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كما خفقا
باشوق إلفين حال البين بينهما فعاقصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولوداواك كلُّ طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كلَّ شيء سوى ليلى عتبت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المشوق قول أبي دلف العجلي :
أحبك يا جبانُ وأنتَ مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو آتى أحبُّك حُبَّ نفسي لخفتُ عليك بادرَةَ الطمان
لاقدامي إذا ما الخليلُ جالت وهابَ شجاعها وقعَ الطمان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفر بنيل كالا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالقتى وان لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وبينك لو يأتى بيأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا وقد جن من وجدى بليلي جنونها
ومثل ذلك : فان يك عن ليلى غنى وتجلد فربُّ غنى نفسٍ قريب من الفقر
ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعلَّ الريحَ تحملي اليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطيق ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك عائداً إلا بعينٍ وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها
وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمهُ والحنين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجٍ بي
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمي من بعد جدته
كأنه رسمٌ منزل خلق
ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بهض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بجمها
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بهض نساء الاعراب :
ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحترى لامان

دعائي الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدومه حتى بدأتُ عناقه لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٍ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كذا

وأنشدنا عنه لأبي العميش (١) :

لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مُسىَ عاشرَةَ العشر (٢)
فكلمتها ننتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الحجر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقِ طريقها
وما ينفعُ الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه
من الأماي ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،
ومسى عاشرَةَ العشر بمعنى أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مُسى عاشرَةَ العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتُ كبدٌ مما يقلنَ صديع
 وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرّفني والعاذلاتُ هجوع
 ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
 وأنا لا أستحي كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقي المودّةَ بالهجر
 وأنذرُ بالهجرانِ نفسي أروضا لا أعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر
 وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما لي لك الهجرُ
 ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبّتها صبرُ
 وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حينَ تهجر
 والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنّ النفسَ تكذبُ وعدّها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
 وما عرّضتُ لي نظرةٌ مذعرتها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
 وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكاثرتُ لتمثلُ لي ليلي بكلِّ سبيل
 وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن

الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
 وما كانَ هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرّبتُ نفسي على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
 أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الفضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
 قريبةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلعُ من نفسى اليك طواعٍ عوارفُ أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواحُ من نحو جانب^(١) به أهل ميِّ زاد شوقى^(٢) هبوبها
 هوى تذرِفُ العينان منه وإنما هوى كلِّ نفس أين^(٣) حلَّ جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى:

متى تبصرينى يا ظلوم تبينى شمائلَ بادى البثِّ منصدع القلب
 بريئاً تمنى الذنبَ لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنتُ أشكو عتبها وعتابها فقد فجعتنى بالعتابِ وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفانك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطرُ والندى من الدارِ إلا ما يشقُ ويشفق
 وقلت : قد عريت أمها حين اكدتُ أرديةَ الرِّيحِ عشياً وضحى
 لم يبقَ فيها غيرُ ما يدكى الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

الأحى من أجل الحبيبِ المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللباليا
 ولأعرابي : طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علم ولا نضدُ
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعدَ الأحبةِ مثل ما أجدُ

- (١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)
 (٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)
 (٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع
 هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله
 وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز
 الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟. ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجنيتُ بمثلِ المسكِ أطيبَ نَفحةٍ وجنيتُ بمثلِ الليلِ أطيبَ مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدنٍ ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتُ سوادَ الجلدِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليحٍ فيكسوه الملاحمةَ والجمالا
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذ رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً لكالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أتى سريرت وكنت غير سرورٍ وتقربُّ الاحلامُ غير قريبٍ
 ما تمنى يقضى فقد تؤتبه في النوم غير مكدرٍ (١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها وهوت من هو امرىء مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة (٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ،
 يقال إنه أول من قال الشعر من تزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتكَ أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً بوافي خيالاً
خيالى يخيل لى نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارع الفصيح فى هذا المعنى قول البيهق^(١) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخواضع
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه واقضت نجوم ضواجع
وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
وأحسن النميرى حيث يقول :
عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى
أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا خيالى *
لأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :
استزارتته فكرتى فى المنام فأتاه فى خفية^(٢) واكتنام
يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأرحام فيها سرّاً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحمال
وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبيل :
سرى طيف لىلى حين حان هبوب وقضيت شوقى حين كاد يؤوب
ولم أر مطروفاً يحصل بطارق ولا طارق يقرى المنى ويشيب

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البيهق بقوله :

تبعت منى ماتبعث بمدما استمر فزادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنا لت نائلا شكره لو كان في النبة الجحود

ثم قالت وأحست عجيبي من سراها حيث لا تسرى الأسود

لا تعجب من سرنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود

فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار

فتمعجت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار

ثم مالت بكأسها فسقتني جلنارية على جلنار

آخر : فباليت طيقاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً إليك يعود

أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو رديء . وقال الحمدوني :

لم انله فنلتته بالاماني في منامي سرّاً من الهجران

واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان

وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان

منظره كان نزهة العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني رؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا

إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقني وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا

وقال : كلامه أخدع من لحظه ووعدته أكذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهيقى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض اطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يعاطيني على رقة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريق
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالا فسرى يغازل في الرقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالا
فعدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرمى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورود
أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سميد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتعجبون من حسنه:

كان تحت درعها المنعطف ضخم القدال حسن المنحط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطعاً على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كمامة الشيخ اليماني الشمط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جيد، عمى بعد ما أسن، وقال في ذلك شعراً.

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مَقْرَمَد
 وإذا نزعَتْ نزعَتْ عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنُّ تستعيرُ وقدمته من قلب صبَّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه نلَّه ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

يسعُ السبعةَ الاقاليمَ طرّاً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهمُ الدنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردفَ الفتاة عجنةُ خبا زِي وقدَّأما من الأدم جنبه
 وقال المعذل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأُدجى كأن نبت الشعرِ المطلق
 عليه شونيزٌ على فرقى

ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم إلى الوغى مضمرةٌ قرح
 استحمل الله على مركبٍ بحثٌ بالسيرِ ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل بمجنى
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقنى بجهم لاسلاح له
كان رمانه في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمسه الأرض منها شيء ، لان نهود تديها وكبر
ركبها مثل أنافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأضمعي .
وقال الرازي في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات وصد
فشبّ بنو ليلي وشبّ بنو ابنا
ابن المعتز : من معني على السهر
وابلائي من شادن
كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأنّ القلوب تحاذي القلوبا
لما كان يشكو محبّ حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأضمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر إسلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تمروني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والمظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمُرُ قلبي عذرها ويعينها عليّ فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

بؤازره قلبي عليّ وليس لي يدان بمن قلبي عليّ بؤازره
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكاف ، أخذه البحتری :
ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك بمصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرتني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقمسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
الأيما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافه : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمريب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته ب قريب

(١) في الأغانى (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغانى (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغانى (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكايه قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودَّ
وقد أصفيتهُ ودَّى بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من المسلال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فانه أرانا على علاته أمَّ ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عينى أن تقر بك مخافة
ان تسخن يبعثك فى عند الاجتماع كبدترجف وعند التناهى مقلة تكف . ومثله :
لاوالذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباقة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاها وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يبعثنى بقربك وحذر يوعدى يبعثك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكي بخلت علينا
فعاقتُ التي بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردى جداً لاخير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد بولفنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزي العيون جزاءهن عن البكي وعن السهاد فلا نصيبُ اناما
فنبيحهن مرآهن يردنه فيما أدعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة
 فثيبهن من الحديث مثوبة
 ونكافي الأفواه عن كتمانها
 فنيبحن ملائماً ومراشفاً
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة
 مقسومة آناؤها أقساما

وخلد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قبي فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ لقد جلتُ قدرُ الدمع فيه إذاً عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارها
 ويسكن أوارها دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كان حبيها لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
 واسكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتولت
 وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جدّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فنن :

أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ فاقصصناظره من القلب
 أخذه على بن حاصم فقال :

ضربتُ إلفي يدي خان يميني جلدِي
 فاقصصنا ما اغرورقتُ مقلته من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
جاءت تهضُّ الأرضُ أي هضُّ يدفعُ منها بعضها من بعض
يقول بتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها

يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودِّ ما دمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
وأخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب

ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكّ البينِ حتى رأيتهم معض ؟ أنما ظ لهم وقطوع
لعمرك ما شيّ مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بفتة فيروع

ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزيرِ والمسجدِ الجا مع ظبي كالظباء في حبيده
أطاره رنةٌ فقد ضاعَ لا ضاعَ وضاعَ التمييزُ في بلده
ليسَ لهُ ناقدٌ فيعرفهُ وآفةُ التبرِ ضعفُ منتقده

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرّضه لأهواءِ الرّجال
تراني آمنَ الشركاءِ فيه وآمنَ فيه أحداثِ الليالي

معنى آخر :

وقائلة متى يعني هواهُ فقلتُ لها إذا فني السلاح
معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً منشوقاً قصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارَةٌ تسليمي عليك فسلمي
آخر التشبّه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لاني بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل وبدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب

وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) فذكر منفعتهما وحسن
عائدتهما في الدنيا والدين فأما منفعتهما في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير بمجھولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الانهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يقتل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغلرو وينقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقَطِّعُ مِنْ سَنَاها بِنَائِقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوانِ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من الالهيب^١ يشبعنه من فحم ومن حطب^٢
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٣

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نار يساور جسمه من حرها لهب^٤ كما عصفت شوقاً إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو الساب^(٢) ترتمى بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) في الأصل (جوائداً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقّ إزار
 طارت لها شررٌ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار^(٢)
 فصلنَ منه كلٌّ بجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
 رمقوا أطلَى جذعه فكأتما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
 كروا وراحوا في متون ضوامير قيدت لهم من مربط النجار
 لا ينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفيرٍ من الأسفار

فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
 بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
 قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوءِ ناراً لها على الطارقينَ عَيْنُ
 شرارها إن علا نضارٌ لكنّه إن هوى لجين
 دعتهمُ فأنثى اليها محبهم قرة رأين؟
 إلى كريمِ الفعّالِ سمح عطاؤه للكريم زين
 يقضى ديونَ العلاءِ يندلِ إذ ليس يقضى لهنّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلق شررُ الكانون كأنه نثارٌ ياسمين
 وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محللٌ مشقةٌ على حبسان
 رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتت به سيجاً على عصان
 فالجوهُ يضحك في ايضاضِ شرائر منها ويعبسُ في اسودادِ دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في الكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يُجْجِبُهَا كَجَلْنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وَقَلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

قَصْرَتْ يَدَ الشِّتَاءِ بِحَجْرٍ جَمْرٍ وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةَ الرَّحِيقِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَاغُورٍ يَنْدُرُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَلْتُ : تَحْرَكَتِ الشَّمَالُ مُقَرَّرًا لَيْلِي فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَّاحِ
جَرَادِ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقَاحِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعْطَرَاتٌ تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاتٌ مَطْرَرَةٌ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي سَقُوطِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالبَسْطِ :

فَتَرَكَ البَسَاطَ بَعْدَ الحَدِيدِ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الغَيْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابَهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلْتُ :

كَأَنَّ النَّارَ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي القَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلُ بَعْضِ العَرَبِ :

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ المِستَعْجِلِ قَصْدَ الشُّبُوحِ لِلسُّبُوحِ الجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي المَحَلِّ بِسَامِيهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالوَقُودِ الجُرُلِ أَرْقَالُهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرِّجْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الِاثْنَيْنِ وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرَمَةَ ^(٢) :

نَبِيكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ وَجِوَالِمِ سَقَعِ الخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرِينِ مِنْ عَقْدِ القَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَابِدِ
فَوْقَيْنِهِ عِبْثَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ ذَنْفُ بَرْنِ الدَّمْعِ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (بِسُوقِهَا) . (٢) اِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ السَّكْنَانِيِّ

الْقَرَشِيُّ ، مِنْ سَكَّانِ المَدِينَةِ ، مَدْحُ الوَلِيدِ الأُمَوِيِّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام: أناف كالخودِ اطمنَ حرناً ونوى مثل ما انقصم السوار
 وما يجرى مع ذلك القول في الشعمة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
 ° شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت: كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
 من روضةٍ بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
 وأوجهٍ تحسبها أشمساً في ليلِ أصداعٍ وأطرار
 وشققتُ عنها ستورَ الدجى نارٌ على نارٍ على نار
 وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجهِ الدجى غرَّةً
 وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
 كم من مريبٍ أهدتكَ ستره وصيرتهُ في الورى شهره
 يردفها أصفرُ في أصفر يقدمها أسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأنما الكانونُ ألبَ جره أحداقُ أسدٍ يدربنَ أسودا
 يكسو خدود الشربِ من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا
 وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
 يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
 نارٌ كوجهِ غادةٍ حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
 والجرُّ في حلتِهِ الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
 وأسهم تصبغ بالحناء فيها كها ربحانة الشتاء
 واشرب عليها حلبَ الصهباء فشربُ صهباءٍ على شقراء

يطرف عينَ البؤسِ والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
 فحمٌ كيوم الفراقِ تشعله نارٌ كمنارِ الفراقِ في الكبدِ
 أسود قد صارَ تحت حرّتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرّمّدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراصة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النفران قد اتفخت في الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المتراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتعدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة است ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بيناني بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقنعات الأذنان صفار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهر وأرغفة باردة لينة وخللاً حاذقاً ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فإذا فيها رغيغان يابسان وسكرجة كادخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشويه وأنا والله أشتهي . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أباسعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومى :

مائسَ لانسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كرةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدي الخابزين كأنه تراس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلت بساحتها المنى إذا جاء من أرداحهن يريد
وضمت إلى الخلواء فيه فواكهٌ عليهن أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبرى في رقاق ورؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كظير ماء نيام
بالأقيالهن وما يبـدبن من مضر شديد الضرام
كأناس يؤشحون مناديبـل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدر كناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الزواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامُّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمَةٌ قد أخرجتُ من جاحمٍ فوارِ
كوجوهِ أهل الجنة ابتسمتُ لنا مقرونةً بوجوهِ أهل النارِ
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوارِ محلل الششق والأنوار
ملبساً حُسلَةً جلنارِ يقسر منه جـلده النضار
عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأنخص عينيه وأفص أذنيه وا خديه وأرمي بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه فقيل له إنك لا تحمق من ربع قال وما حمق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرأج بين الأطباء فاحقه باهلاً^(١) وقيل لأحداهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب واللحم وأما الياض فالتقديد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحمِ بييضُ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرِّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فيبيضُ إلى حمرٍ وحمرٌ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفمةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فسكانه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فسكانه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «من

(١) في أمثال الميداني (وما حمق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرأج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حمقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلفه .

وأحسن ما سمعت في جل مشوى قول السرى :

أنتمهُ مصفر البردين أبيض صافي مُحرة الجنين
 خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
 نجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
 بعرقه مُرهفة الحدين بكف شاوعطر الكمسين
 كسارق حد من اليدين ذو طرف يستوقف العينين
 يريك مرآة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
 شق حشاه عن شقيقتين أختين في القدر شبيبتين
 كما قرنت بين كاتين أو كرتي مسك لطيفتين^(١)
 ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية^٢ ثمناً ولوناً زفها لك حزور^٣
 طفقت تجول بندربها حوذاية^٤ فأتى لباب اللوز فيها السكر
 ظلنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^٥
 يا حسنهما فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفرغر
 وتقدمتها قبل ذلك ثرائد^٦ مثل الرياض بمثلهن بصدّر^٧
 ومدقات كلهن مزخرف^٨ بالبيض منها ملبس ومدنر^٩
 وأنت قطائف بمدذك اطائف^{١٠} ترضى اللهاة بها ورضى الخنجر
 ضحك الوجوه من الطبر زد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت في سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنهما في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنبانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وهي تحاكي سفظَ الجواهر
كغرة في فريس أشقر
أسمر وسط المرق الأحمر
وجال فيه قطع العنبر

وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ بصدرٍ نهدي
مرهفة ذات شباٍّ وحدٍّ
أجريتُ منها في مجال العقدي
لغير ما دخل وغير حقدٍ
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كثبتُ أستعجل الندامي
وقد أتاني السلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القدورا
بأرغف تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شمولُ
تكونُ قبل المزاج ناراً
لوقطعتُ صيرتُ شذورا
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
نتثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربلَ راثباً
وخيلاً من البرني فرسانها زيد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

وأهاً على مجموعة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغمومة
قد كملت عراقا وألخت رقاقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بفلجـل وحمص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بآبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بآبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والثردة والله ما دخلت الخضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغفَ ولا المزدرأ

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابهُ وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة حوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبير

ومن مسمم قد زعفرُوهُ كأنه قراضةُ تبرٍ في لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فإنه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعناعاً وجزءاً من الزيت المقدس في الذِّكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرندٍ ممقده الخضر

بأحسن من مخضرة الفصن إذ بدتْ بواكراً منها في المجاسد والأزر

ثم قال : ويالك بأذنجانة سارية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر

فجاءتْ بأثواب الحداد مدلها بأذناها العم المعقفة الخضر

وأكرم بها نياً إذا يز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجملها شطرين نلقمُ شطرها وتبعه قبل الاساعة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاه هل لك في هريس
 أمل الليل صانمها بضرب
 وبين يديك من مري عتيق
 أرانا حول صحفتها^(١) بروكا
 فيالله من لقم هنا كم
 تجاذب بالشجيج وبالغطيظ

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم
 كان الموقدين لها جمال
 بأيديهم مغارف من حديد
 وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافوريه
 للمرء فيها حمة مسكه
 تدور في مبيضة فضيه
 مثل السوار في يد الروميه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دطاني
 غرني منه منظر ولباس
 مجلس كالجنان حسناً ولكن
 فلمعري كان الخوان ولكن
 وجفان مثل الجوابي ولكن
 وغضار الأنوان جاءت ولكن
 فاذا ما أدرت فيها بناني
 لشقائي فليتسه مادطاني
 وأمثات ومجلس وأوان
 قبح الجوع حسن تلك الجنان
 لم يكن ما يكون فوق الخوان
 ليس فيهن ما يرى بالعيان
 ليس فيها روائح الأنوان
 لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأُسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأني وشأنِي
 لو ترأني والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلِي يديَّ بالأشنانِ
 زادَ في السفرِ مسرفاً مثلما أسرفَ عندَ الطعامِ بالتقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتُ أتتنا وسقانا بالمترعِ الملانِ
 سكرةٌ فوقَ جوعَةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت في قريبٍ منه :

أندعوني وتطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبح منك في يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ في يومٍ عسيرِ
 هما حرَّانِ من جوعٍ وسكرِ فيالك من سعيِّ في سعيِّ
 أقولُ وفي غضارِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا^(١) وقد
 دعاه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بمظام
 عارية فساها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهي لآتمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقلّة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلوّلة فساها
 قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بمظام الأضلاع فساها
 حسكية لتشجج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحوّلم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة مثلمة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوي الشاعر المفلح العالم المحقق، من أهل خراسان.

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معقدة).

وإذا ضرب أحدهم الفائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بفناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال:

يادعوة مغيرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحيةً أضحت على أسلافها^(٢) نادمه
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم تزل في لعبها ساعةً ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودةٍ قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبياتُ فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنبتُ ما امتدَّ في أصبعي أم حيةٍ في وسطها نائمه
والحسكياتُ فلا تنسَ في خندقها أوتادها قائمه
والموكياتُ بسطانها قد تركتُ آنافاً راغمه
والسلحةُ الصفراءُ فاعجب بها إذ سلحتها أنفسُ هائمه
وجام صابونيةٍ بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظلُّ الكراريسى مستعبراً من عصبه في داره طاعمه
وقال إنَّ ابني عليلٌ ولى قيامه من أجله قائمه
وَوَلَوْتُ دايتهُ حوله فليسَ إلا عبرةً ساجمه
وليسَ هذا لسوى كسرةٍ تكسرُ ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجتُ من لاطم خدأً ومن لاطمه
ثمَّ هَرَبْنَا نحوَ بستانه خوقاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراثِ نلهوبه فياله من زهرةٍ قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأديب لياقوت، وفى نسخة

(إسلامها). (٣) فى الاصل (ثم تقضينا). (٤) فى الاصل (مقيدة).

وغاية اللطفِ ففي جرّةٍ محطومةٍ صارت لنا حاطمه
 نبولُ فيها ثم نسمى بها يالك من عارضةٍ لأئمه
 وعجلة تشدو بألحانها وكانت الكية انخازمه
 فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بعدك ياقاطمه
 نشتم من أسمعنا صوتها وهى لنا من بعده شامه
 ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا حياً وفت منا نعماً ساممه ؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
 دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التي كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأنا تمناها :

طمعت بأحمق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذلك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطال الله عمرك لى ولا عدمتك من داع ومحتفل
 ما أنس لأنس حتى الحشر مائدة ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
 إذ قبل الجدى مكشوقاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسل
 قدمد كلتا يديه لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
 كأنه عاشق قد مد بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
 وقد تمدى بأطهار الرقاق لنا مثل الفقير إذا ملاح فى سمل
 فليت شعرى ماذا كان أنحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
 مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدم لى أعظم حويلة قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ ألبُ بالشطرنج في قصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصنَاعُ تليفَ شطريهِ باهتدمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرهمَ باللوزِ ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجن صفائح من بيضةٍ مدغمة
فمن أسطيرٍ فيه مشكولةٍ بملح ومن أسطيرٍ معجمه
وطرَّزَ بالبقل أعطافهُ فوافي كحاشيةٍ معلمه
مرشا تحال به مطرفا بدبع التغاوبف والنمنمة
وأنشد في الشواريز (١) :

مامتعة العين من خدِّ تورُّدُهُ يزهي عليك بخال فيه مركزوز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أو يمتناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحنٍ وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيتُ في مثنى أسرته فضارعتُ فضةً تعلَى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوفَ بزوركَ شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميسُ بشونيزةٍ كالعروسِ نخطرُ في الخلةِ المسهمه
وتفشي موائدَ قد عوليتُ أطايبَ كالبردةِ المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلةِ المظلمه
وأول من ذكر الغالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مَشْمَعٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) ينادى
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَاءَ^(٤) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْمَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رِحَالِهِ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالُوذِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالُوذٍ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طَفَهُ بِالشَّهْدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلْقٍ
 كَانَ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ نَهْرٍ فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ
 وَقَلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةَ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلْقِ
 يَطْوِفُ الدَّهْنَ بِأَرْجَائِهِ اطَافَةَ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّهَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقٍ
 وَمِنْ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ فِي اللَّوْزِيْنَجِ :

كَأَنَّهَا قَرَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيَا
 مَسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسْمًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دُورًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرٌ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْنَبَا
 وَقَلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيْفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيْقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنْشُورَةَ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) أَشْمَعٌ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزَّبْعَرِيِّ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهى من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا بيابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استغزاه تعاور ضيف في دجى الليل عاتم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم
وأطعمنا لما مرقتنا من الدجى دحاربيج لاتنشق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
فأشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصمعي قيل للغاخري أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن الطير تضع الواحدة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك يعنى الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أدهانها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً في الحنجرة كتفحم نبات الخاض في الخرف ، قال السرورى ان أطيب الطعام خبز بر في يوم قر على حمر عشر موسم سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة حرس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة معتبطة نفسها

(١) تقدمت هذه الايات .

غير ضمنه في غداة شعبة بشغار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنمت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم لقمتهك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فيبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكي طرارَ الصبحِ في ثوبِ الظلامِ
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلامِ كعُرفِ الطرفِ في زمنِ قتامِ
كذبي دَلَّ عليهِ معصفراتُ يدلُّ على المشوقِ المستهامِ
فلما ابَّ صبا قلبي إليها ومدتْ نحوها عينِ اهتامِ
تقاصرَ دونها كغايَ حتى كأنَّ الدبسَ علقَ بالتمامِ
فدونَ السجنِ أطرافُ العوالى ودونَ النارِ بادرةُ الحسامِ
أتلُكُ عصيدةً أم طرفُ سلمى فليسَ يزورُ إلا في المنامِ
وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجراً حتفه فجازَ بنا في الفيضِ شرَّ بحازِ
بعثنا اليه ينسر الباز فأنثى إلينا بظهِرٍ مثل جوجو بازِ
فأطفا نيرانَ الطهارةِ كأنها سحابٌ يسح الودق فوق عزازِ
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحرِ عن كلِّ ناظرٍ ولسكنها في حجبتها تتخطفُ
أخذنا عليهنَّ السبيلَ بأعينِ روادٍ إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها خناجرٌ في أيماننا تهطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مرزرد^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مرزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العمم الذي كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها بسترع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انهُ حى آمنًا مما تفيدُ وتجمَع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ وانْ تكُ جوعاناً فذا يومَ تشبع
فضحك الرشيده وقال يا أصمى مالدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرة لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تسمى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى ◦ تريك القذى من دونها وهى دونه ◦
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حينما كانت من البيتِ مشرقاً وبالم تسكن فيه من البيتِ مغرباً

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والامم فى التعريف بأنسب العرب
والعجم لابن عبد البر » (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذبلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ماتجمع »

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ
يقبلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

ومهففٌ نمتَ محاسنهُ
حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكانهُ والكأسُ في فيه
قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ

فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذكر صفاء الخمر ورقمتها وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباءُ
يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا

ثم شجبتُ فاستضحكت عن جمان^(١)
لو تجمعنَ في يدٍ لآقتنينا^(٢)

في كؤوسٍ كأنهنَّ نجومٌ
دثرات^(٣) بروجها أيدينا

طالعاتُ مع السقاةِ علينا
فاذا ما غرنَ بغيرنَ فينا

لو ترى الشربَ حولها من بعيدٍ
قلتَ قومٌ من قرّةِ بصطلونا

وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أكفِّ الندامى
كنجومٍ تلوحُ في أبراج

أمداماً فرطمُ لمدام
أم زجاجاً سبكتُمُ في زجاج

وكانَ النجومَ والليلُ داج
نقشُ طاجِ يلوحُ في سقفِ ساج

ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشئ * فليس شيء عندها إلا القذى *

وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
فرحتُ كأني في مدارِ الكواكبِ

أنازعها بدرًا مع الليلِ طالماً
وليسَ بمرودٍ مع الصبحِ غاربِ

وقد شابَ لينا بالشماسِ وإنما
تطيبُ لك الصهباءُ من كفِّ قاطبِ

وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القومِ يمزجها
فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضنينا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبننا أراخنا دارنا أم دارنا الرّاح
ومثله قول البحري :

فأضاعت تحت الدّجّة للشر ب وكادت تضي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الأحران أو دعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق والبيد المخضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرّشيق
يحلى بالتبسم درّ ثغر تحلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومى وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيهه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلئ الفائق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
 يلوحُ على مفارقتها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
 وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
 اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجانِ وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعتني الفلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
 ووافقتها بخدِّ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانِ
 وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فإذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثلِ^(١) جلاجلِ الحجلِ
 حتى إذا سكنتِ جوامحها كتبتِ بمثلِ أكارعِ النملِ
 ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأسِ سباها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقّةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
 إذا شجها الساقِ حسبتِ حبابها عيونَ الدبا من تحتِ أجنحةِ النملِ
 وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت ترينى وأمرُ الليلِ مجتمعِ صبغاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٢)
 كأنَّ صغرى وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضِ من الذهبِ
 وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
 من كميتِ كأنها أرضُ تبرِ في نواحيه لؤلؤٌ مفروسُ
 وقلت : راح إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحتَ تطرزُ حلةَ الظلعا
 حتى إذا مزجتِ أراك حبابها زهراتِ أرضِ أو نجومِ سماءِ
 وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والذهب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تبيتُ لى اللذاتُ معقودة العرى
يدبُ الدجى عن وجهِ نارٍ تحلهُ
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أولَ فجره
فكانُ حمرةً لونها من خده
حتى إذا صبَّ المزاج تبسمت
وقال : لءاء فيها كتابةٌ عجبُ
وقلت : دارَ فى الكأسِ عقيقُ فجرى
نصب الساقى على أقداحها
وقال ابن الرومى فى لطافتها :

لطفتُ فقد كادتُ تكونُ مشاعةً
ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز : فأضحك عن ثغرا حباب فم الكأسِ
وقلت : وشراب طوى الزمانَ فخاكى
إن يكنُ بالعقول غيرُ رحيم
ومن أحسن ما قيل فى خيال الكأسِ على اليد قول بعض المحدثين :
كانُ المديرَ لها باليمين
تدرعُ ثوباً من الياصمين
وقال السرى فى معناه :

وبكر شربناها على الوردِ بكرةً
إذا قامَ مبيضُ الجبين يُديرها
وقال البحرى : ألاما كأس سقانى سلافها
إذا أخذتُ أطرافه من قنوها^(١)
فكانت لنا ورداً على خيرٍ موردِ
توهته يسعى بكمٍ مُوردِ
رهيفُ الثنى واضح الثغر أشنب
رأيت اللجينَ بالمدامة يذهب

(١) فى ديوان البحرى (إذا ذكرت أطرافه من قنورها) .

وقلت: شغلت كلنا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسعى إلى مقرطق في كفه كأس وبين جفونه كأسان
 وتناست فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاج ورقتها وصفائها قول بعضهم:

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأس تحجب الأَبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني وبين الراح تحرقها البروق
 وقلت: وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجتها عليها لمعى دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالمتحار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شراها فكانهم يجدون ربا من إناء فارغ
 وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي:

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت: حملت بخنصرها إناء مدامة صفراء تلعب في زجاج أقر
 فكانها والحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشترى

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقد ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كأن أبريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللبن لم يخلق لمن عظام

وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلب الغزاة جيدها وحكى المدير بمقلته غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأن إبريقنا والقطر في فمه طير تناول ياقوتاً بمنقار

إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .

وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن بيكينا

كأن أعلاها إذا أسفرت تعقد في الكأس تلابينا

وأول من شبه الابريق بالأوز لبيد^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :

نُصَمَّنُ يَنْصَأُ كالأوزَ ظروفيها إذا تاقوا أعناقها والحواسلا

فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظلل الرُمح قصرَ طولهُ دم الزرق عنا واصطكك المزاهر

كأن أبريق المدام عشية إوز بأعلى الطف عوج الخناجر

وقال أبو الهندي^(٢) :

سيفي أبا الهندي عن وطب سالم أبريق لم يعلق بها وضر الزبد

مقدمة قرأ كأن رقابها رقاب بنات الماء تفزع للرعء

وقوله (تفزع للرعء) زيادة على ماتقدم .

وأما فضول الكؤوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ تدرىها بالقسى الفوارس

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم

الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فلخمر مازرت عليه جيوبهم وللماء مادارت عليه القلائس
وقال السري الموصلی :

كأن الكؤوس وقد كالت
جيوب من الوشي مزرورة
بفضلاتهن أكاليل نور
يلوح عليها بياض النحور

فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاوى في مزرعة صفر
فدارت بأقداح كأن فضولها
سوالف تبدو من معصرة حمر
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
تبدت وقض الكاس يلمع ساطعاً
على وجه صفراء الغلائل غضة
كأثرجة زينت بأكاليل فضة
وقال الناشئ : ملوك ساسان على كأسها
فخمرها من فوق أذقانها
وماؤها من فوق تيجانها
بصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن المتمر :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تنقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت القيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجو بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك

ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديبب بالمظام كأنه فيض النعاس وأخذه بالمفصل
عبقت أكهفهم بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالمين إغفاء
وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت ووثب الجراد
ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد

ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا وشاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا
« لم يتسربلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
تدب ديبًا في العظام كأنه ديب نمال في نقأ يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الخمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنتها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءت من بيت خمار بطيتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد
فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارئة من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمندبل حين وثب
لما واجها بدت صفراء صافية كأنه قد سيراً من أدبم ذهب

وقلت : قد بزل الدن قفومي انظري زنجية تقتل خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجرري في الهواء أذبالا
تنعمي ما اسطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا ما ندبني على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرجتُ أجره الذليل حتى كأنني (١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشوبيةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لتسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس

وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الأناء خضابٌ
 صريع مدام والندامى يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كان يعرف ربه ويقم وقت صلواته حماد
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :

وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمّل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذليل مني كأنني »

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي قنن: ^(١)
 جَدِّدِ اللذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
 انى ان أمكن يوم صالح ان يوم الشرب لا كان عتيده
 وقال ديك الجن ^(٢) :

نمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث طاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
 فاني رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ مختلفانِ
 فأما الذي يمضي فأحلامٌ نائم وأما الذي يسبق له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ من ليلاناتٍ إذا لم يقضها
 ونراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها سراعٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ
 وحلَّ عتابِ الحادثاتِ لوجهها فانَّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ
 نعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالى ما يأتي وهنَّ وراءُ
 ونحو عجير السلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

علاانى إنما الدنيا عللٌ واتركانى من عتابٍ وعذلٌ
 وانشالما غبر من قدر يكما واستقيانى أبعده الله الجلل

(١) في الاصل (قدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأما إلى لسعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

طَاقِرَ الرَّاحِ وَدَعَّ نَعْتِ الطَّلَلِ وَاعْصِي مِنْ لَامِكِ فِيهَا وَعِذْلُ
غَادِهَا وَاسِعَ لَهَا وَاغْرَبَهَا وَإِذَا قِيلَ نَصَابًا قَلَّ أَجْلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ فَاعْلَمْ سَاعَةً أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَلِكَ أَمَلُ
وَلابن بسام^(١) :

وَاصِلُ خَلِيلِكَ إِنَّمَا السُّدُّ نِيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ
وَإِنَّمَا وَلَا تَتَعْجَلِ السُّمُكْرُوهَ مِنْ قَبْلِ التَّرْوَلِ
بَادِرٌ بِمَا تَهْوَى فَمَا تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَارْفُضْ مَقَالَةَ لَائِمٍ إِنَّ الْمَلَامَ مِنَ الْفَضُولِ

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
وَإِنصَرَمَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصِلْهُ وَالسُّكْرُ مُفْتَاخُ هَذَا كُلِّهِ
قَدْ أَوْطَأَ إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى . وَقَالَ أَيْضًا :

مَشْعَمَةٌ^(٢) مِنْ كَفِّ ظِيٍّ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا
فَظَلَّتْ بِأَيْدِينَا تَتَمَتَّعُ رَوْحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ تَارَهَا
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إِذَا الْيَدُ نَالَهَا بَوْتَرٍ تَوَقَّدَتْ عَلَى ضَمِّهَا^(٣) ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنْ الرَّجْلِ
وَبَيْتُ عَبْدِ السَّلَامِ أَجْوَدُ مِنْهُ .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يمد في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،
كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنا مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطبة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضمها) .

كَأَنَّهُ وَالسَّكَّاسُ فِي كَفِّهِ بَدْرٌ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وَقَلْتُ: وَطَالَعَنِي الْغَلَامُ بِهَا سَحِيرًا فزَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكْبَانِ
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَخْتَارِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرَّوْمِيِّ * وَمَهْفَهْفٌ نَمَتْ مَحَاسِنُهُ *
 وَقَدْ مَرَّ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحْوَدَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ قَمَرٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 وَمِثْلُهُ فِي الْجَمْعِ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَىءُ وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زُبْرُجْدٌ
 وَأَحْوَدُ مَا قِيلَ فِي قِيَامِ السَّقَاةِ بَيْنَ النَّدَامِيِّ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحْرٌ وَمَا سَوَاءُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامِيِّ أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
 فَشَبَّهَ اصْطِفَافَ الشَّرْبِ جُلُوسًا بِالسُّطُرِ وَالسَّقَاةَ بَيْنَهُمْ بِالْأَلْفَاتِ فَأَحْسَنَ .

وَمِنَ الْبَارِعِ الدَّخْلِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :

وَإِذَا سَكَّرْتُ فَاثْنِي مَسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرَضِي وَافِرٌ لَمْ يَسْكَامِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدَى وَكَأَ عَلْتِ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فزَادَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامِيِّ إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بَدُورًا يَسْتَحْثُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يَحْدِثْنَ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 وَالزِّيَادَةَ أَنْ عَنْتَرَةَ ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ إِذَا سَكَرَ ، وَالْبَحْتَرِيُّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَكَرَّمَ
 قَبْلَ الْكُؤُوسِ فَيَبَالِغُ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الْكُؤُوسُ أَنْ تَزِيدَهُ تَكَرُّمًا .

وَمِنَ أَطْرَفِ مَا قِيلَ فِي حَسَنِ النَّدَامِيِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنْتِي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانُ غَيْرُ جَهْوَلِ
 فَانْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتَهُ وَاسْتُ إِلَى مَا سَاءَ لِي بِهِمْ بِجَهْوَلِ
 قَوْلُهُ * لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنْتِي * فِي غَايَةِ الظَّرْفِ . وَشَبَّهَ الْبَيْتَ

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ
سُ فادري ادمانهُ بالحلوم
قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطه
عند ذلك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيّن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذلك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

واست له في فضلة الكأسِ قائلاً
لأصرفه عنها تحس وقد أبي
ولكن أحبيبه وأكرم وجهه
وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتبهى
وليس إذا ما نام عندي بموقفٍ
ولاسماع بقطان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى
أخاً لدى مطاها
لم يكن بيننا رَضاعٌ ولكن صيرت
بيننا المدام رَضاعاً
وهو من قول الناشئ : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذِكْرُ الرجل عمره الثاني .
وروي ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لانكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لانسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراه
لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه
رحا اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه
كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا
ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه
واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدا
م سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء
م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقلد .

خلق النديم إذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحنشم وأنا مؤانس تدأبلرضاني (١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أطاقُ النبيذَ خيفةً إثمٌ إنما عفتهُ لفقدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ لكريم دونَ النديم الكريم
 فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيبئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةً لونها وسرتْ بلذنتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الحمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الحمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الحمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائر حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقُ كناظرِ الخمرِ وأقحوانٌ كشتفور الحور
 ونرجسٌ كأنجمِ الديبجور

(١) في الأصل (تدأبلرضى) .

فشبهت ما يمتري بياض العين والحاليق من الحجرة عند الحمار مع سواد الحدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تليتها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستغنيك من لماعها وتحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى زرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوةٍ مثل الهمها أدجنَ إدماجا
يجاذين من الأردا في كثناناً وأمواجا
وقضبائناً من الفضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها ناجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذين فغنينسك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيح فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحثة خلق المغني قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحثة خلقه ناعم الصوت متعب مكثود
كأنين الحب أضعفه الشوق ق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تعلقوا كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحي للمبادئ موصولة بالمشيد
 كهبوب الصبا توسط حالاً بين حالين شدة وركود
 وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمناسها إذا ضربتُ بها وتثرُ بسرهما على العودِ عتابا
 وقلت: وهيجتُ لي من شوقٍ ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ عتابا
 لا عيب في العيش إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
 ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلُّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عنبر
 لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغى كأنها لاتفى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
 مدٌّ في شأو صوتها نفسٌ كما في كأنفاسِ عاشقها مديد
 ولها الدهر لائمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعبد
 وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كاتى تندرُ في الندره

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
 فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم
 ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
 وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السفندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض سمطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد يياضُ الغلالة من فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :

أست ترى ركب الغمام يُساقُ وأدمعه بين الرِّياضِ مُراقُ
وقد رقَّ جلباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
وعندي من الرِّيحانِ نوعٌ تحيةً وكأسٌ كقراق الخلوقي دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق
لنا أبدأً من ثره ونظامه بدائعٌ حلي مالهن حقاق
وأغيد متهزجاً على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فمن له دونَ النطاق نطاق
هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبت الأَبصار فيه كأنَّ عليه من حلق نطاقا
وقد مر ، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق
وغرفتنا بين السحائب تلتقي لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوارٌ من الهند سقفا خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترض القوافي عندهم:

أطجم تلندُ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تجببت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفية برد الشراب لديهم
 وقلت: وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت: هذا حبيب وصول
 وذلك شرح شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وإباق
 مفارق إلف حان منه فراق (١)
 حمم إذا فارقتهم وغساق
 وبعث فيه العقل والديننا
 وبات فيه الهمة مسكيننا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن ببيكيننا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يسدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مرنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي؟ سماء ضاحكة منتجبه
 طلبت أقصى أملي منه فنلت الطلبة
 بسيدين ارتقيا منقبه فمنتقبه
 واتقيا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشربها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم ذخر ذخر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساطاته المستعذبه
 كالحظة مخلوسة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيب وريحاً ن ونقله وغناء
 ومن المشروب لونا ن شموله وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طيخه وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلسان صدق أدباه أرباء
 أرسلوا في الصحن ماء فكان الصحن ماء
 واثنوا للحسن عدواً فغواشيه رداء
 فارشف الهمم عناء أما الهمم بلاء
 واغتنم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليس الدنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّيح وانصرفوا والرّاح تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كللسا كين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تريد حسا الكأس السفيه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا

وإن أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صحياً

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين السكوس غمامة
 من الندى إلا أنها ليس تهطل
 على جلده ثوب العروس المصنل
 وبأسود وبأخضر وبأشكال
 ومقوم مثل القضب مهفف
 ومفرج من خده ومكفر
 وبياض وجهه بالصباح مقنع
 ومخلق من شعره ومسلسل
 عقلت أباريق المدام بكفه
 وسواد فرع بالظلام مكال
 وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
 كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
 فكأنما الكاسات في حافاته
 مثل الغمامة غير أن لم يهمل
 شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو ألدُّ من ابتدا ع العين في اغنائها

أحلى وأشهي من منى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصفاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغروا نحوها الآذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدتُك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها

سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يفتادَ نفسي من عناها

ومسمة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصم صداها

مرت أوتارها فشتت وشاقت ولو بسطيع حاسداها فداها^(٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معي بحبِّ الغانياتِ ولا يراها
 وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسداها) وليس تقوله (فلا يسطيع حاسداها)
 معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فما
 ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلاما
 ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلاً ولا عريباً شاقه صوتٌ أعجبا
 ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
 وتشبيهه بإصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
 فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
 طوراً تدغدغُ بطنه فاذا هفا عركتُ له أذناً من الأذان
 ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتُ عابثُ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا
 تدغدغُ في مهيلِ بطنهُ فتسمعنا مضحكاً معجباً
 وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال :
 شدتُ فجلتُ أسماعنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحديثه
 مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدته
 فلنار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهُ وللماء مثلثه
 وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه لنفمة على حسبِ الطبع الذي منه يبعثه
 شكاضرب يمناها فظلتُ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعته
 فما برحتُ حتى أرتنا مخارقاً يجاذبهُ في أحسن النقر عثمته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالى من فحول الخضر مين والمعربين .

(٢) أى لم تغفر .

وحتى حسبت البابلين القنا؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفته
 وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم:
 غصن على دعص نقا منها ل سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجح الا كفال
 يأخذنَ من طرانف الأرمال ومحكم الخفاف والنمال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كلَّ سال يصرع كلَّ فاتك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاحم في وصف العود والقينة وأحسن:

تميسُ من الوشى في مُحلةٍ تجرُّرُ من فضل أذياها
 وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب بضاهى اللحون بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانةٌ مثل خلخالها
 فظلت تطارحُ أوتارهُ باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جسماً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يبنى لكل إنسان بما يشتهي. وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أنى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطاً من عمل زر لى فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه: قد بمثت به أرسح البطن أحدب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحظة محتضنه وحسن النصارب به وطرب المستمع له.

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ:
 * وكان يمينها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب:

إذا هي جستهُ حكّت متطبياً يجيلُ يديه في محسِّ عروق

وقد استحسن الناس هذا البيت وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأن الطيب يجس بيد واحدة وكذلك الضارب فليس لذكر اليدين وجه
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أوتاره فتوفيك ألسنه أحرف
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوت الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت زُبَّ ليل كسالك ثوبَ نعيم بين ساقٍ وسامرٍ ونديم
 وكووس جرت وراءَ كووس وأعانت على طريق الهموم
 ولنا مزهرٌ كمثل فظيم في يدى مطرب كأم الفظيم
 وسموا صدره بعاج وذبل فرهته محاسنُ التوسيم
 مثل أرضٍ تحببت بأقح أو سماء تكلمت بنجوم
 ذو ملاوٍ سود الفروع ومُحمر مثل أطراف فرحةٍ ونعيم
 ووساين لانبجول عليه كخلائيل مارد وظلوم
 أحر الزير أسود الم أحوى هل رأيت جداولَ التقويم
 ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركه وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركه أناملها كان الهواء يفيدُه نطقاً
 جسته طامةً بحالته جس الطيب لمدنف عرقاً
 فحسبت ينهاها تحركه رعداً وخت يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقص :

عجبت من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً وبعلاوانه
 كأن أفميين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربتُ على لذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقماً ، ومثله قول البحترى :

تداويتُ من ليلى بليلى فما اشتفى من الداء من قد باتَ بالداءِ يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثلِ صفِّ رجالٍ قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوى الأصفهاني في الزق :

عجبتُ من حبشي لا حراكَ به لا يدركُ الثَّارَ إلا وهو مذَّبوحُ
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجعُ رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوى زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طولِ صحبته لا ينفعُ الدَّهرَ إلا وهو محمومُ
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملاّن أمسى فارغاً كأسير الرِّقِّ أدى فمتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرةً قد برنسن بالطين
مكافآت لحرِّ الشمس قائمة كأنهنَّ نبيطُ في بساتين
وقال آخر : نحسبُ الزقَّ إذا أسندته حبشياً قطعتُ منه الشوى
وقال العلوى الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرةٌ مكنونةٌ قد تكشفتُ كراهيةً بين الحسنِ الأوانس

وأترابها بلبسنَ بيضَ غلائل هي العرى^١ مقرور^٢ بها كل^٣ لابس
 مشعشة مرهأ ما خلت^٤ أنى أرى مثلها عذراء في زى^٥ طانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^٦ (١) وانتصابه خرطوم^٧ فيل سقطت^٨ أنيابه
 وفيه : سماء لا ذطرها رحيق رَحْب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق^٩ حتى إذا ألهبها التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأشده أبو عثمان :

فبت^{١٠} أرى الكواكب دانيات^{١١} ينلن^{١٢} أنامل^{١٣} الرَجَلِ القصير
 بالكفين^{١٤} عنى وأمسح^{١٥} عارض^{١٦} القمر المنير
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له باقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت^{١٧} بضعف^{١٨} سكرى أما سقيتى^{١٩} إلا بمسعط
 بحسبك^{٢٠} أن^{٢١} خاراً^{٢٢} يجني أمر^{٢٣} يبابه^{٢٤} فأكاد^{٢٥} أسقط^{٢٦} (٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت^{٢٧} من كل^{٢٨} ضرر كان^{٢٩} يجني عليك في رغفانك
 قد رد دناه^{٣٠} فاتخذ^{٣١} لسكبا جك^{٣٢} والنائبات من أذقانك
 واتخذ^{٣٣} على خوانك خلا^{٣٤} فهو أولى بالخل^{٣٥} من إخوانك
 أضرستنا حوض^{٣٦} فيه تحكى رعدة^{٣٧} (٤) تمترتك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقى^{٣٨} بالكبير إلى^{٣٩} كبير إنما يشرب^{٤٠} الصغير الصغير
 لا يفرنك^{٤١} يا عبيد خشوعى تحت^{٤٢} هذا الخشوع فسق^{٤٣} كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذي يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لئك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنا من كرومِ بابل فبتُّ من عقلي على مراحل
وقال غيره في نبيذ الدبس :

علني أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شابٍ أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بنافِ خمارٍ مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بلور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدة نصف سائر
أنطقته بدا فتى فأن اللحظ ساهر
فكسى عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعرفة :

معلنة الأوتار سخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حلةٌ بيضاء من جلدِ غزالِ ريب
كأنما نعمة أوتاره نصبتُ أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً شديد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهاوت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار الناظرين وأحلاها في أنفس المتوسمين وحبورها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صباحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره في منازلته وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق . وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً .

(هذا كتاب المبالغة)

(في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول

(الفصل الأول)

في ذكر النجوم

أحسن ما قيل في النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبانٍ تشبُّ القُمَّالُ (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليلٍ والنجومُ كأنها قلادةٌ درّ سلٌّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأُ العيونَ كبيرٍ وصغيرٍ ما بينَ ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها ليجاً إذا التبسَ الدُّجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأنَّ سماءَها لما تجلّتْ خلال نجومها عند الصبح
رياضٌ بنفسج خضل نداء تفتح بينها نورُ الأفاقي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الحمار والنجمُ غائر غلالةٌ ليلٍ بالصباح مطرر
كأن يياضَ النجم في خضرة الدُّجى تفتح وردٍ بين رندٍ^(١) وعبقر
وقلت : كم سرور زرعَتْ بين الندامى وهموم طردَتْ بين الكؤوس

وتلوح^(٢) النجومُ في ظلمة الليالِ كماج يلوحُ في ابنوس

وقلت : بليل كما ترفو الغزاةُ أسود على أنه من نورٍ وجهك أبيض

كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ماهو أصفر وأحر فشبّه الأبيض بقبعة

مفضضة والأصفر والأحر بالذهبة والذهب يوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا

التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتتم المقابلة ويخلص

من تكلف « وتلوح » .

وخلت نجوم الليل في ظلم الدجى خصاصاً أرى منه النهار نقابا
 وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
 وردت عايبها والنجوم كأنها كتائب جيش سوّمت لكتائب
 وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
 والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :

إذا ما للثريا في السماء تمرضت تعرض أناء الوشاح المفصل
 وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
 قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال
 والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
 وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما للثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فتبددا
 أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة واسكنها مرصوفة .
 قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
 أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
 الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
 البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
 تبدو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود
 والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
 أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لساربيها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) إذا ذقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوعِ ومغيبِ
فخيرتُ لها التشبيهِ بالمعنى المصيبِ
فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)
وقلت : شربنا والنجومُ مغفراتِ تمرٌ كما تصدعت الزحوف
وقد أصفت إلى الغربِ الثريا بوالد لوسلها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج
وقد لمعت بينَ النجومِ كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج
وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخد الموصلي :

وترى النجومَ المشرقات كأنها دررُ العصابة
وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى
قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعي نجومَ الليل وهي كأنها بواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس
كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبري على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِفَنُونٍ مِنْ غِنَاءِ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَّرِيَا كَنَسْوَةٍ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْفَائِلَ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النَّوْرِ مَنْخَلٌ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقَنِيهَا وَالظَّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْرَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرَ أَوْ لَجَامٍ مَفْضُضٌ
وَشَبِهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوضَ النَجْمِ وَالْأَفُقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبٍ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقَطَّبٌ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْلَجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْمَهْلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفَّ إِلَى نِصْفِ دَمَلَجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالُ الْأَفُقِ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَّمَ مَنْتَقِبَ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعٌ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّاسِ جُفْدِي وَمُحِيًّا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْخُنُودِ كَالنَّارِ لِانْتِعَافِ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَبْرَبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ

كشرفات فدن مشيد

وَقُلْتُ : قَمٌّ بَدَّ نَظْرُ الدُّهُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمَفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجٌ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمُدُّهُ نَسَاجٌ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رَبِّ لَيْلٍ وَهتْ لآلِي مُسَوِّعِي فِيهِ حَتَّى وَهتْ لآلِي الثُّرَيَّا
 وَرَدَاءُ الدُّجَى لِبَيْسٍ دَرِيْسٍ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيًّا
 وَشَبَّهَ أَبُو فِرَاسٍ الثُّرَيَّا بِالْمَخْذِ مِنَ النَّوْمِ وَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ لِأَنَّ أَنْجَمَ الثُّرَيَّا بِيضَ
 وَالنَّقْطَ عَلَى فِخْذِ النَّوْمِ سَوْدًا . وَقَالَ السَّرِيُّ :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بِنَجْسٍ مَلِكٍ
 أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلَ كَعْبِ الْغَنَوِيِّ (١) :
 وَقَدْ مَالَتِ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا فَسَاطِيطُ رُكْبٍ بِالْفَلَاحَةِ نَزُولُ
 وَلَوْ شَبَّهَهَا بِفَسْطَاطٍ وَاحِدٍ كَانَتْ شَبَّهًا . وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ فِيهَا وَفِي الثُّرَيَّا :
 وَقَدْ هَوَى النُّجُومُ وَالْجُوزَاءُ تَبَعَهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
 مَعَ أَنَّ الْمَصْرَاعَ الْآخِرَ غَيْرَ مُخْتَارٍ الرَّصْفُ ، وَالنُّجُومُ اسْمٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِ الثُّرَيَّا .
 وَقَالَ فِيهَا وَفِي الشَّعْرِ الْعَبُورُ :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمْحِ جَرَّةٍ رَامِحِ
 وَقَلَّتْ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شَرْدَقَهَا طِفْوًا غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبِ
 وَهَذَا وَصَفَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا . وَقَلَّتْ فِيهَا حِينَ تَوْسُطُ السَّمَاءِ :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
 كَانَتْهَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةً تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
 كَانَتْهَا الْجُوزَاءُ طِبَالَةً تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ
 وَقَلَّتْ فِيهَا عِنْدَ غُرُوبِهَا :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرَعٌ عَرُوسُ زَبْنُوهُ بَدْرَةٌ وَجُجَانُهُ
 وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارَسٌ مَالٌ عَنِ سَرَاةٍ (٢) حِصَانُهُ
 وَقَالَ آخَرُ : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتْرُ قَوْمٍ أَخَذُوا وَتَرَاهُمْ بِقَطْعِ يَدَيْهِ

(١) من بنى غنى، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. (٢) سراة كل شيء: أعلاه.

وقد استحسن قول العلوي الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما نادت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونطاقها متراصف في نظمه فسكاً مما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تسكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفزع الخودِ أوعين الغزالِ
كان كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلة^(١) مفجرة السبزالِ
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلل
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الذكرى واعترضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتة في مدرى ما أطول الليل بسر مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من السكواكب قول بعضهم :

ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للسارى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرير العود :

أراقب لمحا^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدة المزوود^(٤) وهو من الأنجم في مجيد

حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة ». (٢) في ديوان جرير العود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزورور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه يعارضها راع أمام قطع

أجود ما قيل في النسر الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالاتافي تعاوروا دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وهو من الغز المليح . ومن جيد ما قيل في الفردين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كارت زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الحجر قول بعضهم :

كأن الحجر جدول ماء نور الاقح في جانبه

وقال ابن طباطبا :

مجرة كالماء إذ ترققا شقت بها الظلماء برداً أزرقا

لباس تسكلى وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول المجرة أوردت لتسكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متسكلاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفض الغراب جناحه متبعم الأعلى بهيم الأسفل

تبدو الكواكب من فتون ظلامه لمع الأسننة من فتون القسطل

وترى الكواكب في المجرة شرعاً مثل الظباء كوارعاً في جدول

وقلت : تبدو المجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالإيم ينساب

وزهرة بازاء البدر واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأن ابن مرزته جانحاً قسيط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مرزته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذته ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشفار
 كأن الذي أبقى لنا منه أفته قصيص سوارٍ أو قرأضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقى لنا منه أفته *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بغير قد أنار هلاله فالآن فاغد إلى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر
 وقال : في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضل السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً

برد الليل حين هبت شمالاً فجعلت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حية الرمل أصابت على البقاع مقبلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا

وقلت : وكؤوس اذادجى الليل أمرت تحت سقف مرصع باللجين

وكأن الهلال مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب المجاعة ضامر بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ ولكنْ أمرُهُ عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً
 قد كانَ حملَ ليلتينِ فلم ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
 ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبعِ عشرة ليلةٍ كهلاً

وقال السري :

قم يا غلامُ فهايتها في كأسها كالجلنارةِ في جنى نسرين
 أومارأيت هلالَ شهرِك قد بدا في الأفقِ مثل شعيرة السكين

جمل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهلالُ مشنفٌ بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
 كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب
 جمل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
 يبدو ويبدو والنجم فوق جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا
 وقد استحسنت للملوي الأصفهاني قوله :

لاح الهلالُ فوويقَ مغربه والزُّهرةُ الزَّهراءُ لم تغب
 تهوى دوين مغيبها فهوتُ تبكي بدمع غيرِ منسكب
 فسكانها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةً والهوى مُتضرِّمٌ والبدرُ في أفق الساءِ مُغربٌ
 فسكانها فيه رداءٌ أزرق وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كانَ الهلالُ الشهرِ قطعة دملج تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
 ترى الزهرة الزهراء تهوى وراه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضةٌ ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولتُ اللذاذ من كذب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلةٍ قراء تحسب أنها تلتقي على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على حجر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفةُ العطر
فريسة للبق منوشة قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شرراتُ البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحمُ علافي وأبيض صارمُ وأعيسُ مهريُّ وأروع ماجد^(٢)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى المهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيجات العيون وعورها
 كأن لنا منه بيوتاً حصينة مسوحاً أعاليها وساج كسورها^(٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد أنقت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحم
 سدت على نظير الرائبين منهجه حتى تعارفت الأشخاص بالكلم
 لا أسامُ الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأينقي الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلاد بأتمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أين لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأمم لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجلك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بغفرة كغفرة يحيى يوم يذكر جمفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدغني لصبوح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّةٌ مِثْلَ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا
وقد صبغ الليل الحصى بسواد^(١)
أخذه البحرى فقال وقصر :

على باب قنسرين والليل لاطخ^٢ جوانبه من ظلمة بمداد
ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد
الاستعارة . وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم ° كأن دجاها من قرونك تنشر * فقال :

سقتنى فى ليل شبیه بشعرها شبیهة خدبها بغير رقيب
فوقع بعيداً عنه واختل فى النظم وأقلق القافية . وقلت فى معناه :

تسقيك فى ليل شبیه بفرعها شبیهاً بعينها وشكلاً بخدبها
فتسكر من عين وكأس ووجنة تحييك أعقاب الكؤوس بوردها

ومن البدیع فى هذا المعنى قول ابن المعتز :

أرقت له والرَّكبُ ميل رؤوسهم يخوضون ضحضاح الكرى وبهم قر
علامهم جليد الليل حتى كأنهم بزاة تجلى فى مراقبها قمر
إلى أن تعرى النجم من حلة الدجى وقال دليل القوم قد نقب الفجر
وقدوا أديم الفجر حتى ترفعت لهم ليلة أخرى كما حوم^(٢) النسر
وقال ديك الجن :

سير ضيك أنى مسخط فيك كاشحاً ومرتب هولان موت مرقب
وجانب ليل لو تعلق قطعة بقطعة صبح لانتت وهى غيب
وقلت : ومد علينا الليل ثوباً منمقا وأشعل فيه الفجر فهو محرق
وصبحنا صباحاً كأن ضياءه تعلم منا كيف ييهى ويشرق
وقال ابن المعتز :

نفلت الدجى والليل قد مد خيطه رداءً موشى بالكواكب معلما
وهو من قول الله تعالى (الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)

(١) فى الأصل نصحيح صححناه من ديوانه . (٢) فى ديوان ابن المعتز (خلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي:

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمَلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ
لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرَا وَضَاتِ

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
وجل صنفته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عبار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالمن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فنين:

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مَلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ بِدِ
وَنَحْنُ ضُجَيْعَانُ فِي مَسْجِدِ فَلَهُ مَا ضَمِنَ الْمَسْجِدِ
أَيَالِيَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْسَلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدِ
وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاغِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لِيَايِ يَاغِدِ

وقال السري:

وَشَرَّ دَالِصَبْحٍ عَنَا اللَّيْلُ فَاتَّضَحَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودِ
وَقُلْتُ: لَيْلٌ كَفَرَعِ الْخُلُودِ تَخْلَفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَمَّا نَفْضِ الرِّقِيبِ غَلَالَةَ الدَّلْثَاءِ
وَقُلْتُ: وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودِ
وَالصَّبْحُ فِي آخِرِهِ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس:

وليل كموج البحر^(١) أرخى سدوله على أنواع الهوم ليتلى

(١) أي كموج البحر في شدة ظلمته .

فقات له لما تمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلُ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يسكبه من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبحُ بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرىء القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أن للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كل مطرح
 فجاؤ بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس
 موقفاً والتسكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكرامة في ظاهرة .
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليلِ جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلِ أطفالَ حبها ^(٢) . كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليلِ أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلينى لهمٍ بأميمه ناصب وليل أفاديه بطيء السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذى برعى النجوم ^(٣) بأيب
 وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كنهها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ فى جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أمر القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
قنهارى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنت فرقتَ بالفرقِ صبرى فأعرتنى لماعراني اصطبارا

ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إن فى الصبحِ راحةً لمحَبِّ ومع الليلِ ناشتاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطَنًّا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالفرقِ أطول
وتنمى بعض المثقلين بالدين المبطلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء

ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لانطبقُ لها قضاءً ولا رداً وروعات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر مافيه خللُ
كأنما الاصباحُ فيها باطل أزهقه اللهُ لحقِّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلة الهجرِ وساعات العذل
 موصدة على الورى ابوابها كالنار لا يخرجُ منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردى . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظلِّ الرَّمح قصرَ طولهُ دم الزَّقِّ عنا واصطكاك المزاهر
 وقال البحترى :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أو آخرهُ من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :

وحلت عليه ليسةٌ أرحبيةٌ إذا ماصفا فيها الغديرُ تكدراً
 بعيدةٌ^(١) ما بين البياضين لم يكد بصدق فيها صباحها^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حلية الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
 والآن ليلى من بانوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحى غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذى تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنفته ، والمعنى أن ليله محدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تعمل
 ليلى كما شاءت قصيرٌ إذا جادت وإن ضنت فليلي طويلٌ
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » (٢) في ديوانه (فجرها)

لا أظلم الليل ولا أدمى أن نجوم الليل ليست تغور
 ليلى كما شئت فان لم تزر طال وإن زارت فيلي قصير
 إلا أن يئته الثاني أحسن تقسيماً من يد الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده . **جُلُّ شَمِيٍّ وَهَمِيٍّ جُرْجَانٌ***
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شئت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أنا ثمَّ عنك عَمْدُ

وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :

غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجِدِ أوجنون

ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدم حرور

أجبل في صفحته عيناً ما تتلاق لها جفون

وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الاكوار والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .

وأنبا المجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم *

وقال بشار :

لخدك من كفيك في كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد

وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجراً * والاشتجار

وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفاذه
 وقال: خليلي ما بال الدجى لا تزحزح
 وليس لليل العاشقين نفاذ
 وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
 كأن الدجى زادت وما زادت الدجى
 ولكن أطال الليل هم مبرح
 وقال ديك الجن:

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو:
 كأن نجوم الليل سارت نهارها
 فنجيم حتى تستريح ركبها
 ما يعرف الليل إلا عاشق سهرها
 فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتجيره وتبلده فقال:
 لست أدري أطال ليلى أم لا
 لو تفرغت لاستطالة ليلى
 كيف يدري بذاك من يتقلى
 ولرعى النجوم كنت مخلى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال:
 وطولت ليلى لو دريت بطوله
 ولكنه يمضى لما بى ولا أدري
 وقال بشار:

طال هذا الليل بل طال السهر
 لم يطل حتى دهانى بالهوى
 ولقد أعرف ليلى بالقصر
 ناعم الأطراف فنان النظر
 فكان المهجر شخص مائل
 وكما أبصره النوم نفر
 وقلت: صيرنى البين عرضة الحين
 لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومى ويليلى بهم
 لما يزالا بهم قصيرين
 كان قليلاً لدى مكثهما
 فكنت أدعوها الجديدين
 فطال بعد الجيب لبتهما
 فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى. أكثر شعره فى الغزل.

وقال آخر :

باليَسَلَةَ طالتُ على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادتُ تكونُ الحولَ في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها يبدرى
لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجر حتى آوتتُ وهي بكرُ الدهر
وقال غيره : وليسلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجنٍ ذو ضمير متهم مثل سرور شابهُ عارض غم
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنَّهُ مستعرٌ قد ابتم
مازلتُ فيه عاكفاً على صنمٍ مُهفّف الكشح لذيد المتزم
تفاحه وقفٌ على اثمٍ وشمٍ وبانه وقفٌ على هصرٍ وضم
باطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيشُ بأكناف الغضا وكذا العيشُ إذا طاب قصر
في ليالٍ كأباهم القطا لستَ تدري كيف تأتي وتمرّ
وقلت : إذا البرق من شرقٍ دجلة بنبري على صفحات البارق المتأنيق
أشبهه دهرًا أغرَّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورق
فمرّ كرجع الطرفِ ليس بسمه حنينٌ إلى مخبورة المتمشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعرابياً قول جرير :

أبدلَ الليلُ لانسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجمَ حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليس لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب (١)
 نعم الحب أوزق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
 بمجلس لذّة لم نقو فيه على الشكوى ولاعدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك

ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا عقلتُ جبال قوم صحبتهم وشيبي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسوم وأجنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيتهم فآتى مشيتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجور سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهر

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظللنا في جوار أبي الجنا ب يوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :

ويوم كاهام القطة محب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن (٣) كمن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تميب واشبه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباح » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال ويله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثيرَ الطحلب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظه
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمدد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتمكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلاةً تشبه اللحظة في اتقاها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريراً مثلها أنشطت دهاء من عقابها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقَد جاوروا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت نادبهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غم وابن محاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَّتْ في رِعِيلِ ذِي أَدَاوِيْ مَنْوُطَةٍ بِلِبَاتِهَا مَرْبُوعَةٌ^(٤) لَمْ تَمْرُخْ^(٥)
 إِذَا سَرَبَخٌ عَطَّتْ^(٦) بِجَالِ سِرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبِخٍ
 فَرَقَعَ الشَّيْخُ الأَرْضَ بِمَحْجَنِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخِرَ يَصِفُ لَيْلَةَ^(٧) :

- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر يبكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي آخِرِيَّاتِهَا مُلَاءٌ يَنْقِي مِنْ طِيَالِسَةِ خَضِرٍ
تَخَالُ بَقَايَاهَا الَّتِي أَسَارَ^(١) الدُّجَى تَمَدُّ وَشِعَاءً^(٢) فَوْقَ أَرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّئًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ بَيْنَمَا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَا رِيكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده وورديته كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة ، وقد أجمع الناس على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وَقَدْ لَاحَ لِسَارِي الَّذِي كَمَلَ الشُّرَى عَلَى آخِرِيَّاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى^١ مُشَهَّرٌ
كُلُونِ الْخِصَانِ الْأَنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجِلْدُ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت حرته ببياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وَمَارَعْنَا إِلَّا الصَّبَاحَ كَأَنَّهُ جَلَالُ قَبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ

وقال أبو قال غيره :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجِلَالِ

ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السور: البقية والفضلة ، يقال إذا شربت فأسئر . (٢) الوشعة : لفيفة من غزل ، وتسمى القصبة التي يجعل النساج فيها لحمه الثوب للنسيج وشعة . (٣) البرك إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت ، وقيل البرك الإبل البروك ، وقيل البرك: ألف بعير .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه ظليمٌ على بيضٍ نكشَ جانبه
وقد أبدع أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جنبابه كالخبشيَّ قرَّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فعمتُ والليلُ يجلوهُ الصبحُ كما جلا التيسمُ عن عُزِّ اثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جنبابه
وهذا من قول الآخر : كطاعةِ الأشملِ من بردِ شملٍ . وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثُ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كمينِ الأشملِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كوقدِ باتٍ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمةً واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزلاً بفجره في ليلة كفريسٍ بيضاء دهاء اللب
وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورِّدٌ مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردُ ممسكٍ وقابلهُ للغربِ بردُ ممشقٍ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءه تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرراتٍ بالصباح معلمه
 أخطرُ في بردتها المسهمه والرَّوضُ في حلتها المنمنمه
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَّرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداههُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطرُدُه النهارُ ولا أرى كالليلِ يطرُدُه النهارُ طريدا
 وتراءهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسّم في أديمه يدعه يطرُّ في حيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أمتى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلُ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوى الاصفهاني :

وليل نصرمت النى فيه على الرشد وأعدبت فيه الهزل منى على الجدد
 وضيعت فيه من عناقٍ معانقي فظنَّ وشاقى أنى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادى يعرب
 وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يمدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجيادِ الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرّةٌ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
 ونجمه مثل السراج الأزهري

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاح ضوء الصبح فاستبيننا
وقال التنوخي: والستريا كلدواء
وبدا الفجرُ كسيفٍ
وقلت: أديرأعلى الكأْس والليلُ راحلُ
ترفع عنه منكب الليل فأنجلي
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه
وقال: أسامره والليل أسود أورك
تبسم محمراً آخلال سواده
علق فوقَ شفتيه متاع
إلى أن جلا الاصبح عن أشقرورد
تبسم ورد الخد في الصدغ الجمعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الاصيل لهم
ولحاجة لم أضاجع دونها وسنا
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :
والصبح يتلو المشتري فكأنه
والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزَّاحف يزجي خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشي خلفه الصاحي
كأنَّ العازفَ الحني أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الامرية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوموم
وقات: وقد غدوتُ وصبغ الليل منتقص وغرّة الصبح مصقولٌ حواشيبها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وانحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الاعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وأنجاب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرٌ أصفر
إلى أن علتُ وأبيض عنها اصفرارها وجالتُ كما جال المليحُ المشهر
ترى الظل يطوى حين تلو وتارة تراه إذ امالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا واتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ ونحيا كلَّ يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم علي
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالمراة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تظالني الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتستر غُمرتها بالبحار
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَّ غيمٍ وهو يَأبى

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ اذهى رفعتُ
وقلت في يوم صحو :

ملا العيونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكأنها عندَ انبساطِ شعاعها
جرت إذ ابكرت ذبولَ مزعفرٍ
فشربتها عنراءَ من يدِ مثاها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجات في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :

حتى علا الطود ذبل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

طوراً وطوراً تزيل الحاراً^(١)

خفى مدنف من خلفِ سترٍ
كمنين يريدُ نكاحَ بكرٍ

من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
كما أشرقت فوق البرية زنب
ولكنَّ وجهَ الأرض فيها مذَهَبُ
على الافقِ الغربي شبراً يذرب

صحوً يطالعنا بوجهٍ موقرٍ
وجهُ المليحة في الحار الأزرق
تبرُّ بذوبُ على فروع المشرق
وتجبرُ إن راحت ذبولَ ممشق
تحكى الصباح مع الصباح المشرق

كأسماء إذ مدت عليها إزارها

كإيصفر فودى رأسه الحرف

مثل الكعابِ الخودِ في نقابها

(١) ستأتي هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني.

كان خبوء الشمس ثم غرورها وقد جعلت في مجنح الليل تمرض
تخاوص عين بين أجفانها الكرى برنق^(٢) فيها النوم ثم تغمض
ومن جيد ما قيل في احمرارها عند المغيب قول ابن الحاجب :

وكانها عند الغرو ب جفون عين الارمد

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إذ ارتفت^(٣) الشمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربي ورساً مذعدعا^(٤)
وودعت الدنيا لتقضى نحبها وشول باقي عمرها وتشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضه وقد وضعت خد على الأرض أضرها
كلاحت عواده^(٥) عين مدنف توجع من أوصابه ماتوا جمعا
وظلت عيون الروض^(٦) تخضل بالندى كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا
وبين إغضاء الفراق عليهما كأنها خيلاً صفاة تودعا

وقال الآخر :

والشمس تؤذن بالشروق كأنها خود تلاحظ من وراء حجاب

وقال السري :

ومن قصور عليه مشرفة^(٧) تضيء الليل أسود الحجب
يبض إذا الشمس حان مغربها حسبت أطرافهن من ذهب

- (١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .
(٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل (يرفق) .
(٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .
(٤) الورس : نبات كالسهم ، ومذعدعا : متفرقا .
(٥) في الأصل « عوادها » .
(٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .
(٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيب ليظها واصفرارها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فإذا أشرقَ النهارُ تراهم راملات في مثل ماء زلال

وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما بكر عن الماء الزلال

وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

	السطر	الصفحة
هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .	١٦	٥٨
يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل	١٩	٦٠
وقال غيره	١٦	٦٣
عليت بأن الثاب ليست رزية	١١	١٥٩
من صخر تدمر أو من وجه عثمان	١٣	١٩٨

(١) في ديوان أبي ذؤيب « آخنت » .

(فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني)

	الصفحة
ترجمة المؤلف .	٢
صورة آخر النسخة الشنقيطية .	٦
مقدمة الديوان .	٧
أحسن ما قيل في وصف شعر .	٨
النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .	١٠
أخلب بيت قالته العرب .	١٠
أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .	١١
أبواب ديوان المعاني .	١٤
الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .	١٥
الفصل الأول : في المديح .	١٥
الفصل الثاني : في الافتخار .	٧٦
الفصل الثالث : في التهاني .	٩١
الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .	١٠٣
الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .	١٥٧
الفصل الأول : في المعاتبات .	١٥٧
الفصل الثاني : في الهجاء .	١٧٠
الفصل الثالث : في الاعتذار .	٢١٦
الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .	٢٢٢
الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .	٢٨٦
الفصل الأول : في ذكر النار .	٢٨٦
الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .	٢٩١
الفصل الثالث : في وصف الشراب .	٣٠٥

- ٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .
- ٣٣٢ الفصل الاٲول : في ذكر النجوم .
- ٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه .
- ٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، وما يجري مع ذلك .

(استدر كات وتصويبات)

الصفحة السطر

- ٢٠ ٢٠٣ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
- ١٩ ٢٠٤ وما قيل في قبج الحلقة وغير ذلك
- ٤ ٢١٥ لا تخدعنه بأثواب مصبغة
- ١٠ ٢٣٧ وغدا فم عليه عند رقيه
- ١١ ٢٤١ كأن على أنيابها الخرشجها
- ١ ٢٤٩ وعانقت حلق من صدغه حلقا
- ٩ ٢٦٥ لو كانت الأشياء تعرفه أجلته اجلال باريتها
- لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٣ ٢٧١ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ١٥ ٢٧٦ ان الذي يعشق من لا يرى كمي من شدة الغلبة
- ٧ ٢٩٣ يقشر جلدأ منه كالنضار
- ٦ ٣٠٠ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٧ ٣١٤ هذا الشعر للبخيل اليسكري لا للاختل
- ١٣ ٣١٥ انها عندي وأحلام السكري
- ٥ ٣١٩ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
- ٢٢ ٣٢٣ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
- ١١ ٣٢٤ فأت ننف الهم عنا

(اختلافات نسخة المتحفه البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الامستاز الدكتور كرنكو

الصفحة السطر					
١٢	٣٢	١٢	٣٢	١٢	٧٢
١١	٣٣	٥	٣٣	٢	٧٤
١١	٣٣	٧	٣٣	١٧	٧٨
١١	٣٣	١٣	٣٣	١٠	٧٩
١١	٣٣	١٤	٣٣	١٦	٨١
١١	٣٤	١٦	٣٤	٧	٨٢
١٢	٣٥	٧	٣٥	١٧	٨٥
١٢	٣٥	١٦	٣٥	٢١	٨٥
١٢	٣٨	٥	٣٨	٣	٨٦
١٢	٤٠	١٤	٤٠	٥	٨٦
١٨	٤٠	١٦	٤٠	١٨	٨٧
١٨	٤١	١٢	٤١	٢٠	٨٧
٢٠	٤٤	٩	٤٤	٢٠	٨٧
٢٠	٤٤	١٩	٤٤	١	٨٨
٢٠	٤٧	٥	٤٧	١١	٨٨
٢١	٤٧	٨	٤٧	٦	٨٩
٢١	٥٧	٣	٥٧	١٠	٨٩
٢١	٥٨	١٣	٥٨	١١	٩٠
٢١	٦٠	٢١	٦٠	١١	٩٠
٢١	٦٠	١٩	٦٠	١٨	٩٠
٢٢	٦١	١١	٦١	١٤	٩١
٢٣	٦٣	٢٠	٦٣	٥	٩٢
٢٣	٦٥	٣	٦٥	١٠	٩٢
٢٥	٦٥	٢٢	٦٥	١٣	٩٢
٢٦	٦٦	٤	٦٦	٢٠	٩٢
٢٧	٦٦	٩	٦٦	١٥	٩٣
٢٧	٦٦	١١	٦٦	١٢	٩٤
٢٧	٦٦	١١	٦٦	١٧	٩٥
٢٨	٦٨	٥	٦٨	١٦	٩٦
٣٠	٦٨	١٩	٦٨	١٧	٩٦
٣١	٧١	١٥	٧١	٢٢	٩٦
١١	١١	١	١١	١٢	١١
١١	١١	٥	١١	١٧	١١
١١	١١	٨	١١	١٠	١١
١١	١١	١٥	١١	١٦	١١
١١	١١	١٨	١١	٧	١١
١٢	١٢	١	١٢	١٧	١٢
١٢	١٢	٣	١٢	١٨	١٢
١٢	١٢	١٦	١٢	١٩	١٢
١٨	١٨	١٠	١٨	١٠	١٨
١٨	١٨	١٤	١٨	١٤	١٨
٢٠	٢٠	١٢	٢٠	١٢	٢٠
٢٠	٢٠	١٧	٢٠	١٧	٢٠
٢٠	٢٠	١٨	٢٠	١٨	٢٠
٢١	٢١	٢	٢١	٢١	٢١
٢١	٢١	٥	٢١	٥	٢١
٢١	٢١	٨	٢١	٨	٢١
٢١	٢١	١٠	٢١	١٠	٢١
٢١	٢١	١١	٢١	١١	٢١
٢٢	٢٢	١	٢٢	١	٢٢
٢٣	٢٣	٢	٢٣	٢	٢٣
٢٣	٢٣	٧	٢٣	٧	٢٣
٢٥	٢٥	١٥	٢٥	١٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢	٢٦	٢	٢٦
٢٧	٢٧	٧	٢٧	٧	٢٧
٢٧	٢٧	١٧	٢٧	١٧	٢٧
٢٧	٢٧	١٨	٢٧	١٨	٢٧
٢٨	٢٨	١٠	٢٨	١٠	٢٨
٣٠	٣٠	٤	٣٠	٤	٣٠
٣١	٣١	١٠	٣١	١٠	٣١

شيمت	٩	٤٩	أن يحل به	٤	١٥٣	اقتفروا	١٥	٩٧
وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشأوه	١	١٠٠
ويمرع	٧	٥٣	زفر	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
وتدولوا وعتودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواليه	٦	١٠٢
مد العلاء	٧	٥٥	بجنب الستار	١٠	١٥٩	ويلقيك ثواب	٢٠	١٠٢
خدى	٢٠	٥٦	بطائشة الصدور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
مذهبه	٧	١٤٥	دوبل . . . دوبل	١١	١٧٣	بلبال	٢٢	١٠٦
عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقق	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تقذيتها	٩	١١٠
نحوى جمعة	٨	١٩٦	به الدعى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
فى التطير	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	بمالم	٢	١١١
وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
ثنتى عنك	١٥	١٩٩	الدار يطوف	٢	٢٠٦	أخم	٧	١١١
فيه مذزمان	٦	٢٠١	غادر الرفض	١٥	٢١٣	ما ذلك	٢٠	١١١
ظاهرة سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدي	١٣	١١٢
كما تزيد	١٧	٢٠١	زور اذوى السنة	١٩	٢١٣	قد جبت جلبابه	٢١	١١٢
بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
عن الأشنانداني	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعاء	١٨	١١٤
كالذبيح	١٨	٢٠٢	سب . . . وطاق	١٧	٢٣٣	يجر	١٠	١١٥
ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	يا اسلى	١٩	٢٣٤	عبيد بن الأبرص	٦	١١٨
وتنتقى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بدرها	٨	٢٣٧	وأنتى غير	٥	١٢٢
كسير الجناح	٢	٢٠٨	النمى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
خامد المصباح	٣	٢٠٨	يذاب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
وسهاد لحية	٦	٢١٠	فأسلت	٤	٢٥٦	عنى الحساب	٥	١٢٦
به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	أنعمة الله	٢٢	١٢٨
أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
غادية	٨	٢١٤	حَبَث	١٤	٧٦	راوية . . ابن	١٣	١٣١
ولا تأنى	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تعب	٣	١٣٢
فى بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
وللقارف ذنباً	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حلحلة	٦	١٣٣
أرى الراغب إلى	٢	٢٢١	آراؤهم	٥	٤٩	بوانى	٧	١٣٣
الهيئة الخيبة	٤	٢٢١				قول عمارة	٧	١٣٦
						التضافر	١٥	١٥١
						ويهدم صالحى	٣	١٥٣

من المن	١٥	٢٩٦	الهوامى الهوامع	٨	٢٦٣	دمع احدره	١٥	٢٢٥
في السقي	٤	٢٩٦	قوم موسى	٢٠	٢٦٣	عند خود	١٣	٢٢٦
أنعرف من	١١	٢٩٨	كمت في	٨	٢٦٤	ونبتها قالت	٨	٢٢٨
المعتدة	١٦	٢٩٨	الحسن عليه	١٤	٢٦٤	الحسن بسطة	٢٢	٢٢٨
الكيسة الحازمة	٣	٣٠٠	معاً فلم	١٧	٢٦٤	يضاء كالفضة	٤	٢٢٩
صادفت منا	٧	٣٠٠	أظرفه	٢	٢٦٥	قاسنى بالبدرد	٤	٢٣١
وقد تردى	١٩	٣٠٠	لشدا	٢٣	٢٦٥	حسنه .. حفلت	١٥	٢٣٢
موشى تحال	١٠	٣٠١	الوصل شافيا	٨	٢٦٦	عين تفل	٦	٢٣٧
ثغر .. الواضح	١٧	٣٠٢	وأرحم	١٠	٢٦٦	يحتها أحور	١٣	٢٤٠
فدون السمن	١٠	٣٠٤	لم يك	١٤	٢٦٦	مشرب عذب	١	٢٤١
طيف سلمى	١١	٣٠٤	في الشمس	١٨	٢٦٩	بدلها	١٤	٢٤٢
منسر الباز	١٤	٣٠٤	ففافصاه	٥	٢٧١	وأثنى	٤	٢٤٤
سباها التجر	١١	٣٠٨	ياجنان	١١	٢٧١	زق أمات	١٤	٢٤٤
أرى نجمين	١	٣١٠	يعش .. المنون	١٠	٢٧٢	فأفضيت	١٦	٢٤٤
ووجنة	٥	٣١٠	اقتياد .. صاحبه	٢٠	٢٧٢	قلقت وشحه	١٩	٢٤٥
ذهن لطيف	١٣	٣١٠	في يستن	١	٢٧٣	تغضبن .. اتعلت	٨	٢٤٦
وقد حجب	١٨	٣١٢	سفعة	١٠	٢٧٦	طررة .. طرة	٧	٢٤٧
اله ان	٣	٣١٥	يشنى الجوى	١٠	٢٧٧	أوبالمنى	١٤	٢٤٧
لهو ألى	٦	٣١٥	زف .. لخيانى	١٣	٢٧٧	قرنوا	٢٢	٢٤٨
ليأتى ما	١٧	٣١٥	معان جياذ	١٨	٢٧٧	أو كالجميم	١	٢٤٩
فأزرى	٢	٣١٨	ولا طارقاً	٢٠	٢٧٧	وما سلمى	١٦	٢٥٠
راضعت	١١	٣١٨	ونحن مفترقان	١٥	٢٧٨	وصف الساق	١٨	٢٥٠
على الأجسام	١٣	٣١٩	ليلة القرر	٥	٢٨١	نقطن أذقانا	٣	٢٥١
ذكر مزاج	٢	٣٢٠	حجاماً	١١	٢٨١	القوام والترنج	١٣	٢٥١
يميل	٥	٣٢٥	من نزوح	١٢	٢٨٣	الإمشاشة	١٠	٢٥٢
والارض بمه	١٨	٣٢٦	فنبهن	٢	٢٨٤	يخرق	٢١	٢٥٢
ابن سريج	١٥	٣٢٧	تنفض	٨	٢٨٥	خلص	٢١	٢٥٤
عمل زلزل	١٨	٣٢٧	وجواهم سفع	١٩	٢٨٩	أطراف خرمة	٤	٢٥٥
في جس	٢١	٣٢٧	موقوفه بين	٣	٢٩٠	كما سقى	٦	٢٥٦
أحرفه	٤	٣٢٨	تصبغ بالدماء	٢١	٢٩٠	السيف الصقيل	٢١	٢٥٦
كأ يتداوى	٤	٣٢٩	في جوذابة	٥	٢٩٣	فاض من	١٢	٢٥٧
دكن الظواهر	١٩	٣٢٩	أرج العطر	١١	٢٩٦	كوم المطايا	١٥	٢٥٨
في تباين	٢٠	٣٢٩				من طيبها	٦	٢٥٩
						ينعيم كل	١١	٢٥٩

٣٣٠	أدافع من بالكفين	٢٠ ٣٣٩	كأنه غرض	١٦ ٣٥٣	القصافي
٩ ٣٣١	وزرور	١٢ ٣٤١	والعيد زين	٩ ٣٥٦	الأشمت .. سمل
١٤ ٣٣١	ساحرة	٣ ٣٤٢	الذاذة	٧ ٣٥٧	المقوض ستره
١٦ ٣٣٣	كما ترنو	١ ٣٤٣	قول مضرس	١٠ ٣٥٧	يدعه بطرفي
١ ٣٣٤	وألقابا	١٦ ٣٤٨	مذبانوا	١١ ٣٥٧	دع الوصي
٩ ٣٣٥	ذنو الدلو	١٧ ٣٥١	نعمنابه	٥ ٣٥٩	قيل في الشمس
١٩ ٣٣٥	ترنو من براقع	١٨ ٣٥١	ليس يرده	٩ ٣٦٠	هي رنقت
١٧ ٣٣٩	من فتوق	١١ ٣٥٢	بجو سويقة	٩ ٣٦٠	تبرأ يذوب

وهو يدع ما قبلها من شعر المتقدمين قولاً في ديوانه يستعمل إذا ما التمس من أدت كما
 صلاة وطيب لظربها واصفها ها هو من حيث ما قبله الأهل واليه فإذا انزلها ترأها
 باملاء مثل الماء كالر... وقلنت وتحطن الصانع اذا تدوى كأكبر من الماء الزلال
 وقلنت وعلى الصانع غلالة فضية فيها ما يرضى من الذهب
 أخوات السادس والمحمد رحمه

سورة الرحمن

المحمد طرفة العناد والادب للناصب وهاهنا في انشاء السحاب الفلك وأجزاء العرش الكمال
 ونحوها السارد السلسل العنق والشمس والشجر والبرق والبرق رحمة للأنام ونظر الأنام
 فلهذا ذكرها وأخرى والمصلح على عينه الذي أرسله بالحق شاهداً وبشرى ونذيراً وأعماله
 بانه وسراجاً مبيناً وعلى آل أبي طالب ومنه المتعجبين وقد رأيت للكلام كل ما يفتن
 في ذكره للمكبر وشبهه لسلها ونحو من كذبها بالصانع أربابها وأدبها أسماها الحيف مخلها ونحو
 مشاهاها فيصعبها كل واحد بما حذمتها بسبب ونحو من يربها بدوب وكنت جعلت كتابي
 الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على نبي صراها بغيرها حذمتها ونحو من يربها بعض الناس يسكن
 حبه ويستقل سمح فموت كما أصمها كما كان بقدر نفسه ونحو من حذمتها لم يربها من وهو ليس
 ونحو العبد لله وبكبر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المبالغ

وصفة السحاب والمطر والبرق والريح والبرق والرياح والسموات والارض والسموات والرياحين
 والثمار والسموم وما يجمع ذلك وهو **الباب السابع** من كتاب
 ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول **الفصل الاول** في وصفة السحاب
 والمطر والبرق والرياح والثلج والبرق اخبرنا ابو محمد من ابي بكر بن دريد عن ابي حاتم
 عن الاصمعي قال قال ابو هريرة الذي الرية اي قول الشاعر في المطر اشعره قول امرئ القيس
 ديت حطايها وطف طوق الارض بحري ونذر قوله طوق الارض غايته في وصفه
 السحاب اذا انها على الارض بمنزلة الطوق على الأنا كما عرفوا احد اخذه فاجاده لانه الرومي
 حين يقول سحاب قيت بالبلاد فالبيت غطا على غوارها ونحوها
 حدها النعاني منقلا فاقبت هذا في قوله تسيرها ككودها قوله سيرها ككودها

(وهذه صورة صيغة من نسخة المخطوطة البريطانية)

ذِيوَانُ الْمُعْكَاتِي

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الثاني

عن نسخة الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

عنيت بنشره

مكتبة دار الفقه

لصاحبها الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذوه بالنجم والشجر ويرب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محلها ويقرب تناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرّب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة إليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والتلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقَ الْأَرْضَ نَحْرِي وَتَدْرُ
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سَحَابٌ قَيْسَتْ بِالْبِلَادِ فَأَلْقَيْتُ غِطَاءً عَلَى أَعْوَارِهَا وَنَجْوَدِهَا
هَدَيْتَهَا النَّعَامِي مُثْقَلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ تَهَادِي رُؤُوداً سِيرُهَا كَرُودِهَا
قوله سيرها كرودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها .
والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وَتَرَى الشَّجَرَ فِي رَيْقِهِ كَرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ فِيهَا الْخُرُ
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبَلِيهِ كَبِيرٌ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (١)
 يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التناف قطره وتكائفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيب
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل (٢) :
 دَانَ مَسْفٍ فَوُوبِقَ الْأَرْضِ هَيْدَبِيَهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَمِنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِنِعْقَوْتِهِ وَالْمَسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ (٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر
 والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحتيه
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من طامر بن صعصعة عن مطير أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فظلم ناهضاً ثم ابتم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق ففظاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك (٤) ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأعطم ثم ركذ فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس « ودقه » مكان « وبليه » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبُهُ فِي عَارِضِ كَضِيءِ الصَّبِيحِ لِمَاحِ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع ليس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمظهر ركيك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبي سبعا تباعا لا يريد انقشاعا حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . اللث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم ذقه ذقا ناعما ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملاً . والزبي جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبيننا نرمقُ أحشاءنا	أضاء لنا عارضاً فاستنارا
فأقبل بزحف زحف الكسير	سياق الرعاء البطاء العشارا
تغنى وتضحك حافاته	امام الجنوب وبكى مرارا
كأنا تضىء لنا حرة	تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلمنا حسبنا بأن لانجاء	وأن لا يكون فرار فرارا
أشار له أمرٌ فوقه	هلم فأم إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمت الريحُ ريح الجنوب	فهاجت هوى غالباً وادكارا
وساقت سحاباً كمثل الجبال	إذا البرق أومض فيه أنارا
إذا الرعد جلجل في جانبه	فروى النبات وأروى الصحارى
تطالعنا الشمس من دونه	طلاع فتاة تخاف اشتهارا
تخاف الرقيب على سرها	وتحذر من زوجها أن يفارا
فتستر عُرتها بالحمار	طوراً وطوراً تزيل الحمارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه انهارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينه وبكاه
نقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
عَدَقُ يُنتِجُ بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٣)
وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ مجاجة كدرام
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حقلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمٌ فهن إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضحكن فانهن وضاء^(٤)
لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطرانما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيب لمياه الأرض فمصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على مايقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه

في الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرفت الناقة أخذها الخاض فندت في الارض

فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى

وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيئة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع
وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار القمعي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بالوادي وجلته^(٣) نهض الكسير بذى أو نين جرّار^(٤)
حيران سكران يغشى كل راوية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرق^(٥) لدمت الأرض منهمر رعب أفسدة شعال أبصار
كان بلقاً غراباً تحت ريقه عوداً تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كان ريقه لما علا شطبا^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوارمة عن الغيث فقالت :
غثنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوارمة يقول قائلها الله ما أفصحها . وترك ذوارمة هذا
المذهب على إعجاب به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي على البلى ولا زال منهلًا بجر عائك القطر

فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها
فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسدٍها صوب الربيع وديمة نهمي

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الأرجاء فاهرع مطرها حتى
رأينا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملاً

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلمة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخارج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابتنا البغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر بأحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض ورايك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة أمثالها . قال انا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سحاب ^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت ^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً هوأ فثرت وأرزغت ^(٣) ورسفت ثم خرجت من أرض قومي أقروها ^(٤) متواصية ^(٥) لاخطيطة ^(٦) منها حتى هبطت تمشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فمعا الآثار وملاً الجفار وقوب الأشجار وأجر الحُضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلغمة بالغناء والوحوش مقدوفة على الأرجاء فازلت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، وهوأسا كئناً ، ثرت تركته ثرية ^(٧) ، أرزغت تركت الأرض فيرزغة والرزغة والرذغة الطين اذا غطي القدم ، رسفت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الهطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتمشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أى أعمدة . (٢) أى دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم نسل . (٤) أى أتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أوالتى مطر بمضها .

(٧) أى تراباً مبلولاً .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة
سبله . وقوله والحزون متلفعة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نصب عنها
فبقي الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار
وقطر كبار وكان الصغار لحمه للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة
المطر وتكاثفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر
والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نبطويه للعتابي :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلقُ يخفيه طوراً ويديه لنا الأفقُ
كأنه غرة شهباء لائحة في وجه دهاء ما في جلدها بلقُ
أو ثغر زنجية تفر ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبقُ
أوسلة البيض^(١) في جأواء مظلمة وقد تلقت ظباها البيض والدرق
والغيم كالثوب في الأفق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
نظنه مصمتاً لا فتق فيه فان سالت عواليه قلت الثوب منفتق
ان ممعع الرعد فيه قلت ينخرق أولاً لا البرق فيه قلت يحترق
تستك من رعده أذن السميع كما تعشى إذا نظرت من برقه الحدق
فالرعد صليق^(٢) والريح منخرق والبرق مؤتلق والماء منبعق
قد حال فوق الرشي نور له أرج كأنه الوشي والديباج والسرق
من صفرة بينها حراء قانية وأصفر فاقع أو أبيض يسق
فاستحسننت هذه الطريقة فقلت :

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق والماء من نار يهيم فينبق
توقدت في أديم الارض حرته كأنها غرة في الطرف أو بلق
ما امتد منها على أرجائه ذهب إلا تحدر من حافاته ورق

(١) السيوف . (٢) الصهـ صليق من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمت
فأرعد مرتجس^١ والبرق مختلس
والضال فيما طما من مائه غرق
والنعم خز^٢ وأنهاء^(١) اللوى زرد
والروض يزهوة^٣ عشب^٤ أخضر^٥ نضر^٦
ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول^١ يمجها^٢ الواديان^٣
ذو استواء^٤ إذا جرى^٥ والتواء^٦
فهو حيث استدار^٧ وقف^٨ لجين^٩
وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة^١ الدورية^٢ منزل^٣
بؤساً^٤ لدهر^٥ غيرتك^٦ صروفه^٧
لم يحل^٨ بالعينين^٩ بعدك^{١٠} منظر^{١١}
أى^{١٢} المعاهد^{١٣} منك^{١٤} أندب^{١٥} طيبة^{١٦}
أم برد^{١٧} ظلك^{١٨} ذى^{١٩} الغصون^{٢٠} وذى^{٢١} الحيا^{٢٢}
وكانما^{٢٣} سطعت^{٢٤} مجامر^{٢٥} عنبر^{٢٦}
وكانما^{٢٧} حصبا^{٢٨} أرضك^{٢٩} جواهر^{٣٠}
وكان^{٣١} درعا^{٣٢} مفرغا^{٣٣} من^{٣٤} فضة^{٣٥}
وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن^١ بنا تيار^٢ بحر^٣ كأنه^٤
ترى^٥ مستقر^٦ الماء^٧ منه^٨ كأنه^٩
إذا ماجرت^{١٠} فيه^{١١} السفين^{١٢} يعربد^{١٣}
سبيب^{١٤} على^{١٥} الأرض^{١٦} الفضاء^{١٧} ممدد^{١٨}

(١) جمع نهى وهو انتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا بياض فى النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
كامل من كف النهای^(١) مبرد
متون الصفاح البيض حين تجرد
وطوراً تراه وهو درع مسرد
فنجسب أنا في السماء نصعد
وقال ابن طباطبا العلوی فی مدّ الوادی :

ياحسن وادينا ومدّ الماء
يختال في حلتته الكدراء
في صحب عال وفي ضوضاء
تري به تناطح الطباء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
بصافح الرياح في الهواء
جاء قد شدت إلى جاء
من كدر ينجاب عن صفاء

تقشع الغيم عن السماء

وقال السري في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فظلت صفار السفن يرقصن وسطها
تفرقها هوج الرياح وتمتلى
فهن كدم الخليل جالت صفوها
مصنلة بالمد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربي الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضيماً أسود سمائها
على تربة محجرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فيا من رأي خشفاً على الماء يلعب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب
وقلت : مررت بنهر المسرفان عشية
كانهم در تقطع سلكه
فكم ثم من خشف^(٢) على الماء لآعب
كان السميريات فيه عقارب

(١) النهای بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت منها إلى شطّ وشطّ
 حسبت أن بطها الأمواج والامواج بطّ
 وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
 يجرى على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
 كما نفخت جونة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
 وإذا الرياح جرت عليه في الذهب وفي الرجوع
 نثرت على بيض الصفا نوح بينها حلق الدروع
 ومن أوائل ما جاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :
 فتوسطا عرض السماء فصدقا مسجورة متجاوزة قلامها
 مخفوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابية وقيامها
 وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نفض الطرف كالابل القماح
 إذا قطعت براكبها خليجا تذكر مالدبه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والآنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
 أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
 روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
 يضحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةً ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ
قال المصنف خص العشى لأن كونه الإنسان بالعشى أحسن منه بالغداة لرفقة
تعلوه بالعشى وتهيج^(١) يعتاده بالغداة وتمتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر، ومن
هذا قوله أيضاً ○ وصفراء العشية كالعرارة ○ وقال بعضهم بل خص العشى
لنقصان الحسن فيه قال فشبها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشى.

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم:
وروض أحجم الروادُ عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) توأم
تعالى نبتُه واعتمٌ حتى كأنَّ منابتَ العليجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر. وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلى:

ميتاء جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فامرعت لاحتيال فرطاً أعوام
إذا يجفُّ ثراها بلها ديمٌ من كوكب نازلٍ بالماء سجام
لم يرعها أحدٌ وارتبها زمنا فأو من الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطير في حافاتها زجلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ مُخدام
كأنَّ ريحَ خزامها وحنوتها^(٤) بالليل ربحٌ ينجوجٍ وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره. ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن السكلي عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجالهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم: شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم.

(٢) النفل والحوزان نباتان، وتوأم أى توأمان (٣) العليجان: نبت

(٤) الخزامى والحنوة: نبتان طيبا الرائحة.

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قات لأحدهم مارأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلا يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً نعداً معداً متراكباً جمداً كأنخاذ نساء بنى سعد
تشبع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير
قدنشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصبب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكهتل وتم
فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلال وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تنبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدوا أى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدوا وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولأعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلال أبلغ من هذا . والشعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فإذا ضمته بيدك اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلال قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
أرعيثها أطيّب أرض عودا الصلّ والصّفصلّ والبعضيدا
والخازباز السنّم الجودا بحيث يدعو عامر مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصبح
به ، الصلّ والصّفصلّ وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمتخارة
إنما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالاً :

أنتَ والله من الأيسام لَدُنْ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبت عيني في قرّة عين
 وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
 فدوّمَ من أعلى رُباهِ ودَيّما
 ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً
 فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
 ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل
 أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الفرير ومَعمر
 نما الروض منه في غداة مَرِيعة
 ترى لامع الانوار فيها كأنه
 إذا اعترضته العين وشي مُدّر
 وسامهما رندٌ نضير وعبهر
 كما نداها ماء وردٍ وعنبر
 وأطاد نسيم الريح أنفاس نشره
 وخايل فيه أحمر اللون أصفر^(١)
 بدا الشيخ والقيصوم عند فروعه
 وشت وطباق وبان وعرعر
 وناصر رمان يرفُّ شكيره
 يكاد إذا ماذرت الشمس يقطر
 ويانع تفاح كأن جنينه
 إذا زرته يوماً تغرد طائر
 فإذهاج نوح الأيك في رونق الضحى
 تجاوبن بالترجيع حتى كأنها
 مراناة موموق وترجيع شائق
 واني إلى صحن العذيب لتائق
 مرعت ولا زالت تصوبك ديمة
 وأحم الكلى واهي العرى مسبل الجدى
 كأن ابتسام البرق في حجرانه
 واني إلى صحن العذيب لتائق
 مرعت ولا زالت تصوبك ديمة
 وأحم الكلى واهي العرى مسبل الجدى
 كأن ابتسام البرق في حجرانه

(١) أي فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذم منه شيء البتة وهو:

والروض مغسولٌ بلبيلٍ ممطر
جلا لناوجه الثرى عن منظر
كالعضب أو كالوشى أو كالجوهر
من أبيضٍ وأحمرٍ وأصفر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر
تخاله العين فما لم يُغفر
وفائق كاد ولم ينور
كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر
كأنه دراهمٌ في منثر
أو كمشور المصحف المنشر
والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر
تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامة تعقر إن لم تعقر
يديها كف غزالٍ أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر
وملم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المتزر
تخبر عيناه بفسقٍ مضمر

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت: جواهر عشبٍ ونورٍ نظيم
وأفرادٍ ظلٍ وقطرٍ نثير
فمن بين صفرٍ وحمرٍ وأخضر
على القضب غيدٍ وزورٍ وصور
ولعسٍ تناسبٍ لعس الشفاه
ويبيض تعارضٍ بيض الثغور
نواظرٍ من بين يقضى ووسنى
ونجلٍ وخزيرٍ وحولٍ وحور

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها.

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخى لنفسه:

أما ترى الروض قد وافاك مبتسماً
ومد نحو الندامى للسلام يدا
فأخضر ناضر في أبيض يقق
وأصفر فاقع في أحمر تضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحى
فاحمر إذا خجلا وأصفر إذا كدا

ومن المشهور قول الجاني:

ديمٌ كأن رياضها
يكسين أعلام المطارف

وكأنما غدرا نها فيها عُشورٌ في مصاحف
 وكأنما أنوارها تهتزُّ^(١) بالريح القواصف
 طرر الوصائف يلتفت - ن بها إلى طرر الوصايف
 وقلت : وروضة حالية الصدر كاسية البطن والظهر
 محودة الخبور والمنظور موقفة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كلوافد المخبور
 باكية كالعاشق المخبور شذرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر المخبور واقحوان كغفور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور والظل منشور على منشور
 يرصع الياقوت بالبلور

وقال السري وأحسن . وليس فيمن تأخر من الشاميين أصنى أفاضاً مع الجزالة
 والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجناتٍ يُبجى الشربَ وهنا جنى وهدايا حتى رباها
 إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً وان طاح الغمامُ طغت مياها
 يُفرجُ وشبها عن ماءٍ وردٍ يفيضُ على اللاكى من حصاها^(٢)
 تعانقُ ريحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخدود
 فالرياحُ التي تهبُّ نسيمٌ والنجومُ التي تطلُّ سعود
 وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظر فيه جلاؤه للبصر

(١) في نسخة « تفتزُّ » . (٢) في نسخة « صفاها » .

وأها لها مصطنعاً لقد شكر
والارض في روض كأفواه الخبر
أثنت على الله بالآء المطر
تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من الكتان أخضر ناضر
إذا درجت فيه الرياح تتابعت
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرفت
وعلى الربى حليل وشاهن الحيا
وملابس الأنواء فيها سندس
نم الرياح على الرياض نماماً
وعلى التلاع من الاقاحي حلة
والغيم تنقشه الرياح عشيّة
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع
والبرق يلع مثل سيف ينتضي

يُيا كرهه دان الرباب مطير
ذوائبه حتى يقال غدِير
وإلى دموع المزن كيف تُدرّف
قسمهم ومقصبه ومفوف
ومضاجع الانداء فيها زخرف
ذكر نك الكافور حين يدوف (١)
وعلى البغاغ من الشقائق مطرف
كالقطن في زرق الثياب يندف
ويصبر سيلاً وهو أغبر أكلف
والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرومى (٢) ثم خلفه ولى فالأرض كأنها وشى منشور عليه لؤلؤ
منشور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف المأكول: وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح
جون إذا هطلت في روضة طففت
من ريق محتفلات بالحاء دُلح
عيون نوارها تبكى من الفرح
وقال أبو الغضبان اليمامى :

غدونا على الروض الذى طله الندى
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً
سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أى يذاب . (٢) الومى : أول المطر ، والولى الذى يليه .

ومن اللجين اسمجد ورق
وجديده بجديدا خلق

يُنقلن في صفراء من حمراء

وغدا الندى في حليه يتكسر
صحو يسكاد من النضارة يمسطر
خلت السحاب أناه وهو معذر
لو أن أحسن الروض كان يُعمر
تمجبت وحسن الروض حين يغير
تريا وجوه الأرض كيف تصور
زهر الربيع فكأنما هو مقمر
جلل الربيع فأنما هي منظر
نورا تكاد له القلوب تنور
فكأنما عين عليه تحدر
عذراء تبدو نارة وتخفر
الجسيم متكاثف النبات، يقول بظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

ماطاد أصفر بعد إذ هو أخضر

طلقاً ذرّيت به على الأطلاق
يُروى الوجوه ومبسم براق
مثل الضعيف بنوء بالأوساق

وقال غيره: وإذا الزمرد مشر ذهاباً
لازال يمتنعنا بجذته
وقال غيره في تلون الأرض:

فترى الرياض كأنهن عرائس

وقال أبو تمام:

رقت حواشي الدهر وهي تمر مر
مطر يروق الصحو منه وبعده
وندى إذا ادّهنت به لم الثرى
ما كانت الأيام تسلب بهجة
أولا ترى الأشياء إذ هي غيرت
باصحبي تقصيا نظريكا
تريا نهاراً مشمساً قد شابه
دنيا معاش للسورى حتى إذا
أضحت تصوغ ظهورها لبطونها
من كل زاهرة ترقرق بالندى
تبدو ويحجبها الجيم كأنها

الجسيم متكاثف النبات، يقول بظهر

يفغطيه الجيم:

صنع الذى لولا بدائع لطفه

وقلت في مديح:

إني أرى لك في الساحة والندى
طلق النمام سرى بوجه بأسر
ثقلت على عنق الصبا أعباؤه

فترى النبات يروق وسط رياضه
مثل الخلى تروق وسط حقاق
وقال البحرى :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفا خلا
وقال أيضاً: ولا زال مخضراً من الأرض يانع
بذكرنا ريباً الأجابة كلما
شقائق يحمان الندى فكانه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحها مزنة بكرت لها
كان يد الفتاح بن خاقان أقبلت
وقلت: أما ترى عود الزمان نضرا
أنته الطاف السحاب ترى
تبسط في الصحراء بسطاً خضرا
ونرجساً مثل العيون زهرا
كأننا يصوغ فيها تبرا
كأننا ينثر فيها دراً
كلما لوناً والعبير نشرنا
والعيش أن تسر أو تسراً
أحسن ما قيل في النرجس قول أبي نواس :

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضُّ القطافِ كأنهُ
 مخالفةً في شكاهنَّ فصفرةُ
 إذا ما منحناهُ العيونَ عيون
 مكانَ سوادِ والبياضِ جفون
 والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:
 خجلتُ خُذودُ الوردِ من تفضيله
 لم يخجل الورد المورود لونهُ
 إلا وناهله الفضيلة طائد
 آبٍ وحادٍ عن الطريقة حائد
 زهرَ الريحِ وان هذا طارد
 بتسلبِ الدنيا وهذا واعد
 بحياته لو أن حياً خالد
 يحكي مصايحَ الوجوه تُترصد
 وعلى المدامةِ والسماعِ يساعد
 يوماً فانك للاحالةِ واجد
 بجيا السحابِ كما يربى الوالد
 شبيهاً بوالدهِ فذاك المساجد
 ورياسةً لولا القياسُ الفاسد
 درن علينا بكوؤوسِ الذهبِ
 فحلَّ من قلبي عقدةَ الكُربِ
 هذا لعمري عجبٌ في عجب
 وقلت في معناه :
 ألم ترنا نعطي الغوايةَ حقها
 بمحمرةِ الاجسادِ مبيضةِ الذرى
 لدى الصفرِ في أوساطِ بيضِ كأنها
 وقا ابن الرومي :

ونجربى مع اللذات جرى السوابق
 كمثل سقيطِ الطلِّ فوق الشقائق
 كوؤوسُ عُقارٍ في كَفِّ عواتق

للنرجسِ الفضلُ يرغم من رغمٍ على مُصنوفِ الوردِ والفضلُ قسم
العينُ قبل السنِّ وهى المبتسمِ فالها والحدِّ وهو الملتدِّم
مأطيبَ الريحِ وما أزكى النَّسمِ ماهو إلا نعمةٌ من النعم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظى طرفها بشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُررٍ وشراهم دُررٌ على ذهب
وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلِّ علقت بالنباتِ والأشجار
وتدلت على الفصونِ فجاءت كشنوف الكواعبِ الابكار
وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروسٍ تجلى وتشتهرُ
نامَ الندى في عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يغمض والظلامُ حلَّ به كأنما في جفونه قصر
تخيرَ الطلُّ في مدامعه فليس يرقا وليس ينحدر
كسمة الصبِّ كاد يسكبها فردّها في جفونه الخذر
وقلت : وغنت الطيرُ بألسانها فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمه في الفصنِ قرصُ برِّدٍ ضمَّ قمَّ لقبلة من بعد
وقلت فيه إذا تفتح :

سرَّ بنا يهتزُّ في خطره ما بينَ أعصانِ وأقمار
يديرُ في أملة وردة جاءت من المسك باخبار
يلوحُ في حرَّتْها صفرةٌ كالخلدِ منقوطةً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشية حيانى بوردا كأنه خدود أضيفت لبعضهن إلى بعض
 وقلت: قومي انظري بوردا كخدك أحمرأ ترك الربيع وراءه وتقدما
 قد ضمه برد ففتقه ندى كالصب قبل فاك ثم تبسما
 ولم أجد في تشبيه الورد أبعد مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب
 ولكنى تركت الاكثر منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء
 الوتيرة وبشبهها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قرحة مثل الوتيرة لم تكن معدى

وقد أحسن على بن الجهم في قوله يصف الورد :

كانهن يواقيت بطيف بها زمرد وسطها شذر من الذهب
 وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد
 بتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبه النيرور في غلس الدجي أوائل ورد كمن بالأمس نوما
 يفتحه برد الندى فسكانه بيت حديثا كان قبل مكنما

وقلت في تفضيل الورد على النرجس :

أفضل الورد على النرجس لا أجعل الأنيجم كالأشمس
 ليس الذى يقعد في مجلس مثل الذى يمثل في المجلس

وقال ابن بسام :

مداهن من يواقيت منضدة على الزمرد في أوساطها الذهب
 كأنه حين يبدو من مطالعه صبب يقبل صبا وهو مرتقب
 ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس في البيت ذئيل على أنه أراد
 الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت في الورد على الشجر :

(١) القرحة في وجه الفرس دون الفرة .

أصبح الورد في الفصون يحاكي مثل فوسان غارة يستلبهم ويلوح النهار أسفل منه بين نبذ من الشقائق يحكي وقال ابن المعتز:

ولازوردية أوفت بزرقها بين الرياض على زرق البواقيت كأنها فوق طاقات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت والصحيح أنه في الخرم والشاهد قوله:

بنفسج جمعت أطرافه فحككت دمعاً ينشف كحلاليوم تشيت قوله كأنها فوق طاقات ضعفن بها يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لسكب نوره ودقة ساقه فأعرف ذلك. وقلت في البنفسج:

وروضة كأنها من حسنها تبرز في أثواب سعد ومنى قد نثر الليل على أنوارها لآلىء الطل وأفراد الندى بكت عليها مزنة فابتسمت وحوها بنفسج كأنه عن لؤلؤ بين فرادى وثنى أو آخر النيران في جزل الغضا^(١) وقال آخر:

وكان البنفسج الغض فيه أثر اللطم في خدود الفيد وقلت: وبخافاتها البنفسج يحكي أثر القرص في خدود العذارى وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً: ومغنج قال الكمال خلقه كن مجتمعا للطيبات فكانه زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسألوا من قفاه لسانه

(١) أي الرجال . (٢) الغضا: شجر يبقى جمرة كثيراً.

وقال ابن الرومي :

أشرب على وردِ البنفسج قبل تأنيبِ الحسود
فكأما أوراقها آثارُ قرص في الحدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذليل
كأنها دمةٌ قد مسّحت كحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل
وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من
التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لا تجول فنظّمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيع ثيابها فبرزن بين مكحل ومجسد
كالخدّ يصبغه الحياء بحمرة وجرى عليه الدمع خلط الأمد
ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طرب الشقائق للحام وقد شجا شجوة القيان فشقّ فضل ردائه
وتحيرت ما بين إمد ماقه في الخدّ دمعته وبين حياته
فكانه الحبشي بضع جسمه فثيابه مُحضلة بدمايه
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى

معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوق وجنتها ووجنة الورد بالدينار منقوطة
وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآخريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني رُوح دنانٍ صافيه
في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ طاربه

(٤ - ثانی المعانی)

كأنما أنهارها بماءٍ وريدٍ جاريه
 كأن آذريونها غبَّ سماءٍ هاميه
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوقَ أذنه
 وقلت : ولاحَ آذريونها
 ككأسٍ عقيقٍ في قراراتها مسك
 وقال الشمشاطي^(١) :

تراهُ عيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعدهُ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كانها مداهنٌ من ذهبٍ مشرفاتٌ وسطهنَّ غاليه
 أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضة عذراءَ غيرُ حانسه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسه
 كأنها جماجمُ الشمامسه
 ترُوقك النُّورُ منها الباكسه
 بعينٍ يقظى وبجيد ناعسه
 مثل الطواويسِ غدتْ مطاوسه
 وخرمٌ في صبغه الطياله
 وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروسِ وخرمٌ كهامةِ الطاووس
 وقلت في المذهب الذي ساكبه ابن الرومي :

خرمةٌ كهامةِ الطاووسه
 والعين في فنائها محبوسه
 داري من بهجتها مأنوسه
 محفوظةٌ تحسبها محروسه
 تعجبني منظورة ملوسه
 مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بآل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لكنها مفروسة في زهر^(١) كالشعل المتبوسة
كحل ألوانها ملبوسة

وقال التنوخي :

ومن حُرْمٍ عضٍ خلالَ شقائقِ يلوحُ كخيلائِ على وردتي خدِّ
وإذا كان في الخلد خيلان لم يستحسن الخال الواحد وقلت :

على رياضِ حُرْمٍ كأنها رؤوسُ هدايا حرير الخل

وقال ابن طباطبا :

وطوسٌ فيها حُرْمٌ فكأنها سماماتٌ وشي هَيْتٌ لحازن

وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبه بهار كالخددُ أصفى إليه قرط

وقد جمعت أصناف المنشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب

في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوانٌ مشورٍ يربك حسنها ألوانٌ باقوتِ زها في عقده

ياحسنها في كفٍّ من يشبهها فانظر إلى الندِّ بكفٍّ نده

من أشهل كمينه وأبيض كثره وأحمر كخده

وأصفرٍ مثلٍ صريعٍ حبه إذا تغشاه غواشي صدّه

وقال السري في الورد :

أما ترى الوردَ قد باحَ الربيعُ به من بعد مامرٍ حولٍ وهو اضمار

وكان في حلالِ خضرٍ وقد خلعت إلاعري أغفلت منها وأزدار

وقلت : ليس ينفكُ للفسام أباد تنكافا وأنعم تتجدد

فترى رعدةً يشقُّ حريراً وسنى برقه يطرز مطرد

وترى للزمانِ غصناً وريقاً يملكُ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

أنبت الأرض عسجداً ولجيناً
 وجرى الريح سجسجاً^(١) ورخاءً
 وسبي العين لؤلؤً وعقيقاً
 قترى ثمّ مضحكاً يتجلى
 قطرات الندى أحادٍ ومثنى
 وكان الشقيق كأس عقيق
 قترى النجد في رداء موسى
 وعليه من البهار عطف
 وترى النور مثل مضحك خود
 فالروابي مكلّم ومقلد
 فالمناهي^(٢) مسلسل ومسرّد
 نظماً في زمرد وزبرجد
 وترى ثمّ وجنة تتورد
 مثل در منظم ومبدد
 طرح المسك في قرارتها ند
 وترى الوهد في قميص معمد
 ومن الورد والشقائق مجسد
 وترى الغصن مثل شارب أمرد

ومن بديع ما قيل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكانه في الماء صاحب مذهب
 أغراه وسواس بأن لا يظهر
 وقال السري^(٣) :

ونيلوفر أوراقه الخضراء تحته
 بساطاً إليه الأعين النجل شخص
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاص في الماء النير حسبه
 رؤوس إوز في الحياض تفوص
 وقوله « النير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كل قضيب بها يحمل
 في أعلاه ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يدي مثلها
 تحكي الصباح مع الصباح المشرق
 في روضة تلتاق حين لقيتها
 بمنمن من نبتها ومنمق
 فانظر إلى عشب هناك مجمع
 وانظر إلى زهر هناك مفرق

(١) في نسخة « سجسداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي إليه الماء .

(٣) هو السري الرفاء الموصلية ، مدح سيف الدولة والوزير المهلب والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجى بورِد كالجينِ مكفرٍ منها وورِد كالعقيقِ مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةً أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
فالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق
وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكين فأضحكن الرثي عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الثرى متهاملٌ
ترى قضبَ البياقوتِ تحت زرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائل
تلقحها الانداء ليلاً بريقها فيصبحنَّ أبكاراً وهنَّ حوامل
وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقٌ كالنورِ غبَّ السبَل الساجم
طالمتُ فيه غرراً وضحاً كمثلِ أيامِ أبى القاسم
والآس فى كفى أحبيهم مثلَ شوايرِ بنى هاشم
وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حين تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آتارها وأعلنت الأرضِ أمرارها
وكانت أكننت لكانونها خبيثاً فأعطته آذارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أстарها
ويسفح فيها دماء الشقيقِ ندى ظلٍ بقتض أبكارها
وتدنى الى بعضها بمضها كضمَّ الاحبة زوارها

كانت تفتحها بالضحى عذارى تحلل أزرارها
 تفض لرجسها أعيناً وطوراً تحدد أبقارها
 اذا مزنة سكت ماها على بقعة أشعلت نارها
 وقال فيها: وأقبل ينظم أنجادها
 وأرضع جناتها درة فعمم بالنور أشجارها
 ودار بأكنافها دوزة تنسى الاوائل برجارها
 وقال أيضاً في الباقي:

حتى يوم لم يؤخر لقد ولم ينقل من يد الى يد
 كالعقد إلا أنه لم يعقد أو كالفصوص في أكف الخرد
 أو ككبار التؤؤ المنضد في طي أصداف من الزبرجد
 مفروشة بالسكرف الملبد

وقلت فيه أيضاً:

أبدى الربيع لنا من حسن صنعه شبائه اتفقت في الشكل والصور
 خضر ظواهرها بيض بطائنها تحكي القباطى تحت السندس النضر
 بيض شبائه في خضر ملهمة مثل الزبرجد مثيباً على درر
 ينشق أخضرها عن أبيض يقق كالنغر بشرق تحت الشارب الخضر
 ومن المشهور في ورد الباقي قول الصنوبرى:

وبنات باقلى يشبه نورها بلىق الحسام مشيلة أذنا بها
 وقت فيه: ويزهى ورد باقلى كأطواق الشعانين
 وقال السرى في غير ذلك:

في زاهر عبق تצועه فسكان عطاراً يعطره
 ضاهى مسكه معنبره وحكى مدرهمه مدره

ومن أجود ما قيل في البساتين ومواضع الأشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضى البصرة ليقيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل الى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدُّ صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة لك ولن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الامعاقِ وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقيها
فالتف بالزهرِ والريحانِ أسفلها ومال بالنخلِ والرمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقهُ ولائمٌ لامَ فيها من تمنائها
أبامعاوية اشكر فضلَ واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والزرَجس :

لدى زرجسٍ غضٍ وسروٍ كأنهُ . قدودٌ جوارٍ رحنَ في أُررٍ خضر
وقلت : لبسَ الماءُ والهواءُ صفاءً واكنسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكانَ النهاءُ صرنَ رياضاً وكانَ الرياضُ عدنَ نهاءً
وكانَ الهواءُ صارَ رحيقاً وكانَ الرحيقُ صارَ هواءً
وتخالُ السماءُ بالليلِ أرضاً وترى الأرضُ بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وصفرأ يومَ ظلت تنادمُ الأنواءُ
قراها ما بينَ نَوِيءٍ ونَوِيءٍ تكافأ تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرتُ خلداتٍ ^(١) واكتست حينَ أورقتُ سِراءً ^(٢)
وترى السرو كلنابرٍ تزهي وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتبني على القصفِ والفتكِ

(١) أي أقرطه . (٢) نوع من الثياب .

بفرس كأبكار الجوارى وتربة
 وقال السرى في تفتح ودَسَنبوري ورمات :

إنَّ شيطانك في الظَّرِّ في لَشيطانٍ مريدٍ
 فلهذا أنتَ فيه مُبدىءٌ ثم مُعيدٌ
 قد أتتنا طَرفٌ منك على الظرفِ تزيدُ
 طبقٌ فيه خدودٌ وقدودٌ ونهودٌ

وقد أحسن التنوخي في وصف النارنج حيث يقول :

لم لا تجنُّ بها القلوب وقد غدت مثلَ القلوب
 وقلت: تطالعنا بين الغصونِ كأنها
 خدودٌ عذارى في ملاحفها الخضر
 أنت كلُّ مشتاقٍ برِيا حبيبه
 فهاجت له الأحزان من حيث لا يدري
 وقال: إذا لاحَ في أغصانه فكأنه
 شموسٌ عقيقٍ في قبابٍ زبرجد
 وقلت في المركب :

مركبٌ تعجبٌ منُ حسنه
 يشا كلُّ العاشقِ في لونه
 وقد كنز الفضة في تبره
 ويُسبهُ المعشوقَ في نشره

وقال الصنوبري في التفتح وقد ظرف :

أعطت يدهُ محبةً تفاعحةً
 تعطى المحبُّ أمانهُ من صدِّه
 وهذا البيت متكلف جداً :

فعلتُ حينَ لثمتها من كفه
 وقال أيضاً في أترجةٍ وأحسن :

جاءَ فحياني بأترجةٍ
 أتى بها ناعمةً غضةً
 من ذهبٍ قد حُشيتُ فضه
 من كفه الناعمة الفضة
 تُبذلُ للقبلة حسناً ولا
 تصلحُ أن تُبذلَ للعضه
 أحبب بها من مسكة محضه
 ناولنيها مسكة محضه

وقلت في الأترج والنانج :

ترى النانج في ورق نضير فتحسبه عقيقاً في زبرجد
وأترج على الأغصان بزهي كما رفع العتي قنديل عسجد

وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا تحية رحت بها مسرورا
محنة من ذهب قد ملئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشربها على كراة طاج

ملبسات أصفر الديباج

وقالت فيه : أحلق ليموناً بأترجة كأنجم تحديقاً بالبدر
مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر
قد شدت من هامتها زرها يا عجباً من ذلك الزر
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا الجلودي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة وكتب : لما رأيت تدافس أحبائك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر أنظافهم عليك تفكرت في هدية تحف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال المحموده وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقنك على نبلها وأكشف لك عن سرورها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة فانه يحكي عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمره الحمرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

(٥ - ثاني الماني)

والأنف لطيب عرفها والغم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
تلاميذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برائحتها ربما
أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغثيان
النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هاني : ما علل المريض المبتلى
وسكنت حرارة الشكلى ورددت شهوة الجبلى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تنفلك
وإن رميت بهالم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

مُحَرَّةُ التَّفَاحِ فِي مُخْضَرَّتِهِ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَوْسِ قَزَحٍ
وَالْحَمْرَةُ تَفَاحَةٌ ذَائِبَةٌ وَالتَّفَاحَةُ حَمْرَةٌ جَامِدَةٌ . وقال الشاعر * الخمر والتفاح شكلان *
وقال آخر : تَفَاحَةٌ حَمْرَاءُ مَنقُوشَةٌ رَكِبَتْهَا فِي غُصْنِ الْأَسِّ
أَبْلَسَتْهَا وَرَدَاءٌ وَكَلَّتْهَا إِكْلِيلَ نَسْرِينَ عَلَى الرَّاسِ
وقال آخر في التفاحة :

كَأَنَّمَا حَمْرَتَهَا حَمْرَةٌ مُخَدِّ خَبَجَلٍ

وقال ابن أبي أمية :

مَازَلْتُ أُرْجُوكَ وَأُخْشِي الرَّدَى مَعْتَصِمًا بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ
حَتَّى أَتَنَّى مِنْكَ تَفَاحَةٌ زَحْزَحَتِ الْأَحْزَانَ عَنِ صَدْرِي
حَشَوْتَهَا مَسْكَاً وَنَقَشْتَهَا وَنَقَشُ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ
وَإِهَاءً لَهَا تَفَاحَةٌ أَهْدَيْتُ لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ مُخَدِّعِ الدَّهْرِ

فإذا وصلت إليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضائلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانها
ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهدها ولا تأخذها
بيدك ولا تلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها
فهيناً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد قركته ولم أذكره .

وقلت في الريحان :

ثم انثينا الى خضير منعمة كأن أوراقها آذان مجردان
وقهوة كجني الورد وشحه من لؤلؤ القطر والأنداء سمطان
وقال السرى في دستنبوية :

وأغن كلشاً الغريب نشا خلال الربرب
في خده ورد حما ه من القفاف بعقرب
حيا بدستنبوية مثل السنان المذهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنت لعيني ناظر
كبرت الليل تكفه النجوم
وقلت : وأترج يحف بها أقاح
وقال السرى في نارنجية :

أهدت على ناي المحل وقد
نارنجية منها استعير لها
وشعاعها من نور وجنتها
وكان ما يخفيه باطنها
أناي التصبر طول هجرتها
ما ألبست من حسن بهجتها
ونسيمها من عطر نكهتها
مأضرت من سوء غدرتها

وحكى اخضرار^ه شاب^ه وجنتها قرص^ه الا^ه كف^ه اديم^ه وجنتها
 فانتك^ه مكمل^ه محاسنها نخال^ه في اثواب^ه زيتها
 فشعار^هها صفو^ه اللجين^ه ومن ذهب^ه مصوغ^ه ثوب^ه بذلتها
 تهدي^ه إلى الأزواح^ه من بعيد^ه تحف^ه السرور^ه لطيب^ه نشوتها
 ويصونها مسرى^ه رواثعها من أن تباشرها بشمتها
 فاشرب^ه عليها من شقيقتها في نمت^ه رايها^ه وصبغتها
 واعطف^ه عنان^ه النفس^ه عن فكر^ه راحت^ه معذبة^ه بفكرتها^(١)

وقال ابن طباطبا العلوي في الأترج :

ريحانة^ه في اصفرار^ه مهديها شبهتها بمد^ه فكرة^ه فيها
 أجنة^ه لم تصيخ^ه لهاذها تسد^ه آذانها^ه بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنوية مقفعة في غصن آس
 فسقطت فناولنيها بعض الأجنة فقلت :

وأصفر^ه يهوى من ذؤابة^ه أخضر^ه كما انتقض^ه نجم^ه في الدجنة^ه ناقب^ه
 له شعب^ه تهوى^(٢) على سر^ه واته^ه كمثل^ه بنان^ه الكف^ه يلو به^ه حاسب^ه
 فناولني^ه ذو دلال^ه كأنما له^ه الشمس^ه أم^ه والبدور^ه أقارب^ه
 فأصبح^ه مشهور^ه الجمال^ه مشهوراً له^ه الحسن^ه خدن^ه والملاحة^ه صاحب^ه

وقال بعضهم في الأترج :

لها ورق^ه ريحها^ه ريح^ه وما ذاك^ه في غيره^ه لو طلب^ه
 كأن^ه تعطف^ه أوراقها^ه أ كف^ه تشير^ه إلى من^ه تحب^ه

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت^ه الأشجار^ه يوماً^ه لجفوة^ه فان^ه لها^ه عز^ه القناعة^ه والصبر^ه
 تصرف^ه في اللذات^ه من كل^ه مطعم^ه تصرف^ه زيد^ه أخذاً^ه بقفا^ه عمرو

(١) في نسخة (بصحبها) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليس ربيعُ التفاحِ عندي بريحٍ
لاولئكهُ صدقٌ لروحي
مُحرّةُ الخدِّ واخضرارُ عذارٍ
فليحُّ يطوفُ حولَ مليح
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني
ففي رآها كخدِّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيبِ تأكلهُ
فقلتُ لابل أمصُّ من ريقه

وقال السري :

لو بُجِّدتُ راحنا اغتدت ذهباً
أوذابَ تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكى الرمانُ أوّلَ ما تبدى
حِقاقَ زبرجدٍ يُحشِنُ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ بِحشوهُ عقيماً
وبكسوهُ مرورُ القيظِ نبرا
ويحكى في الغصونِ ثدى حورٍ
شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية
تملكُ لحظَ العينِ الرانية
مصفرة الوجنة محجرة
كأنها عاشقةٌ سالية
وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ
كأنه مخازنُ البلورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ
وفي الاعالي ماءُ وردٍ جوري
لم يُبقِ منها وهجُ الحرورِ
إلا ضياءً في ظروف نور
له مذاقُ العسل المشورِ
وبردُ مسِّ الخصرِ المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ
لو أنه بقي مع الدهور
قرَّظ آذانِ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازقٍ مخطفٍ خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافل
كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماءٍ وردٍ فيه مسكٌ نائل

لا يزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
ورق لحاؤه وكثير ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
المؤمنين راجلاً لحنت فلحنت ونحوت فنحوت . فاستحسن أدهب وأجازته . وقلت :

باكرنا الدهرُ بسرَّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يبنى على الدهرِ بالآئنه
أما ترى الرقةَ في جَوِّهِ تناسبُ الرقةَ في مائه
أنظر الى أنواعِ أثمارهِ قد ضمها في بُردِ أحشائه
راحت عليها نسيماتُ الصبا تقرصها في بردِ أفنائنه
أما ترى حسنَ ملاحيه يُهدى الى بهجةِ شعرائنه
أنظر الى رُمانه ضاحكاً حراؤه في وجهِ بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجن من ورق
كالكخبى الزنجُ في خضرٍ من الأزر
ويروى لابن المعتز في التفاح :

وتفاحة صفراء حراء غضة
كخدٍ مُحِبٍّ فوقَ خدٍ حبيب
أجباها طوراً وأشربُ مثلها
من الراح في كفي أغن ريب
وقلت في النارنج :

روضٌ زهاهُ المزنُ في كراته
بمكفرٍ^(١) ومزغفرٍ ومُضرج
فتيسم النارنجُ في شجراته
مثلَ العقيقِ يلوحُ في الفيروزِ

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغن^١ يزينه^٢ وجنات^٣ ورد^٤ في عذار^٥ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضربن العرق^١ في ينبوع^٢ عين^٣ طلبن^٤ معينه^٥ حتى ارتوينا^٦ (١)
بنات الدهر^٧ لا يخشين^٨ محلاً^٩ إذا لم^{١٠} تبق^{١١} سائمة^{١٢} بقينا^{١٣}
كان^{١٤} فروعهن^{١٥} بكل^{١٦} ربح^{١٧} عذارى^{١٨} بالذوائب^{١٩} ينتصينا^{٢٠} (٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغار^١ النوى مكنوزة^٢ ليس قشرها^٣ إذا طار^٤ قشر^٥ التمر^٦ عنها بطائر^٧
من الواردات^٨ الماء^٩ بالقاع^{١٠} تستقى^{١١} بأعجازها^{١٢} قبل^{١٣} استقاء^{١٤} الحناجر^{١٥}
وهذا أجود^{١٦} من^{١٧} الأول^{١٨} لأنه^{١٩} ذكر^{٢٠} أنهم^{٢١} وردن^{٢٢} الماء^{٢٣} يعنى^{٢٤} الماء^{٢٥} الذى^{٢٦} فى^{٢٧}
بطن^{٢٨} الأرض^{٢٩} معيناً^{٣٠}. وقال النمر^{٣١} « طلبن^{٣٢} معينه^{٣٣} » فجعل^{٣٤} الماء^{٣٥} الذى^{٣٦} فى^{٣٧} بطن^{٣٨} الأرض^{٣٩}
معيناً^{٤٠} ، والمعين^{٤١} إتمامه^{٤٢} هو^{٤٣} الماء^{٤٤} الجارى^{٤٥} على^{٤٦} وجه^{٤٧} الأرض^{٤٨} ظاهراً^{٤٩} .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف (٣) :
ونخيل^١ فى^٢ تلاع^٣ جمه^٤ تخرج^٥ الطلع^٦ كأمثال^٧ الكف^٨
وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك^١ أم^٢ غرس^٣ من^٤ النخل^٥ مترع^٦ بوادى^٧ القرى^٨ فيه^٩ العيون^{١٠} الرواجم^{١١}
لها^{١٢} سعف^{١٣} جمده^{١٤} وليف^{١٥} كأنه^{١٦} حواشى^{١٧} برود^{١٨} حاكهن^{١٩} الصوانع^{٢٠}
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

(١) فى نسخة « حتى رويننا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

عن مثل آذان الحجر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت
 الاحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان سلى صدقوني فهي الشجرة التي بنتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ بعيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رست بشاطى ترع ريان
 تتأثرُ بالاعجازِ للاذقانِ لا ترهبُ المحلَّ من الازمان
 ولا توقيَّ خنلَ الذوبانِ ولا ترى ناشدة الرعيان
 ولا تخافُ عرَّةَ الاوطانِ سُحِمَ الرؤوسِ كمتُ الابدان
 لها يوم البارح الجنانِ مثلُ تناصي الخرد الحسان
 إذ هي أبدت زينة الرهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
 يطلعُ منها كيد الانسانِ إذا بدت ملهومة البنان
 عُلت بوريس أو بزعفرانِ حتى إذا شبه بالآذان
 من حرِّ الوحشِ لذى عيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :

شققه علجانِ مهرانِ من لؤلؤ صيغٍ على قُضبان
 مصوغةٍ من ذهبِ خلصانِ ثم ترى للسمعِ والثمان
 قد حالَ مثلَ الشدرِ في الجمانِ يضحكُ عن مشبهِ الاقران
 كأنه في باطنِ الأفنانِ زمردٌ لاحَ على التيجان
 حتى إذا تمَّ له شهرانِ وانسدلت عثا كلُّ القنوان
 كأنها قضبٌ من العقيانِ فصلنَ بالياقوتِ والمرجان
 من قانيِ أحمرِ أرجوانِ وفاقعِ أصفرِ كالنيران

مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :
 ونخيل وقفن في معطف الرمل وقوف الحبشان في التيجان
 شربت بالإنجاز حتى تروّت وترأت بزينة الرحان
 طلع الطلع في الجماجم منها كأ كفّ خرجن من أردان
 فتراها كأنها كمت الخيل توافت مُصرة الآذان
 أهو الطلع أم سلاسل طاج مُحلت في سفائن العقيان
 ثم عادت شبانها تنباهي بأعلى شبائه أقران
 خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
 ثم حال النجار واختلف الشكّل فلاحت بجوهر ألوان
 بين صفر فواقع تنباهي في شماريخها وجر قواني
 وقال بعض العرب * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرطب:

كقطع العقيق يانعات بخالص التبر منوعات
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
 قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
 عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده
 ماذق نواه ورق سحاوّه وعظم لحوّه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
 يدججه ولسكنك يا ابن العاص لا تمرأ تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(١)
 فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك ومابى إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
 ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أي التمر أجود ؟
 قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فك فتجد

(١) أي تقذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصيحاتي . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر^١ كأن بنات الورد فيه جواهر
 كأن القمارى والبلابل بينها قيان^٢ وأوراق الغصون ستائر
 شربنا على ذلك الترنم قهوة كأن على أحداقها الدرُّ دائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التلِّ بالما^١ ه^(١) وعيش تضيق^٢ عنه النعموت^٣
 ورد الدرُّ فيه في شجر اللو ز^٤ وفي الخوخ ورد الياقوت
 وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً يالها من حدائق^٥ وجنان
 خطرت بينها الرياح^٦ مسحيراً فتناصت^(٢) تناصى الأقران
 وتناحى الغصون فيها سراراً وتنادى الطيور^٧ بالاعلان
 فتناجى الغصون شبه عتاب وتنادى الطيور مثل أغاني
 من كروم تمايلت بعناقيد كجعد الزنوج^٨ وألجيشان
 وملاحية تميل^٩ أخرى كوجه الخمرائد الفران
 كلالى تشبث بلال^{١٠} وبنان تشبكت بينان
 فهى كالنجم في فروع كروم وهى كالشمس في بطون الدنان
 وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني^١ صلحن لوقت^٢ إكثار^٣ وقله
 وإحداهن تبرز في عباء^٤ وأخراهن في حبر^٥ وحله
 ومنها ما تشبهه^٦ بدورا^٧ فان قطعها رجعت أهله
 وقت : ولون واحد يلقى^٨ فيأتينا بألوان
 بسمران^٩ وسودان^{١٠} ومهران^{١١} وصفران
 كوشى في يدى^{١٢} واش^{١٣} وشهد في يدى^{١٤} جاني

(١) الماء : اسم لناحية . (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى .

فمن أدم ومن نُقلٍ وربحانٍ وأشنانٍ

وأشدنا أبو أحد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذَّا طعمه للذائق
 كأنها غدائرُ العواتق تُنَاطُ في حُجرٍ من المسائق
 كأنها أناملُ العَرَائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللِّفَاح :
 انظر الى اللِّفَاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مفضضاً في مذَّهب
 يملو مفارقة قلانس أخفيت من تحتهنَّ دراهمٌ لم تضرب
 وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات بيض نهورها ومُخضر نواصبيها وضفر جُسومها
 لها حقبٌ لا تستطيع أطراحها وليس يطيقُ سلَبها من يرومها
 وهنَّ رِمَاحٌ لا تريقُ دمَ العدى ولكن يراقُ في القدود صميمها
 يميل على أعرافها عندباتها كحور تناصى هندها ورميمها^(١)
 تناهى بها الإدراك حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
 ترى الريح يُغريها بنجوى خفيَّة إذا ماجرى قصر العشي نسيما
 ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظرًا أحسن من أفنانِ طلح مروح^(٢)
 كأنها والريحُ تسمو بها أوليةٌ منشورةٌ للفتوح
 وسدرة مدت بأفنانها على سواقٍ كتنون الصفيح
 إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
 مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلَّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبيق قول بعضهم :
 أنا في غياني بنبيق كأنه حلي عروس زان ليتاً وأخدما
 بأحمر كالياقوت يقطر ماؤه وأصفر كالعقبان ضمهما معا
 وقال آخر :

أقبلت تحت الليل كالظبي العرق بالراح والرمان والمسك عبق
 فجاء بالوصل وحيًا بالنبيق وقلت نبيق هكذا وتفق
 ما أخضرَّ عوداً أبداً لانفترق

وقلت في النبيق :

جلي الربيع	علينا	كواعباً	أبكرا
متوجات	عقيقاً	مسورات	نهارا
نرى لمن	من الور	د شوخراً	وخمارا
أهدى لنا	جواهرات	تخير	الابصارا
ياحسن	حمر وُصفر	تريك	جرأً ونارا
قد راق	ذاك احمراراً	وراع	ذاك اصفرارا
وخلت	هذا عقيقاً	وخلت	ذاك نُضارا
وذاك	شهداً مشاراً	وذاك	راحاً عُقارا
لو كان	يبقى سليماً	نظمته	تقصارا (١)

وقلت في المشمش ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنتها والصبح وردى العذب بنادقاً مخروطة من الذهب
 قد ضمنت أمثالها من الخشب والتف منها خشب على غرب
 وصار منه السم حشواً للضرب فهي لعمرى عجب من العجب
 القرب الفضة ، والضرب المسل . ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتينِ جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضه وبعضه يحكى الفسق
كسفرٍ مضمومةٍ قد جُمعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفستق :

من الفستق الشامي كلُّ مصونةٍ
زرجدة ملفوفة في حريرةٍ

وقلت في خيارة :

زرجدة فيها قراضةٌ فضةٌ
تلم بناطورين في كلِّ حجةٍ
فمعد المصيف ليس يفقدُ نفعها
وعند الخريف ليس يؤمنُ ضرُّها

وأما ذمُّ البساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

لله ما ضيعته من الشجر
ومعجبات من بقولٍ وزهر
في بقعةٍ لأسقيت صوبَ المطر
ضميرها النارُ وإن لم تستعر

بستانه أنثي وبستاني ذكر

ومما يجري مع هذا قول الاعرابي :

مُطِرنا فلما أن روينا تهادرت،
ورامت رجالٌ من رجال ظلامه
ونصت ركابٌ للصبا فتروحت
بني عمنا لا تمجّلوا نصباً^(١) الثرى
وحنّت ركابٌ الحى حين تؤوب

(١) أي جفاهه .

وصارَ غَبوقَ الخَودِ وهي كريمةٌ على أهلها ذو جدتين مشوب
 وصار الذي في أفه خنزروانهُ ينادى إلى هادي الرحا فيجيب
 أولئك أيام تُبَيِّنُ للفنَى أكاب سليب أوأشم نجيب

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيم يُبَشِّرُ الأرضَ بالقَطْرِ كذليل الغلالة المبلول
 ووُجوهُ البلادِ تنتظرُ الغيثَ انتظارَ الحبِّ ردَّ الرسول

وقال ابن الرومي :

حيَّتْك عنا شامُ طافَ طائفها بجنة فجرت رَوْحاً وريحانا
 هبتُ سحيراً فناجى العُصنُ صاحبهُ سرّاً بها وتنادى الطيرُ إعلاناً
 ورُقُّ نغنى على خُضِرٍ مُهدلةً تَسْمو بها وتشمُّ الأرضَ أحياناً
 تخالُ طائرُها نشوانَ من طربِ والغصن من هزه عطفيه نشواناً

وقال ابن المعتز :

بَشِقُ رياضاً قد تيقظ نورُها وبللها دمع من المزنِ ذَارِفُ
 كأنَّ عبابَ المسك بين بقاعها يفتحها أيدي الرياح الضعائف
 وقلت : والصبا يجلبُ الغمامَ الينا فترى القطرَ للرياضِ نديماً
 وترى للغصون فيها نجياً وعلى زهرة الرياضِ نديماً

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرَجُ الخُزَامِي ولاها بعد وسمي ولياً (١)

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هدية شمال هبت بيل
إذا أنفاسها نسمت سحيراً
لا فنان الغصون بها نجى
تنفس كالشجي لها الخلى

وقال ابن المعتز:

وماريج قاع عازب طله الندى
فجاءت سحيراً بين يوم وليلة
وروض من الرياح درت سحائبه
كما جرف في ذيل الغلالة ساحبه
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمه كرداء الوشى مُشْتَبِه
والريح تجذب أطراف الرداء كما
نغذته والدجى والصبح خيطان
أفضى الشفيق إلى تنبيهه وسنان
وقلت:

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا
ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا
المكتفى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريح تمحرك الباب حركة كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرفني صبا فحركت البيا
فكأنني سمعت حس حبيب
بهدو آفارت من ارتياها
نقر الباب نقرة: ثم هاها
قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجرى مما لم يذكره الناس.

وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكه أبول إذا اجتمعت
إذا لما حفلت نفسي متى اشتملت
من كل نوع ورق الجو والماء
عليه هائلة الخالين غرباء
ياحبذا ليل أبول إذا بردت
وجش القر في الجلد وأنلفت
من الضجيعين أحشاء وأحشاء

(١) أي فيه كافور.

وأصفر القمر السارى فصَفَحَتْهُ
ريالها من صفاء الجو لألاء
ياحبذا نفحة من ريحه سحرًا
يأتيك فيها من الرياح أنباء
قل فيه ما شئت من شهر تهده
في كل يوم يد الله بيضاء
وقلت: وله مجنح الأصيل نسيم
لين العطف هين الخطران
أرج يقتدى به نفس المسك وتحكيه
نكهة الزعفران
كم غدا مدنفًا وراح حسيراً
يتهادى في دجلة المسرقان
فراينا له لبوس شجاع
ووجدنا بها ارتعاش جبان

وإلى هذا انتهى بنا القول في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم
نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير^(١) والأعيان منه أولى وبالله التوفيق .
انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه
وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللامحة
وجعل خلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطئها بالقول الصادق والبيان الصادع
إعذاراً وتحذيراً وحجة وتنبية فمن لم يقنع ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه
حكم فيه السيف وسلط عليه السوط ليرداه إلى سبيل الحق بعد أن يجملاه نكلاً
للخلق والله عليهم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين . وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والظعن والضرب وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأوّل :

كَأَنَّ الْأَفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ

وقريب منه قول محدث (١) :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمِصْطَلِينَ بِحَجْرِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَجْرُهُمْ وَقُوفٌ عَلَى حِجْرِ

صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجْبَلِي وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْهِيَةِ بِالصَّبْرِ

ومن بليغ ما قيل في شدة الزوع قول زيد الخليل :

وَالْخَلِيلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ فَارَسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ تَجْدَةِ رَوْقِ

وقول المفضل الكندي :

فَدَاءُ خَالَتِي ابْنِي حَيٍّ خُصُوصًا يَوْمَ كَسُّ الْقَوْمِ رَوْقِ

معناه ان الأكس وهو القصير الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة

الزوع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، آخذه أبو تمام فأجاده

في قوله * فخيّل من شدة التعبيس مبدساً * على أنه ليس فيه مدح لأن

الكلوح في الحرب لا يبدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه

قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ قَطَعَتْ بُخَيْلٍ حَشْوُ فَرَسَانِهَا الصَّبْرُ

(١) هذا البيت لتهشل بن حري التيمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب

صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي - كما في هامش الأصل .

نسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طرزٌ وأطرافها حمرٌ
أجود ما قيل في اصطفاة الخيل قول الأعرابي :

وكتيبةٌ لبستها بكتيبةٌ حتى تقول نساؤم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أقمى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى واتمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الفارة قول ضمرة بن ضمرة :
والخيل من خلل الغبار خوارجٌ كالنثر ينثر من جراب الجرم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعت فيها كسح الخرجى جريم تمر
وقد أحسن الأعرابي في قوله :

نقاذف بالفارات عبساً وطيناً وقد هربت منا تميم ومذحج
بغزو كولغ الذئب غاد ورائح وكسر كصدع السيف لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمر أجاد يلع البيض بينهم وبيض أعاد في أكفهم السمر
وخيل يلوح الخير بين عيونها ونصل إذا ما شمته نزل النصر
وقوم متى ما ألقهم روى القنا وأرض متى ما أغزها سبغ النسر
ومن أبلغ ما قيل في أعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدي لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب *

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبح أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الأكف وأغادهن رؤوس الملوك

(١) جمع جارم الذي يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانَّ أسيافنا بيضٌ مُهندَةٌ عتقٌ وآثارها في هامكم جُدُدٌ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلا وهامٌ بني بكر لها غمدٌ

وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقون منيةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا حمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجاجمَ للسيوفِ مقبلا
وقال حسان : ويثرِبُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجاجمَ أغقادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شَقَّ الصَّفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأَحْنِ
دامي الجراح كأنه وردٌ تفتح في فنن

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا اللهُ والمهرُ المغدَى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً نائِرٌ لها نَفَذٌ لولا الشُعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يَرى قائمٌ من دونها ما وراها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديمٍ اثره بادي
تظلُّ تحفِرُ عنه أن ضربت به بُعد الذراعينِ والساقينِ والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحد وعند آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضرُوبَ وتجاوزه حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَوْنِسٍ ^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحوارج
تَقْدُ السَّلْوَى المِضَاعَفَ نَسْجَهُ وتوقد بالصُّمَّاحِ نارَ الحِجَابِ ^(٢)
يقول انها تقدّ الدرع التي تُصوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح
النار بالصُّمَّاحِ وهي حجارة . ومن يبلغ ما قيل في صفة السيف قول ابن
يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الايامى القاضى عن الهيثم بن
عدى قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يُسمى الصمصامة إلى الهادى
وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدي فاشتراه موسى
الهادى منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بنى العباس خُلُقاً وأكثرم عطاءً
للمال قال فجرّده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتمل فيه دنائير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حاز صمصامة الزُّبَيْدَى من يمينِ جميع الأنام موسى الأمينُ
سيفُ عمرو وكانَ فيما سمعنا خيراً ما أعمدت عليه الجفون
أوقدت فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الرُّطافُ القيون
فاذا ماهرزته ^(٣) بهرَ الشمسِ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصارُ كالقبسِ المشعلِ ما استقرَّ فيه العيون
وكانَ الفرندُ والجوهرُ الجا رى في صفحتيه ماءً معينُ
نعمَ محراقُ ذى الحفيظة في الهيجا بعضاتها ونعمَ القرينُ
ما يبالي إذا انتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمسين
وكانَ المنونَ نيطت اليه فهو من كلِّ جانبيه منونُ
أخذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قد حطه
درجات ، فقال موسى أصبت ما في نفسى واستخفه الفرح فأمر له بالمكتمل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوقى : درع منسوب

لبلدة سلوق ، والحجاب ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء: إنما حرمتم لأجلي فدونكم المكتل ولي في هذا
السيف غني، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل هـ.

وذكر الهيثم بن عدي هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هب لي الصمصامة
فانك قد ضعفت عن حمله وكان وزنه ستة أرتال فقال عمرو ما ضعفت قناتي
ولا جناتي ولا لساني وان اختل جثماني وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال:

خليلٌ لم أهبه من قِلاهٍ ولكن المواهب في الكرام
خليلٌ لم أخنه ولم يخني على الصمصام أضعاف السلام

قوله «أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه» يقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آتسني واذا أظلم لي الليل اضاء لي . وقال البحري:

مُصنَعٌ الى مُحكم الردي فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقدٌ يبري بأول ضربة ما أدركت ولو أنها في يذبل
فاذا أصاب فكل شيء مقتلٌ واذا أصيب فساله من مقتل
يغشى الوغي فالترس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي قال حدثني رجل
من ولد أبي سرحة الغفاري قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فسأله عن سعد بن أبي وقاص فقال عمرو اعرابي في نمرته عاتق في
حجلته أسد في تامورته نبطي في جيايته . فقال كيف علمك بالسلاح؟ فقال
بصير قال فأخبرني عن النبل قال منايا تخظىء وتصيب قال فأخبرني عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رسمها «معدى كرب» . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السياف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظامة . كما في هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانتك قال فأخبرني عن الترس قال هو المحنُّ وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلى قال بل أمك والحى أضرعتني
لك . المرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعائق الجارية السكاب وصفه بالحياء
والتامورة ههنا الاجمة ، فقال نبطى في جبايته وصفه بالاستفصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحى أضرعتني لك أى الاسلام قيدي لك وأذنتي ولو كنت في الجاهلية
ما كنتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضرُّ به عند الشيء يضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغرُّ النهشلى ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابته وقال يا بُنَيَّ كن
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت وأتق الرمح فانه رشاً
المنية ولا تقرب السهام فانها رُسلٌ تعصي وتُطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :
جلاميدُ املاء الاكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقت في المواسم
فعليك بها فالصقة بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقف الحمام ولم يزع عن ساحتيه وزاغت الابصارُ
فقتنا بسيل من الدماء على قنا بطوالهن تقصرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكانها تحت الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جروا الحديدَ أزجةً ودروعا
وكان أيديهم تُنقرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوعا
وقال أيضاً :

بطعنٍ تضعُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كماشق الرداء المرعبَل
وقال أيضاً :

قرينا بعضهم طعناً وجميعاً وضرباً مثل أفواه اللقاح

وقال البحترى وأحسن في ذلك :

ألوى إذا طمن المدحج صكه
فأنا النذير لمن تغطس أوطنى
ليديه أونثر القناة كعوبا
من مارن يدع النحور جيويا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤ بفراره
ومن المختار قول مالك بن نورة :

بسمر كأشطان^(١) الجزور نواهل
يقعن معاً فيهم بأيدي كاتنا
يجور بها ذو المنايا ويهتدى
كأن المنايا للرماح بموعده

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والظمن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربيعي :
فالظمن شمشعة والضرب هيقعة
واللقسى أزاميل وغمغمة
حس الجنوب تسوي الماء والبردا
المهيقعة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبهه
أصوات القسي بصوت السحاب الذي فيه برد ، والممول الذي يتخذ العالة وهو
أن يعمد الراعي إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين
متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أي يقطع والعضد المصدر.
ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :

يظل من الحرب العوان بمزل
كما احتجب المقدار والحكم حكمة
وآثاره فيها وان غاب شهده
على الناس طراً ليس عنه معدد^(٢)

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهر طلاع بأحدائه
محبوبة تُنفذ أحكامها
ورُسله فيها المقادير
ليس لنا عن ذلك تأخير
وقال: حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت
قواه وأودى زاده المتزود

(١) جمع شطن وهو الجبل . (٢) أي مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالملكيد جُنْدَه
وتزدارهم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثبة
عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
منك له مقدارهُ فكأتما تقوض شهان عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الرفع وهو خطأ وليس في العربية فعمل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلم وهو الكثير
القلع للأشياء، وكاب بنى قصيدته على فتح الرفع ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهمامكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها:

* أفيضاً دماً ان الرزايلها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هزرت له سيفاً من الكيد انما تجذ به الاعناق مالم يجرد
يسر الذي يسطو به وهو مغمد ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبث .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهيت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تُردُّ لربب الموت عنه يد
كأنها وهي في الأرواح والغنة وفي الكلى تجد الغيظ الذي يجد
من كل أزرق نظار بلا نظير الى المقاتل ماني متنه أود
كأنه كان خدن الحب مذ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبد

ويُشبهه يياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى:

ذكره يروقه الدماء كأنها يعلو الرجال بأرجوان فاقع

(١) أي قوى مجتمع متضافر .

وثرى مضارب شفرته كأنها ملح تناثر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فمن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
مُتَوَّسِدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِهِ كَمَدْبَةِ النَّمْلِ
وقول أوس بن حجر :

وَذُو شَطْبَاتٍ قَدَّهُ ابْنُ مُجَدِّعٍ لَهُ رَوْنَقٌ ذَرِيهٌ يَتَأْكُلُ
وَأَشْبِرْنِيهِ الْهَالِكِيُّ كَأَنَّهُ غَدِيرٌ جَرَى فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسَلُ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْقَيْنُ أَثْرًا كَأَنَّهُ مَدْبٌ دَبًّا سَوْدٍ سَرِيٌّ وَهُوَ مَسْهَلُ
وقال ابن المعتز وأبدع :

وَجَرَّدَ مِنْ أَعْمَادِهِ كُلِّ مُرْهَفٍ إِذَا مَا اتَّضَنَّهُ الْكَفُّ كَادَ يَسِيلُ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّمَا تَنْفَسَ فِيهِ الْقَيْنُ وَهُوَ صَقِيلُ
وقال اسحق بن خلف :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجْلِ الْمَتَاحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرٌّ الْهَمَا عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ

وقال قيس بن الخطيم :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَامِرًا كَأَن يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبِ
بَسِيفٍ كَأَن الْمَاءَ فِي صَفْحَاتِهِ طَحَارِيرُ غَيْمٍ أَوْ قُرُونُ جِنَادِ
أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِ فَقَالَ :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَابِ كَوَامِنٌ فَمَا يَنْتَضِي إِلَّا لِسْفِكِ دِمَاءِ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خَيْرٌ مَا اسْتَعَصَمْتُ بِهِ الْكَفُّ عَضْبُ مَآئِنَا مَلَّتْهُ بَعِينُكَ إِلَّا
ذَكَرْتُ مَتْنَهُ أَنْتِ الْهَمَزُ أَبْرَقَتْ صَفْحَاتُهُ مِنْ غَيْرِ هَمَزٍ
عَ فَمَالِي بِهِ عَلَى كُلِّ بَرٍّ مِثْلَهُ أَفْزَعَ الشُّجَاعَ إِلَى الدَّرِّ

ما أبالي أصممتُ شفرتاهُ في محزٍ أو جازتا عن محزٍ
 وقال آخر: جردُوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغمادِ
 وكان الآجال من أرادوا ومظباها كانت على ميعادِ
 وقلت: تميلُ كفى من سيفِ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بين السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز:

وسيوفُ كأنها حين سُلتِ ورق هزة سُقوطِ قطارِ
 ودروعٍ كأنها شمسٌ جمدٌ دهينٌ يضلُّ فيه المَدَارِ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح:
 وبكلِّ عرَّاصِ المَهزَّةِ مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقدِ
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد:

أصم إذا ما هزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائلِ
 له رائدٌ ماضى الفرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلِ
 وقال الأضمرى أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد:

وأصمُ مربعٌ يرى ماأرته بصيرٌ إذا صوبته للمقاتلِ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين:

بكلِّ رُدِّيِّ كأنَّ كموبه قطانسق يستورد الماءَ صائفِ
 كأن هلالاً لاح فوق سراته جلالنيمٍ عنه والقنمِ الحراجف^(١)
 وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول ذرير بن الصمة:

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيجِ الممددِ

الصيصية الشوك الذي يسوى به الحائك الثوب، والصيصية أيضاً الحصن
 ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً. وقد أحسن البحترى في قوله:

في معركِ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوعِ إذا المنحينِ ضلوعا

(١) الحراجف: فاعل جلا وهي الرياح الشديدة:

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى غصن من البان نابت
 بطول لسانى فى العشرة مُصلحاً على أنه يوم السكرية ساكت
 والسكوت فى الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمانة
 الفرع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والابعاد من فشل * وقلت فى الرمح :
 يقدو بصدق الكموب لَدُن يهتز ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة فى كفه نجم دحى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل فى القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصر أزرى بها فتعتلا
 كنوم طلاع الكف لادون ملها ولا يحسها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأملا
 تحيرن أنصاء وركبن أنصلا كجمر الغضا فى يوم ريح تزيلا
 وقال الشماخ فى صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز
 وقال آخر : وهى إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الثكلى أبت . لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند النزع والتوتير فى سيتها رنة الطنبور
 وقال الاصمعى : أحسن كلام فى الإيجاز قول عكلى فى صفة قوس :

* فى كفه معطية ممنوع * ومن أحسن ما قاله محدث فى القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويل ولم يدرك الإسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكتانة .

أُتِيحَ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْسُهُ (١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرَى (٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كِيدَرِي مَوَاشِطَ بَعْنٍ بِهِ فِي مَفْرَقِ فَتَغْلَغَلَا
بَطِينًا إِذَا أَسْرَعَتْ إِطْلَاقَ فَوْقَهُ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأَتْ فِي التَّرْعِ عَجَلَا

وَأَجُودَ مَاشِبِهِ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخِرِ :

أَفْوَاقِهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاهُ أَفْرَحَةَ مِنَ النَّغْرَانِ

وَالنَّغْرَانُ جَمْعُ نَعْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي (٣) :

* وَنَبِيٍّ وَقَفَاهَا كَمِرَاقِبٍ قَطَاً طَحَل * أَخَذَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءٍ فَقَالَ (٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنكِبِهِ شَرِيَانَةَ مِمَّا اصْطَفَى بَارِي الْقَسَى وَاتَّقَى

أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتِّينَ فِي كِنَانَةِ مِمَّا بَرَى

ذَاتِ رَوْسٍ كَالْمَصَابِيحِ لَهَا أَسْفَلُ مِثْلِ عِرَاقِبِ الْقَطَا

إِنْ حُرِّكَتْ حَنْتَ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنْتِ الْوَالِهِ مِنْ فَقْدِ الطَّلَا (٥)

حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ يَبْعُضُهَا لِأَنْتِ وَمَالِ طَرْفَاها وَانْتِنَى

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي قَوْسِ بَنْدُقٍ (٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالْفَرُورَ (٧) الَّتِي بِهَا

مَذَرْتُ سَحِيقَ الْمَسْكِ فَوْقَ صَلَابَةِ

لَهَا أَوْلَى طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرَةَ

نَطْوَعُ رَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّما

يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوِّ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَمِينِكَ بَلْ أَذْكَى ذَكَاءٍ وَأَسْرَمَا

(١) جَمَلُ الْإِثْرِ بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ . (٢) الْقَرَى: الظَّهْر . (٣) الْفَنْدُ الزَّمَانِي :

اسْمُهُ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، كَانَ سَيِّدَ بَكْرِ وَقَائِدُهَا فِي زَمَانِهِ .

(٤) مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ الْأَبْطَالِ . (٥) هُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَيَوَانَ .

(٦) كُرَّةٌ صَغِيرَةٌ يَقْدِفُونَ بِهَا . (٧) الْفَرُورُ : الْفَضُونُ

لها عولةٌ أولى بها من تصيبهُ
 وهذا مثل قوله في امرأة :
 تشكى المحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً
 وقال المتنبي في سداد الرمي :
 يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض
 وقال الراجز في ضد ذلك :
 مستهترٌ بالرمي وإهٍ عاضده
 أحصن شيء يوم يرمي طرده
 وقال ابن الرومي في سهام :
 وكل ابن ربيح يسبقُ الطرفَ معبه
 صنيعٌ مرهشٌ قومَ القينِ منتهُ
 يغلغلهُ في الدرعِ نصلٌ كأنهُ
 وقال ابن المعتز في قوس البندق :
 وماء به الطيرُ مربوطةُ
 غدونا عليه وشمسُ النهارِ
 فظلنا وظلت عُيونُ القسيِّ
 تحاكي الخليَّ بأطواقها
 لم تكسهُ ثوبَ إشراقها
 ترمي الطيورَ بأحداقها
 وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :
 ترى غابةً انخطى فوق رؤوسهم
 كما أشرفت فوق الصوار (١) قرونها
 وبما يجري مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :
 وما الذنبُ إلا العريكةُ الفتى
 وما ذنبهُ أن جاوزتهُ المطالبُ
 ومن كان غير السيفِ كافل رزقه
 فلذلَّ منه لا محالةً جانب
 وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذى يزن يذ كر القوس :

هَزُّوا بناتِ الرياحِ نحوهمْ أعوجُّها طامحٌ وزمزما
 كأنها بالفضاءِ أرشيبةٌ يخفُّ منقوضها ومبرمها
 فأما النبيلُ فقد جاء فيها عنهم شئٌ كثيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
 وبيض من النسج القديم كأنها نهاء (١) بقاع ماؤها مترابع (٢)
 تصفقا هوج الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ فالما راجع
 وهو مأخوذٌ من قول امرئ القيس :

تَفِيضٌ على المرءِ أردانها كفيض الأقي (٣) على الجدجد
 وقال البحرى :

يمشون في زرد كأن متونها في كل معركة متون نهاء
 ييض تسيل على السكاة فضولها سيل السراب بقررة يبداء
 وإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء
 ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق إليه .

ومن ملبح ماجاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابغة الذبول كأنها سلخ كسانيه الشجاع الأرقم

ومن ملبح ماجاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العمدي عن
 أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادى لم يكن لآل نصر بن
 ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلاً ونظقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
 عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
 حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تتناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
 طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمع جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفسها

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد (٣) أى الجدول .

وأبقت بالعلبة لضراوة عادتها فلها العلو^١ والتمكين^٢ ولمن ناوأها الذل^٣ والتوهين^٤
خصت^٥ بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم
عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جرير^٦ هشام بن عبد الملك :

لقومي^٧ أحمي^٨ للحقيقة^٩ منكم^{١٠} وأضرب^{١١} للجبار^{١٢} والنقع^{١٣} ساطع^{١٤}
وأوثق^{١٥} عند^{١٦} المردفات^{١٧} عشي^{١٨} لحاقاً^{١٩} إذا^{٢٠} ماجرد^{٢١} السيف^{٢٢} لامع^{٢٣}
فقال^{٢٤} هشام^{٢٥} لم^{٢٦} تركت^{٢٧} نساءك^{٢٨} حتى^{٢٩} أردفن^{٣٠} ألا^{٣١} جعلتهن^{٣٢} كنسوة^{٣٣} الحبيل^{٣٤} فما
سمعنا^{٣٥} بمرقيات^{٣٦} قط^{٣٧} أمنع^{٣٨} منهن^{٣٩} حيث^{٤٠} يقول :

وساقطة^{٤١} كور^{٤٢} الخمار^{٤٣} حيية^{٤٤} على^{٤٥} ظهر^{٤٦} عرعى^{٤٧} زال^{٤٨} عنها^{٤٩} جلاها^{٥٠}
تشد^{٥١} يديها^{٥٢} بالسنام^{٥٣} وقد^{٥٤} رأت^{٥٥} مسومة^{٥٦} بأوى^{٥٧} إليها^{٥٨} رطالها^{٥٩}
نزلنا^{٦٠} فساقينا^{٦١} الكماة^{٦٢} دماءها^{٦٣} سجال^{٦٤} المنايا^{٦٥} حيث^{٦٦} نسقى^{٦٧} سجالها^{٦٨}
وأجود^{٦٩} ما قيل^{٧٠} في^{٧١} ثبات^{٧٢} الرجال^{٧٣} في^{٧٤} الحرب^{٧٥} قول^{٧٦} الحرث^{٧٧} بن^{٧٨} عبّاد :

قرباً^{٧٩} مربوط^{٨٠} النعام^{٨١} مني^{٨٢} لقصحت^{٨٣} حرب^{٨٤} وائل^{٨٥} عن^{٨٦} حيال^{٨٧}
قرباً^{٨٨} بها^{٨٩} فان^{٩٠} كفى^{٩١} رهن^{٩٢} ان^{٩٣} تزول^{٩٤} الجبال^{٩٥} قبل^{٩٦} الرجال^{٩٧}

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحب الذين يُقاتلون في
سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) ولم يصف أحدهم من المتقدمين والمتأخرين
القتال في المراكب إلا البحترى : أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت
عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليلى نحيبها
واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان
مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحد قبله أولها
* ألم تر تغايس الربيع المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
ما ينشد له ويعجب من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صَبْحاً وإِثْمَا
 إِذَا زَجَرَ النُّوفَى فَوْقَ عِلَاتِهِ
 يَغْضُونَ دُونَِ الْإِسْتِنَامِ عِيُونَهُمْ
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ
 إِذَا مَا انْكَفَا فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خَلْتَهُ
 وَحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقَرُوا
 تَمِيلُ الْمَنَائِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ
 إِذَا رَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رَشَقُهُمْ
 صَدَمَتْ بِهِمْ صُهْبَ الْعَثَانِينَ دُونَهُمْ
 كَأَنَّ ضَجِيحَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ
 تَقَارَبَ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّهَا
 فَمَارَحَتْ حَتَّى أَجَلَّتْ الْحَرْبُ عَنْ طَلَى
 عَلَى حَيْنٍ لَا تَقَعُ بِطَوْحِهِ الصَّبَا
 وَكُنْتُ ابْنَ كَسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ
 جَدَحَتْ لَهُ الْمَوْتَ الزَّعَافَ فَعَافَهُ
 مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرِّيحِ بِشُكْرِ فَضْلِهَا

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي السَّهْمِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ عَنْتَرَةَ :

أَيْنَا مَا نُعْطِي السَّوَامِنَ عَدُونَا
 قِيَامًا بِأَعْضَادِ السَّرَاةِ ^(١) الْمَعْطُفِ
 بِكُلِّ هَتُوفٍ عَجَسَهَا رَضْوِيَّةً ^(٢)
 وَسَهْمٍ كَسِيرٍ الْحَمِيرِيِّ الْمَوْقِفِ

وَقَالَ رَاشِدُ بْنُ سَهَابٍ ^(٣) الْيَشْكُرِيُّ :

وَنَبْلٍ قِرَانِ كَاتِسُورٍ سَلَاجِيمِ
 وَفَلَقٍ هَتُوفٍ لِاسْتَقَى وَلَا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على مافي القاموس .

وَمُطَرِدِ الكَمْبِينِ أَحْمَرِ حَاقِدِ وَذَاتِ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمِ
وصف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذي
لاحجم له ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذي يشرب الماء ، والنشم شجرٌ .

ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (١) :
إذا ماعلونا ظهرَ نَشْرٌ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مَنَاقِبُضٌ بِيضٌ مَفْلَقُ
وقول الآخر * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضٌ عَلَيْهِمْ * ورواه بعضهم :
كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوْ بَاضٌ عَلَيْهِمْ * فقيل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج
لأنكون في الجو والآخر أنها لا تبيض . ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز :
وبيضِ كَأَنصَافِ البَدْوِ أَيْبَةُ إِذَا امْتَحَنْتَهُنَّ السِّيُوفُ خِيَارُ
فتشبيها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :
حَمْرُ السِّيُوفِ كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ لَهُمْ أَيْدِي الْقِيُونِ صَفَائِحًا مِنْ عَسْبَدِ
فِي فِتْيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ أَنَّهُ رَهَجٌ تَرَفَّعَ عَنْ طَرِيقِ السُّؤْدَدِ
كالرمح فيه بضع عشرة فقرة مُنْقَادَةٌ خَلْفَ السِّنَانِ الْاَصِيدِ
وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إِذَا شَدُّوا عَمَائِمَهُمْ ثَنُوها عَلَى كَرِيمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنَارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهِمُ وَلَكِنْ فِي الطَّعَانِ مُهْمُ التَّجَارِ
ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

مُخْلِقتِ أَنَامِلُهُ لِقَائِمِ مُرْهَفِ وَلَبِثُ طَارِفَةٍ وَذِرْوَةِ مَنَسِيرِ
يَلْقَى الرَّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبِصَدْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لَشِبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْفَرِ
وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مَقْبَلِ مُتَسَرِّبِ مَرِبَالِ لَيْلِ أَغْبَرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التيمي الحجازي، يُعَدُّ في طبقة المتلمس .

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نحسرتني الاعداء إن لم تنحس^(١)
 ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض المعجم : دافع بالحرب ما يمكن فان
 النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح .
 وقال النابغة الجعدي :

وتستلب المال الذي كان ربهما ضنيناً به^(٢) والحرب فيها الحرائب
 فبعمه أبو تمام فقال : والحرب مشتقة من الحرب . وقول جدل الطعان :
 دعاني أشب الحرب بيني وبينه فقلت له لا بل هلم الى السلم
 وإياك والحرب التي لا أديهما صحيح^٢ وما تنفك تأتي على الرغم
 فان يظفر الحزب الذي أنت منهم وينقلبوا ملاء الأ كف من الغم
 فلا بد من قتلى لملك فيهم وإلا فجرح لا يكون على العظم
 فلما أبي خلت فضل ردايه عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
 وكان صريع الخليل أول وهلة فبعداً له مختار جهل على علم
 ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد في خبر أخبرناه

عن الصولي عن عبيد الله السكوفي قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
 علي على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

يا أيها الرجل الذي يمينه غيث الزمان وصوله الحدان
 أنعم صباحاً بالسيوف وبالقنا ان السيوف تحية الفتيان
 قد أبطرتك سلامة فنسيت ما أسلفت من بر ومن إحسان
 والدهر خدن مسرة ومضرة متقلب بالناس ذو ألوان
 يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
 ذلك سبباً للحرب فيجى بالسيوف فلا يفرع فانها تحية الفتيان .
 وقال علي بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الآيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كأنَّ أرماحه تُعطى إذا عمِلت تحتَ العجاجةِ أسماعاً وأبصاراً
ومن أحسن ما قيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد
قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرِّدُ قول النابغة وذكر أنه أحسن ما قيل في
تقسيم الخيل في الحرب :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وخيلٌ تملكُ اللجماً
قال ثعلبٌ قلتُ لابن الأعرابي الصائمة التي لا تصهل وغير الصائمة التي
تسهل فما هذه الأخرى ؟ قال التي تملك اللجم في الكمين .
أخذته محمد بن مسلمة البشري يصف تأديبه فرسه :

عودتهُ فيما يزور جبابي إمهالهُ وكذلك كلُّ مخاطر
فاذا احتجى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر
ومن أجود ما قيل في ارتفاع الغبار ولمعان الأسنان فيه من قديم الشعر قول النابغة :
تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام
قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضيح الاسنة
في سواد العجاج . ومن أحسن ما قيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه
وقال النمرى : ليل من النقع لا شمس ولا قمر إلا جبينك والمذروبةُ الشرع
وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءُ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماحِ شرارٌ
وأبلغ ما قيل في الاقدام والاعتذار على العدو قول بعضهم :
عشيةً كما بانخيارٍ عليهم أنقص من أعمارهم ثم نزيدها
ومن بديع المعاني في صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداءٍ القرى ^(١) أعوجيةٍ إذا طردت لم ينج منها طرفها

(١) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جياذهم فنلقاهمُ إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي إذا طلبوا روحَ الحياةِ وطيبها
وعمشوا البرايا باللهي والرفائب فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيضُ في سُود القساطل أنجم ثم غواربُ تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يومَ الكريمةِ مُضمر ثم تشولُ الى الهيجاءِ شولَ العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحمة ثم أفاوت بناتِ الختفِ من كلِّ جانب
تردُّ الجياذ تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأنَّ بحده ضرائب من تصميمه في الضرائب

ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأحنس بن شريق (١) :

بجأواءَ ينفي وردُّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكبُ
الجأواء : الكتبية يضربُ لونها الى الكلفة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لا تسمعهم والأمكنة تضيقُ بهم فكما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً مُعضلةً منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظللُ به الفضاءُ مُعضلاً (٢) يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى
وأعجب من هذا قول زيد الخيل (٣) :

(١) لعله الأحنس بن شهاب الثقفي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تمضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهمل أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خبط رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وأُسرَّ به الرسول ﷺ

بجيش تفضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سُجداً للحوافر
 وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثيرٌ تواليه سريعُ البوادر
 أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال
 قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخليل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول
 * بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خنعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته تربيته :

لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرتم آل خنعم
 وكان إذا ما ورد الخليل يشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فألجأ
 فأرساها رهواً كأن رعاها جراد زهته ربح نجد فأتبها

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
 البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
 في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
 ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
 النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
 وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس المقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس النزوع^(٣) لياليا بأرعن جرار عريض المبارك
 ترى العرفج الحولى^(٤) تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
 إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
 نسيرُ فلا تنجو اليعافرُ وسطنا وان داءلت منا بشد مواشك

(١) يشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان «النزيع» وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ضراباً كأنه المطى الأوارك
 بأيدي رجال هاجروا نحو ربههم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا أقبل الغضروط من أرض عالج فقولا له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :
 وأقبل عامرٌ من لبن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك اللقاء فيه فتندد والمفضضة اللطيم
 ومن بليغ ما قاله محدث في كثرة الجيش وتكافئه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أدجوان كأنه قميص محوك من قنا وجياد
 الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجى ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحترى :

لما أتاك يقود جيشاً أرعنا يمشى عليه كثافة وجوعا
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظل عليهم حصبها يتدحرج
 وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو أنك تُلقي حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة المتقارب
 السام : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد نقود الخيل تخطر بالقنا فتصبن على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاء إذ جر بن عجالا
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :

أويجزوا مكفهرًا لا كفاء له كالليل يخلط أصراماً باصرام
 تبدو كواكب الشمس طالعة نوراً بنور وإظلاماً باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :

كأننا زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر

سار سرى من قبل العين فجر

والأول أحسن عندى . ومن أجود ما قيل فى صفة السوط قول الشعبي :
أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدّث كأنه لم يسمع
من غيره حللوة منطقته و عذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رجل كأن يجالس
يقال له حنيس : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدّرج
عظيم الثمرة لبن المهزّة أحد من مفرز عنتي الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
منك فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعنى السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حمّل على القنّاة قول مسلم :

ويحمل الهام تيجان القنّاة بل . مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصر *

ومن أجود ما قيل فى المصلوب ما أنشدنيّه بعض البصريين :

أنظر اليه ^(١) كأنه فى جذعه لما توشح بالجبال ودّرعا

رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صحّة رميه فتسمعا

وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحرى :

قترآه مطّرداً ^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء

وقول ابن الرومى :

يلعبُ الدستبند ^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند

وقال مسلم بن الوليد :

(١) فى الأصل «الى» . (٢) أى مستقيماً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمدّ يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شِلْوُ (١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تُنورُ شَاوِيَةَ وَالْجُدْعُ سُفُودٌ (٢)
 ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن العسدي عن أبي جعفر عن
 المدائني قال قال بعض أهل خراسان لو كيع كيف قتلت ابن خازم؟ قال لما صرع
 قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبته بفضل القنا وقلت بالثارات دويلة
 فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك عالج لا يساوي كف نوى وتنخّم في
 وجهي فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هبيرة يوماً هذا الحديث فقال
 هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ما قيل في طرائق الذمّ على المطعون قول أبي خراش الهذلي :
 ونهنت أولى القوم عني بطعنة كأوشحة العذراء ذات القلائد
 أوشحة جمع وشاح وهو سير كأنه شر الك عليه ودع فشه لون الدم
 بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الحنذر من الموتور ما قلت فيه :

لا تأمنن أنا العداوة إنه إن أمكته فرصة لم يمهل
 لله درك كيف تأمن محققاً تغلى عداوة صدره في مرجل
 ما الحزم إلا في اجتثاث أصوله والاييم (٣) لم يؤمن إذا لم يقتل

ومن الجيد مما قيل في سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفذتهم كرت عليهم بظمن مثل أفواه الخبور (٤)
 الخبر المزايدة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس (٥) :

بظمن كإبزاغ (٦) المخاض إذا اتقت وضرب كأفواه المفرجة الهدل
 شبيه اللحم الذي يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذي به قروح في فمه

(١) الشلو: المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدية التي يشوي بها .

(٣) الاييم : الثعبان . (٤) الخبور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إبزاغها أن ترفع ذباها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :

وأسيافنا آثارهن كأنها مشافر قرحى في مباركها هذل
وقال غيره :

بضرب كآذان الفراء فضوله وطمن كإزاع المحاض تبورها
الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
وأطمن الشجساجة المشلثله على غشاش دَهَش وعجله
يردُّ في نحر الطيب فتله

أى يسح الدم، ويشلثله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير^(١) :

وطعنة خلس كفرع الأزاء^(٢) أفرغ في مشعب الخائر
تهال الموائد من فرغها^(٣) تردُّ السبار على السابر

السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والخاير
المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بنى عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر تماماً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوايق النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبئه وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوايق الآلاء والقسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قيمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمحط الحكمة به بفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ مُعقلُ شواردِ الكلمِ و الخطُّ خيطُ فرائدِ الحكمِ
بالخطِّ نَظْمٌ كلُّهُ منتثرٌ منها وفُصْلٌ كلُّهُ مُنتظمٌ
والسيفُ وهو بِحِثُّ تعرفهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلمِ

واختلف الناسُ في الخطِّ واللفظِ فقال بعضهم الخطُّ أفضلُ من اللفظِ لأنَّ
اللفظَ يُفهمُ الحاضرُ والخطُّ يُفهمُ الحاضرَ والغائبَ . وقال بعضهم الخطُّ كلامٌ
ميتٌ والمحاطُ به حتى يُمكنُ صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضُه .
ومن أعاجيب الخطِّ كثرةُ اختلافه والأصلُ واحدٌ كاختلافِ صورِ الناسِ مع
اجتماعهم في الصفةِ وخطِّ الانسانِ كحليته ونعته في اللزومِ له والدلالةُ عليه والاضافةُ اليه
كاضافةِ القافةِ الآثارِ الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حُسنِ الخطِّ والشكلِ قولُ أحمد بن اسمعيل :

مستودِعٌ قِرطاسُهُ حِكْمًا كالروضِ مَيِّزِ يَنهُ زَهْرُهُ
وكانَ أَحْرَفَ خَطِهِ شَجْرُهُ والشكلُ في أضعافِهِ ثَمْرُهُ

ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكان
مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديمٌ وجهها وكان قلمها بعض أناملها وكان
بيانها سحرٌ مقلتها وكان سكينها سيفٌ لحظها وكان مقطعا قلب عاشقها .

وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سيبٌ
يُعبِّرُ عنه الروضُ وهو مُنمَّمٌ ويُخبِرُ عنه الوشَى وهو قشيبٌ
سوادُ مدادٍ في بياضِ صحيفةٍ يقولُ شبابٌ بالمشيبِ مشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خدِّ الصباحِ تصوبٌ

ومن غريب ما قيل في الشكلِ ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال

أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته موسى نممته
 وحاكته الأنامل أي حوك
 بشكل يؤمن الأشكال فيه
 كأن سطوره أغصان شوك
 وقلت: يياض صحيفة تلتاح حسناً
 كقيم رق في أطراف جو
 ومحاكي أرض كافور صريح
 بها نبذ من المسك الذبيح
 ومثل الصدغ في وجه صبيح
 كمثل الليل في صبح صديع
 وبين سطوره عجم^(١) مصيب
 كمثل الخلال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي
 قال سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجوذة فقال: إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوده
 وتفتحت عيونته ولم تشبهه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوره وإلى العقول ثمره وقدرت فصوله واندججت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن نصيب المحررين
 وقام لكتابته مقام النسبة والخلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط:

إذا ما تجلجل قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً تعيد لعين الكليل نشاطاً ويقروها لاخفش

ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صم
 إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ. ومن مليح التشبيه قول الأعرابي وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

(١) المعجم: النقطة. (٢) النقش بالكسر: المدادج أنقاس.

يحسنُ القراءة ففضى فنظر ثم عاد فقال رأيت شيئاً كرأس المحجن متصلاً بحاكمة صغيرة
تدبها ثلاث كاظباء الكلبة يفضى الى هنة كأنها قطعة بلا منقار . فهم هشام
بالصفة أنها «خمس» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العباس الربيعي عن الطلحي عن أحمد
ابن ابراهيم قال دخل اعرابي الى الرشيد فأنشده أرجوزة واسماعيل يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطأ وأسرعهم بدأً وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكتاب فقال ما رأيت أطيش من قلعه ولا أثبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيق حواشي الحلم حين تبوره يريك الهوينا والأمور تطير
له قلعا يؤسى ونعمى كلاهما صحابته في الحالتين درور
يناجيك عما في ضميرك لحظة ويفتح باب الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا
فيه نحن نقوم به ، ادفعوا اليه دية الحر ، فقال اسماعيل وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشي الحلم » ردى لان الحلم يوصف بالرزانة لابلارفة ،
واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فغيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمور تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحب السيف القلم خادم السيف ان بلغ مراده وإلا فالى
السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام :

السيف أصدق أبناء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وأبي ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للاقلام مذبريت ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما لل سيفُ سيفُ الكميِّ
له شاهدٌ إن تأملتَهُ
أداةُ المنيةِ في جانبيهِ
سِنانُ المنيةِ في جانبِ
ألم ترَ في صدره كالسنانِ
وقد أحسن الخالدي في قوله :

وفي كفٍ ليث الورى للندى
ففي كفٍ ليث الورى للندى
وأقلت : أبيت بالليل غريب الكرى
وقيم الحكمة في أملى
أنف ضميري حين أرففته
لسان كفي حين أنطقته
منحرف في خلقه ذابل
ان لم يكن كالعصب في حده
ينكسه المرء فيعلو به
ومذ عرفنا لذة العلم لا

وقال البحرى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم
أبدت بُغاثَ الطير زرق الجوارح
فلا غرني من بعدكم عزُّ كاتب
إذا هو لم يأخذ بحجزة راح
ومن أحسن ما وصِف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
لك القلم الأعلى الذي بشباته
تُنال من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه
وأرى جنى شارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها
بآثاره في الشرق والغرب وابل

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت
 أطاعته أطراف الرماح وقوّضت
 إذا استغزى الذهن الذكي وأقبلت
 وقد رفته الخنصران وسدّدت
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ
 وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
 عليه شعابُ الفكر وهي حوافل
 لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
 ضئى وسميناً خطبه وهو ناحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكتاب على القلم بأنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق :

ماضر من أضنى بهجرانه
 لو فرج الكربة عن مدنف
 يسرقة ينسظمها كفه
 بمرهف الأحشاء ذي حلة
 لعابه بسر وعسر إذا
 إذا امتطاه بشيبهاته (١)
 قلب كئيب القلب حرّانه
 تشفه لوعة أحرانه
 نظم لآليه ومرجانه
 موشية ترفع من شأنه
 جاد به تغليج أسنانه
 كشف أسراراً باعلانه
 ركض في ميدان قرطاسه
 ركض جواد وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جارية كاتبه اسمها علم :

أفدى البنان وحسن الخط من علم
 حتى إذا قابت قرطاسها يدها
 إذا تقمعت بالحناء والكتم (٢)
 ترى ثلاثة أقلام على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :

في كفه مثل سنان الصعده
 بلتهم الجيش السهام وحده
 لو صادم الطود المنيف هذه
 لو صافح السيف الحسام قدّه
 أرقش بزّ الأفقوان جلدّه
 ياوى الى ظنر له محتدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به ». (٢) نبت يخط بالحناء، وإذا طبخ صار مداداً.

يُمزَجُ فِيهَا صَبْرُهُ بِشَهْدِهِ يُرْضِعُهَا مِنْ مَقْلَةٍ مُسْوَدَةٍ
بِمَدِّهَا جَارِ كَشِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدْوَةٍ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسِرُ رَأْسُهُ
تَنْظُرُ إِلَى مَخْلَابِ لَيْثٍ ضَيْعِيمٍ
يَسْدُو لِنَظَرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضٌ مِثْلُ خَدٍ وَاضِحٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا فِي الْوَرَى
طَعْمَانٍ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمَرَارَةٍ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ
وَمُذَلَّلًا بِمِعْرَازٍ وَلرَبَّمَا
وقلت : لك القلمُ الجارى بيؤسٍ وأنعم
إِذَا مَلَأَ الْقَرطَاسُ سَوْدَ سَطُورِهِ
فَتَلِكُ جَنَانٌ تَجْتَنِي ثَمَرَاتُهَا
وَهَنُّ بَرُودٌ مَالِهِنٌ مَنَاسِيحٌ
وَهَنُّ حَيَاةٌ لِلْوَلِيِّ رَضِيَةٌ
فِيهَا بَوَادٍ تَرْجِي وَعَسْوَانِدُ
فَتَلِكُ أَسْوَدٌ تُتْقَى وَأَسَاوِدُ
وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ
وَهَنُّ عَقُودٌ مَالِهِنٌ مَعَاقِدُ
وَهَنُّ حَتُوفٌ لِلْعُدُوِّ رَوَاصِدُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائى قال

أنشدني أبو الحسين بن أبي البغل :

لَهُمْ هَمٌّ تَسْنَأُ إِلَى الثَّرِيَا
وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي التَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تُشَبِّهُا سُيُوفًا
مُهَنَّدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهُوَادِي

(١) في الأصل « شهده » بضم الشين وهو سائق فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح وبضم » .

يُخَطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي بِيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بِيَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرَعَ الصَّرِيخَ أَمْدَخِيلاً بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَحْتَمٌ مِنْ خَصْرِهِ
 أَبْدأً تَرَاهُ وَصَدْرَهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرَهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِلِ يَذْكُرُ أَرْضَةَ أَكَلْتُ كِتَاباً :

شَغَلَنِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شِغْلٌ دَفَتُرُ فِقْهِ أَوْ حَدِيثِ أَوْ غَزَالٍ
 أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمَكْتَهَلِ تَخَالُهُ مَكْتَحِلاً وَمَا كَتَحَلَّ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحَلَ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلٍ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَّ مَا كَانَ أَضَلَّ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنِ نَقْشِ حَلَلٍ يَخَاطِبُ الْحَظَّ بِنَطْقٍ لَا يَبْكَلُ

وَلَا يَمِيلُ صَاحِباً حَتَّى يَمِيلَ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ كُلَّ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابِكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيداً أَوْرَخَ بِهِ أَيَّامَ بَهْجَتِي
 وَأَفْتَحَ بِهِ مَوَاقِيتَ غَبَطَتِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالذُّوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضاً : وَصَلَ كِتَابَهُ أَيْدِي اللَّهِ بِضَحْكَ
 عَنِ أَخْلَاقِهِ الْأَرَجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيُنْخَبِرُ عَنْ طَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمَلَ الْحَرِيَّةِ بِهِ مَنَظَّمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِدَارِهِ فِي أَثْمَانِ عَقْبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرُورِ تَهْدَاءً . وَقَلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةَ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْسِرُ مَأْمُونٌ الْمُغِيبُ
 مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرٌ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عونٌ للأديب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفحمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الجيب
 ساكتٌ يروي حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نغمته الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
 دبٌّ فيهنّ ديبٌ كان من شرِّ الديق
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومصيب
 بدّل الإصلاحِ منهم - من بافسادٍ عجيب
 فنجومٌ العلمِ والفهمِ - تهافت للغروب
 كلُّ شيءٍ سوفَ يبقى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبى هفان قال سألت ورأقا عن حاله فقال :
 عيشى أضيّق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخفى من شق القلم ويدي أضعف من قصبته وطعامى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الخبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاء بيلاء فحسبك .
 وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنْهَلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْمَنَاهِلِ تَضْمُنُ رِيَّ الصَّفْرِ الذَّوَابِلِ
مَرْكَبُهَا ذَوَائِبُ الْأَنَامِلِ إِذَا مَشَتْ عَالِيَةَ الْأَسَافِلِ
بَكَتْ عَلَى الطَّرْسِ بِدَمْعِ هَامِلٍ فَارْتَبَطَتْ شِوَارِدَ الْمَسَائِلِ
وَكَشَفَتْ عَنْ غُرْرِ الدَّلَائِلِ بِيضَاءِ تَبْدُو فِي لِبَاسِ الثَّائِلِ
لَكِنَّمَا تَلْبِسُهُ مِنْ دَاخِلِ

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لَا أَحِبُّ الدَّوَاءَ تَحْشَى بِرَاعًا هِيَ عِنْدِي مِنَ الدَّوَى مَعِيهِ
قَلَمٌ وَاحِدٌ وَجُودَةٌ خَطٌ فَإِذَا زِدْتَ فَاسْتَزِدْ أَنْبُوبَهُ
هَذِهِ قَعْدَةٌ الشُّجَاعِ عَلَيْهَا أَبَدًا سِيرُهُ وَتِلْكَ جَنِيْبَهُ

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كَأَنَّمَا النَّقْصُ إِذَا اسْتَمَدَهُ غَالِيَةٌ مَذْفُوقَةٌ بِنَدِهِ

ونتن الكرسف (٢) مما يُعَابُ بِهِ . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب (٣) :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغَرَابِ وَأَقْلَامٌ كَمَرْهَفَةِ الْحَرَابِ
وَقِرطَاسٌ كَرَقَاقِ السَّرَابِ وَأَلْفَاظٌ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ
وَقَلْتُ : أَكْثَرُ مَا تُنْبِتُهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَسْعَ فِي زَوَالِهِ الْأَيَّامُ
يَالِاكَ مِنْ حُرْسِ لَهَا كَلَامُ مَوْتِي إِلَيْهَا النَّقْصُ وَالْإِبْرَامُ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله به حمدان والد سيف الدولة .
(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواء .

(٣) كان معاصراً لأبي تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لامات رثاء البحتری .

قِوَامٌ مَجْدٌ مَالُهُ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٍ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغِرُ شُؤْنِهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عَطْرُ الْعِدَارِيَّ وَسَوَادُ الدَّوِيِّ عَطْرُ الرِّجَالِ
وَقَلْتُ فِي سَكِينٍ :

أَنْجَازٌ وَعَدُكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءُ فَضْلِكَ فِيهَا غَيْرٌ بِمَحْمُودٍ
أَحْسَنُ بِهِ أَزْرَقًا فِي أَيْضٍ يَقْوِي لِمَنْطَاقٍ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ
خَلْفُ الْوَعِيدِ حَمِيدٌ لَا يَنْدُمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفَ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودِ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به
لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابعامه نقض تستغيث
الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان
حشنته بالانامل قطف فالفاظي في سنه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد
صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمحجه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح
بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناوأة وهو يزاد نغارا أو يتضاعف زلالا وغثارا .
ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو
ما يخطئه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يُوَاصِلُ مَحْوَهُ بِرُضَايِهِ
فَوَدِدْتُ أَنْ فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدَّتْهُ لَا يَهْتَدِي لِسَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلمًا وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أَرَانِي مَنَحْتَ الْوَدَّ مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْحَبَةِ مُنْصَفُ
وَزَادَتْ لَدَيَّ حِظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضْتَ وَفِي أَصْبَعِهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصَمٌّ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحَرِّكٌ يَبَالُ جَسِيَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبت له انى ودهرك معجبٌ يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتب الصاحبُ أبو القاسم في وصف كتاب : ومن هذا الذى لا يجبُ أن يواصل
علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأذب والعلم وجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب
فى مكاترة من ينتسب الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامه أقبلت الفكرة تشكائر والذررُ تنتثر والغررُ تترام
والنكتُ تتزاحم فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أنت أختها تنافس وأقبلت لدتها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومة ونفضتُ يدي من غبار الخصومة وأخذتُ
أقول كأنك صوادِرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ قد سالمن ونواقِدٌ عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحن وقد وليتُ النظر بينها من كمل لنسج برودها ووفى بنظم عُقودها .
ومثل ما تقدم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمحُ بينها طبعٌ وتناولت
قلماً كالابن العاق بل العدو المشاق فإذا أدرته استطال وإذا قومته مال وإذا حثثته
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق متفاوت البرى معدوم
الجرى مُحرفُ القبط مشيج الخلط ثم رأيت العدو له ضرباً من الاتقياد لأمره
والانخراط فى سلكه فجهدهته على رغبته وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاج يادية على صفحات الحروف لا تخفى وعادية المحك لأثمة على وجوه تتجلى .
وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستغزنى
الفرح قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرح قبل مشاهدته فما أدرى أصمعت بورود كتاب
أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل
عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
شيئاً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ فى أثنائه أبيات شعر أم عُقودٌ دُرٌّ ولم أدر
ما حملته أغيثٌ حل بواد ظلمان أم غوثٌ سيق إلى لهفان .

وكتب الصاحب : ووصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة في مطالعه
وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الخلال والماء الزلال وسرحت
الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنيق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا
الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطرًا الا إلى أحسن منه نظما ونثرا .

ورفع رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يعتد فيها قرأى خطه رديئاً
فوقع : قد أردنا قبُولَ عذرك فاقنطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت
صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يُسناضل
عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .

وقال على رضى الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحقُّ وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاءٌ مئليٌ علماً وظرفٌ حشيٌّ
ظرفاً^(١) وإناءٌ شحنٌ مزاحاً^(٢) وجداً أن شئتَ كان أبين من سحبان وائل وان شئتَ
كان أعيان من باقل وان شئتَ ضحكت من نواذره وان شئتَ شجعتك مواعظه
ومن لك بواعظٍ مله وبزاجرٍ مفرٍ ويناسك فاتك ويناطق أخرس وبيارد حار
ومن لك بطبيبٍ أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت
ثمتع ومن لك بشيءٍ يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال يا بُنى ما في
كتابك ؟ قال بعض ما يشهد الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقنى
ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الخاء بمعنى الظرافة ، ويضم بمضمم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

الفصل الثاني من الباب التاسع

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الایجاز وترك الفضول . وليس يصلحُ الایجاز في
كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمين
عليكم بالایجاز فان للایجاز افهاماً وللاطالة استبهاماً . أى عليكم بالایجاز فيما كان
الایجاز فيه أحسن وأجمع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للایجاز موقعٌ
يحمد ولا حالٌ تعتمد . والایجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الایجاز فيه عيباً ولا عرفه الا بلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . والذي لا بد له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصبحُ بجانيبه نهاراً
وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة
وبلاغة الغريزة ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولا شيء أذهب بقاء
الكلام وطلوته وروثه منها ولا يحسن معها الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الایجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة؟ فقال وضوح الدلالة وامتياز الفرصة وحسن الاشارة .
 وقيل لاخر ما البلاغة؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
 وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
 عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجوة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صيفي
 أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه فنما ما يكون شعراً
 ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من
 هذه الأحوال فالوحي فيها والاشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز البلاغة . وتأويل
 هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير . وقال جعفر بن يحيى :
 البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويحلى على مغزك ولا تستعين عليه بطول
 الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
 غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من
 حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجوة وحسن الاستعارة .
 وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفعلة في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
 إيضاح المتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات .
 ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاح عن حكمة
 مستقلة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير
 عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق
 وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
 لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
 الثابت المكشوف بنادى على نفسه بالصحة ولا يجوز الى التكلف لتصحيحه
 حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
 بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعارض ليخفى موضع

الاساءة ويفمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر بيفيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومٌ الايجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - لكتابنا: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الايجاز كافياً كان التطويل عيأ وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لاعرابي ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابي فهو بليغ .

(جمل من بلاغات العجم)

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بِلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، وبذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولَدِكِ مَنْ دَمِي عَقِيكَ » ^(١) وقول الفرس « هرك تراد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كَشَنَدِ مِيدِ » مثل قول العربي « من يسمع يَحُلْ » سواءٌ في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أُصِيدُ بَرَكَةَ خَوْرَدِ » ^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول »

- (١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعربد عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابها أمه بهذا المثل .
(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سأته عن صحة ذلك .

خير من المأكول « ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك
فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حرُوفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في
معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضاءها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد
وهو قولهم « به شاه آشناء نرود هم دوره » والعرب تقول «جاور بجزاً أو ملكاً» .
وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة
تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمول استكثف
النقص ، يحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور :
الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسما رفقها
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعني العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه :
السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم :
أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب
قربن الثبوت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجهر : طاملوا أحرار الناس بمحض
المودة وطاملوا العامة بالرغبة والرغبة وسوسو السفلة بالخافة والهيبة . وقريب
من ذلك قول بعضهم : السكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أظف .
وقال بعضهم : ينبغي للو إلى أن يتفقد أمور رعيته فيسدفأفة أحرارها ويقمع طغيان
سفلتها فأنما يصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس :
أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يحنده
رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ،
وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية
في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودي :

والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لانفسشوا قليلا فتنغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحنوا مروءة

منكم سيفه حتى يشهد عقله . وأظن المتنبى ألم بهذا فقال :
 الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثاني
 وقال لكاتبه : اذا فكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تستعن بالغمضول
 فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجينة فى المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربى : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له فى المعانى اطالةً وفى الالفاظ
 تقصيراً . يبحث على الایجاز . وقال له إذا أمرت فاحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبى تمام :

يقول فيسمع ويمشى ^(١) فيسرع ويضرب فى ذات الآله فيوجع
 وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذلت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالأسى لم يخل قلبه من الأسى .
 وقال بعضهم : الحقوق أربعة حق لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 واكرام أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تهديها بما يصاحبها ويصحها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحق الناس وقضاؤه عمومهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحق السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفى عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدو وعمارة بلد وسد ثغرى . وقال بزرجهر : لا ينبغى للماقل أن
 يجزع من حط السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحجة يسير واقارره بها عسير .
 وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

(١) فى ديوان أبى تمام المطبوع « ويمضى فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقيح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال السكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّعْمُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جِلَّةَ حَبِيسُ الْمِيزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرْتَمُ
لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَمِلْتُ لِسِرِّي جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا عِلْمُ

وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة يتعمم
وقلت : أو اصلُ الهمِّ في ضيقٍ وفي سعةٍ كأنَّ يميني وبينَ الهمِّ أرحاما
إن إمرأاً عظمت في الناس همته رأى السرورَ جوى والوفرا عداما
وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يعنى وليس لعمِّ العارفينَ مفرج
وروى الحسنُ البصرى حزيناً فليل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتفم سره .
وقال بعضُ أهل الهند : ليس شئ . أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغي الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجمل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بهذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وما سبق البريد خبره؟ قال عرفت ذلك يوم ولد. فمجبب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفرزها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدابليها. وقال سقراط اللذة خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي ما نيدس فقال الويح لي قد ضاع مسنٌ عقلي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الأعرابي * وقلة ما قررت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كعب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكاً فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ يبتعداد يزاحمنا على البراذين أمثال البراذين

وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم اثماً دميماً:

ان كنتَ ترتادُ منظرًا عجباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السُّطبيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذُمَّ دهرًا بفيضٍ أنعمه على اللثيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرة وأنته فوقَ مُتونِ السوابحِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمانًا ماذا رأى في تجنّبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين لاسكندر أخلاقك تجمل العدو صديقاً وأحكامك تجمل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بهدم مثلك فيما يكون. وقال بعضُ حكمائهم لتكبر: وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرع في جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يبصر الانسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - يخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجة إلى المودة والمودة مُستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسهما . وقولهم أصاب
مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفو زكاةُ الجاهل . وقولهم راحي البخيل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قریش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعوتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبية صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلغ . وقولهم لا ينفعك من جارسوء توقي . وقولهم سرّك من دمك . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل السكّاب على قلبه . ومن الصدق الذي لا ارياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ما روى ان بنى أمية
وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام
رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا ما لا تنكر وجئناك من
بعد ومنتُّ من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهلُه ، فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قومي . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشي فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ
الْعَبْرَةِ) وقالوا الفكرة مُخُّ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا
المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الحُلولُ دفن الحى . وقلتُ السخاءُ سُلْمُ الحمد .
وقلتُ المراءُ ينقضُ مرَّ المودَّةِ والتواني يُشعِرُ الندامةَ والسكلُ يُنتجُ الفقر .
وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتابُ مُقَدِّمَةٌ
السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلُّ لا يَفُكُه إلا شكرٌ أو مُكافأةُ ، وقلتُ
العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذلُّ رَسِيلُ الدِّينِ والشكرُ ضامنُ المزيّدِ والغنى
مظنةُ البطر . وقال آخرُ الحظُّ طرفُ الضمير . وقلتُ الشكرُ مر تبطُ النعم . وقال
آخر من جرى في عنانِ أمه عَشْرُ بأجله . وقال الأعمالُ ثمارُ النيات . وقيل
التواضعُ سُلْمُ الشرف . وقلتُ المالُ عدوُّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة .
وقال الاحنفُ الأدبُ عُروَةُ العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرَفها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريعةُ الفوتِ وبطيئةُ العود .
وقال نرَّعُ خرقُ الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدعُ ونجمعُ منها ما لا يجتمعُ .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُشَيْتُهُ تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقراب أ كيس ^(٢) . وعزى اعرابيُّ رجلاً فقال لأراك الله بمد هذه المصيبة ما ينسبكها . وعزى شبيبُ بن شيبَةَ ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممن أنت قال ممن ودنى . وقال البلاغة البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فنزل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقيون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادُّ الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسروننا ويسرونهم منا أكثر مما يسرونهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجله فقصط دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أ كيس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز: قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر
عنك . وقال أعرابي لمعاوية هزرتُ ذوائب الرجال اليك إذ لم أجدُ معمولاَ إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم الجاهل بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفسُ مستبطنة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيتُ أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يارب عندي لكُ حقوقٌ فهمها لي وللناس عندي حقوقٌ فتحملها عنى ولي عندهم
حقوقٌ فقيضها لي وأناضيفك اليوم فاجعل قرأى الجنة . وذكر بعضهم رُجلا
فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليل ولا يُسخطه الكثير .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التمجيدُ ومن عادة العارفين أن يتدثروا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يُقدمونهُ أمام طلابها كما بُدئ بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمدُ بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل لهُ حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لآلِائه قوة الحجية بفضل الادالة حمداً
بؤدَى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمر
والزيادة به وعلى يديه والأيدي الصائلة على عدوّه بمننه ولطفه . فأخذ ابنُ دُرَيْد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضا
ويجبر من سخطة انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله
ذى المنن والطَّوْل والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومُعلية وقامع الباطل
ومُردية ومُعر الدين ومُديله ومُذل الكفر ومُذيله ^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانه .

في طاعته والمحل عُقوبَتَه بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر
 وبخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يعيه
 المُعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الانتقال الغنى المُفتقر
 إليه القويُّ المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُؤازر ومضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وَعَدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدَّه » .
 وكتبتُ : الحمد لله الذي وفر على الأتنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للاختيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتنت أغصانها وتهدأت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أظافها فكأنها أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أَيَا مَنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ
 بما منح من مُحسن رأيك أطال الله في كنف السلامة بقاءك وحجب عن
 عيون الغير نعماءك وخوِّلك من العزِّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمَّته
 كما قاد اليك الفضل بأزمته ولا زال بك الزمان جديد الحُسلتين مُطرز الطرتين
 مُتَوَجِّح المفرق بما برك حالي الجيد بمفاخرك ولا سلبك نعمة ألبسك جهاها ولا نزع
 عنك عارفةً وفر عليك كماها :

رأيت مُجمالَ الدهرِ فيكَ مُجَدِّدًا فكن باقياً حتى تَرَى الدهرَ فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما لزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطوَّل به من البرِّ وما أوزع (١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبتُ : الحمد لله الذي قبض لك السبق إلى البرِّ والفوز بالمكرمة البكر

(١) أوزع : أي ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبا بنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

(ومن جيد الأدعية)

ما كتب الصاحب أبو القاسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة متصلة المادة حافظة لجليل العادة مؤذنة بظاهر العز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه سادتي
الفتيان قد اقتنى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالي أباه وجدّه وجعل
سيدنا آخذاً من كل ماعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابي الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالمًا فأنزًا غانمًا مسرورًا محبوبًا محروسًا موفورًا محتومًا له يبلوغ الآمال
مطروفًا عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محمى الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلمًا غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتتة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلاءة تذب عن ودائع مننه عندك وزاد في
نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :
دارت على فتية ذلّ الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا
وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بآفك الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزيد وراءها . وقريب منه قول البحترى :

(١) في الأصل (عنه) . (٢) في الاصل (على) .

تمرت أباسحق ماصح العُمرُ ولا زال معموراً بأيامك الدهرُ
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمورةً بِمُرك ياخيرَ مُمَّارها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :
من يسأل الله أن يُبقي سراتكمُ فانما رام أن يستبق الكرام
وقول المتنبي :

أعيذك من صروف دهركمُ فانهُ بالكرام مُتهم
قلت : فلا زالت الأقدارُ دون محاكم سواقط والمكروه عندكم (١) مقصراً
وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل مخذوف في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالي على هواك مُساعفة تتلقات
بأوفر الجبور وتظلم عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحسوب وتتقاس
عنك بالمخذور المرهوب ومحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل
والقهاء (٢) . وكتب ابن المعتز آخرتى العلة عن الوزير أيدهُ الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب عنى ويعبر ما خلته العوائق منى أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له
ويتقبل ما تتوسل به الى مرضاته ويضاعف الاحسان اليه على الاحسان منه ويمتعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود
الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ما قبله مقصراً عما (٣) بعده .

وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح
لك وأجزل من انخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك .

وكتب الى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافد السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القهاء : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنالك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجميل
الدولة ببقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القاسم : والله يديم
مولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعرفه الميامن
في ارتحال وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغسل الى علي بن عيسى : وهنأ الله الوزير
مأناه وجعله أمين أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفأخراً وأسلمه
ملاً وطاقةً وأطولها أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً ^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير ^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمة
في حال كونها ونعمة ترجى مستقبلها ونعمة تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

(المديح)

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وإدراك الأماني وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياسة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر بتجددك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمسكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) عند مؤمليه لسكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أبك فانه كان يقري العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عي اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب الصاحب : وايس بيدع أن يوجد كلامه وتعتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسع جناحه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مواصله وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاوله وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم ونقص عن سيرهم وآثارهم حاضر محاضرة الافراد وكأثر مكثرة الآحاد وإن جورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدري أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جديلاً المحكك وعذيقها المرجب وقد سلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاديه .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجل وتجير مااعتل وتكثر ماقل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من ولاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمسكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدييره دون إرشاده وتسديده والله يعزه ويزيده فى تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فاما الذم والتهجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالتمنى ويتموسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدبار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : نزلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندم وارحل بدم . وقال أعرابي : أولئك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلبأسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُدْ نَسْ شعرك بعرض فلان فإنه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشقت على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فإنه وكلةٌ تكلة يأكل خله . وكلةٌ وتكلة بمعنى واحد وهو الذى يتكلم فى الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء فى تكلة واوكما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس فى اللؤم شىء من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يُشيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طعمه وشربه يُشيرها يطلبُ تحيتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظيماً لقد حدثت نفسك بالمحال

﴿ فى الشكر (١) ﴾

وكتب ابن المعتز فى الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود فى النسخ .

عن عجزى بعد جهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورافته ، وهذا من قول
 طريح بن اسمعيل . فقصرت مغلوباً وإني لسا كره . وكتب آخر : إذا كان
 مجهودى فى شكر النعمة واعتراىى بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين
 وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى
 نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبى نجى
 ذكرك ولسانى خادم شكرى . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
 أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عرَضه
 فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان فى رجائك وتأملك ولسانه
 فكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفض المَكاسبَ واغتندى يتعلم الآدابَ حتى أحكما
 فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ من حرٍّ ماحك الضميرُ ونظما
 مُتَشاعلاً عما يُمارسُ غيرُهُ حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
 ثقةً برعى الأكرمين ذمامهُ لا حقٌ مُلتمسٍ بأن لا يُجرماً

وكتبت : وتأملتُ التوقيع فى معنى المبيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
 بصدق مخيلته وعرفتُ ان الدهر قد غضت جفونهُ ونامت عيونهُ وتنهجت عن
 ساحتى خطوبهُ وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم فى إداء شكرها بل عسى
 أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
 وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
 وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضة
 والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
 عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
 ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
 أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

بضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البرِّ والعقوق .
 وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاعخبار
 بما وهب الله للامام والامة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لأني جهلتُ
 الحق على لك ولا لأني ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاظي
 منه كالخبر عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبيه على الأمر الواضح
 الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت
 الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا انا ان أردنا استيعاباً به
 لم نقدر عليه لكثرة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلَّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
 وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسانٍ وبهيمةٍ وجانٍ وطائرٍ يمسخ صفحات
 التراب ويأخذ باهاب السحاب وحش ينطوي على أدراجه ويستوى مرة في اعوجاجه
 إلى غير ذلك من خِلقٍ مُختلفةٍ وأجرامٍ متباينةٍ حقيرٌها جليلٌ وصغيرٌها كبيرٌ
 وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثيرٍ ممن خلق
 تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات

وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجري مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا حتى بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضته .
 لا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ماجاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي ذؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما ساؤه فرأيا وأما أرضه فمحول

سأؤه : أطالیه ، وأرضه : أمافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ما قيل في اصطفاغ الخيل قول الاسعري^(١) :

يخرج من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور ألقى فاصطلي^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فإنه يمد أصابعه إلى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن يُبادِرُ الغارة فليس يفوت بعضها بمضاً . أخذته على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَيْمَانِ غَمْرَتِهَا أَرْسَالَ قَطْرِ تَهَا مِي فَوْقَ أَرْسَالِ
يَخْرُجْنَ مِنْ غَمْرَاتِ النَّقْعِ سَامِيَةً نَشْرَ الْأُنَامِلِ مِنْ ذِي الْقَرَّةِ الصَّالِيِ
وَالْأُولَى أَجُودَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ * * مَسْتَوِيَاتِ كَضُلُوعِ الْجَنْبِ *
وَفِي وَصْفٍ وَقَعَ قَوَائِمُهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمِ الْهَمْدَانِيِّ :

وَتَهْدَى بِي الْخَيْلُ الْمَغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا صَبْرَتْ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِسْتِعَارَةِ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَثَرَتْ أَحَدِي يَدِيهِ بِشُبْرَةٍ ^(١) تَجَاوَبَ أَيْمَانُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَاعَا
وَكَانَ الْإِحْسَنُ أَنْ لَا يَصْفَهَا بِالْعَثَارِ إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ * تَجَاوَبَ أَيْمَانُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَاعَا *
مُسْتَعَارٌ حَسَنٌ يَعْنِي عَلَى إِسَاءَتِهِ فِي وَصْفِهِ إِيَابَهُ بِالْعَثَارِ ، وَدَعْدَعٌ مِثْلُ قَوْلِهِمْ «لَعَا» وَهُوَ دَعَاءُ
لِلْعَائِرِ بِالْحَيَاةِ . وَأَهْدَى بِمَضْمُونِهِ شَهْرِيًّا ^(٢) وَكَتَبَ : بَعَثْتُ بِشَهْرِي حَسَنَ الْمَجْمُوعَيْنِ
الْمَوْضُوعِ وَطَىءَ الْمَرْفُوعِ هُمَا أَمَامَهُ وَسُوطُهُ لِحَامُهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :
وَخَيْلٌ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا أَنْأَيْبُ سَمَرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ زَبَلٌ
صَبِينَا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلٌ
فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ ضَرَبُوهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْنَعُ شَيْئًا مِنْ مَطْلُوبِ سِيرِهَا فَكَانُوا ظَالِمِينَ
لَهَا . وَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا * أَضْبِعُ شَيْءٌ سُوطَهُ إِذَا تَرَكَبَهُ *
وَقَالُوا أَحْسَنَ بَدِيتَ قَالَتَهُ الْعَرَبُ قَوْلُ جَرِيرِ :

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطُونِهَا طَلَى التَّجَارِ بِحَضْرَمُوتِ بُرُودَا
وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ الْقَوْلَ فِي سُرْعَةِ الْفَرَسِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ مِنْ لَهَا نَحْنُ حَوِينَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تَرَسَلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

(١) الثبيرة : الكوم من التراب . (٢) الشهيرة بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * ردى، لأنه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبدة بن الطيب في الثور :
ينخى الترابَ بأظلافِ ثمانيةٍ في أربعِ مَسَّهنَّ الأرضَ تحليلُ
يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحائف يمينه بالتحلة لانه لا تراخي بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كَأَنَّ جَنَانَ الفِلاةِ تَضْرِبُهُ كَأَنَّ مَا يَهْرَبُ مِنْهُ بِطَابِهِ

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأنها يرفعن مالا يوضع * ومن عجيب ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة الرَّمح . ويستحبُّ في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في ذلك قول علي بن جبلة :

تَحْسِبُهُ أَقْعِدَ في اسْتِقْبَالِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ أَكْبَّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتَ لِأَنْتَ لَهَا أَوْاقِلْتَ قَلْتَ مَالَهَا كَفَلْتُ

وقلت : طَرَفَ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قَلْتَ حَبَا حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ كَبَا

ذُو أَرْبَعٍ يَلْقَى الصِّفَا بِمِثْلِهَا وَلِلْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَثَبَ دَبَا

إِذَا تَرَامَيْنَ بِهِ فِي سَيْرِهِ تَحْسِبُهُ مِنْهَا عَلَى أَنْفِ الصَّبَا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حِرْزٌ

وَبَطُونُها كَنْزٌ » وقال الأشعرُ الجمعي في معنى قول النبي ﷺ « ظُهورُها حِرْزٌ :

ولقد علمتُ على توقِّي الرَدَى أَنْ الحِصُونَ الخَيْلَ لِامْدِرِ القَرَى

ومن أجود ما وصف به **حُضْرُ** ^(١) الفرس قول الاعرابي في فرسه
« يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :

على هيكل يعطيك قبل **سؤاله** أفانين جري غير كزٍ ولاوان
قوله « قبل سؤاله » عجب الموقع ، وقوله « أفانين جري » أعجب وأبلغ .
وأجود ما وصف به ظفره عند الطالب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل
فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له بناها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :

إذا ما ولدنا قالَ ولدانُ أهلنا تعالوا الى أن يأتي الصيد نخطبُ
وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :

وأرى الوحشَ في يميني إذا ما كان يوماً عنانهُ في شمالي
ونقله الشماخ بن ضرار ^(٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلادِ غيرِ قوسٍ وأسهمٍ كأنَّ الذي يرمى من الوحش نازرُ
أي جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :

بأكلبٍ تمرحُ في قاداتها تُعدُّ غيرَ الوحشِ في أقواتها
وهو من قول أبي النجم * تعد غابات اللوى من مالها * وقوله :

يردى على حوافرٍ لا تُخذله صم الشوى يحملها وتحمله
حافٍ وما يحفى وماتنمَّله نار عجاج مستطيل قسطله
تنقش منه الخيل مالا تعزله في جنبه الطائر ديث عجله
كأنَّ ترابَ القاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رفتهُ شمَّاله

(١) الحضْر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من الحضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لييد .

أَوْخَلَقَ مِنْهُ يَنْشَقُّ عَنْهُ سَمَلَهُ تَرَى الْفِئَامَ سَاجِيًا لَا يَرُكَلُهُ
 يَعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَا يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَيْلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
 وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَيْلِ سَمْعَةَ الْمَنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاحِمِ بْنِ
 طَفِيلِ الْعُقَيْلِيِّ * مَنْ مَنَخَرَ كَوْجَارَ الثُّعْلَبِ الْخَرْبِ * فَجَعَلَهُ خَرْبًا لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءُ الْحَزَامِينِ وَمِلءُ الْعَيْنِ يَنْفَسُ عِنْدَ الرَّبْوِ مَنخَرِينَ

كَنْفَشِ كَيْرِينَ بِكَفَى قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضًا
 * كَأَنَّ هَادِيَهُ جَذَعَ عَلَى شَرَفٍ * فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جِذْمًا حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
 كَصَنِيعِ الْخُنْسَاءِ فِي قَوْلِهَا * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَقَلَّتْ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجٍ وَمَزْرُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْتِمَارِ

يُرْيِكُ جَبِينَهُ لِمَعَانَ بَرَقٍ وَسَائِرُ جِسْمِهِ لِمَعَانَ قَارِ

فِي شَبْهِهِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ

وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوِّ وَيُدْبِرُ حِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ

وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْفِغْدَنِ الْمَعْلِيِّ وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالْمَسْدِ الْمَغَارِ

يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عِذَارِ

وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَ فَقَالَ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فِخَاضَ فِي أَحْشَاءِهِ

إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبَ الْجَبِينِ

لَا يَسْمَى لَطْمًا وَالْقِصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقِصَاصُ بِاللَّطْمِ اللَّطْمُ لَا الْخَوْضُ

فِي الْإِحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ

وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَّاحِمٍ :

قد راحَ نَحْتِ الصَّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ لو راحَ في السَّرجِ المَحلى الأَدَمُ
 ضحكُ اللبَّيْنِ عَلى سَودِ أَدِيمِهِ وكذا الظلامُ تنيرُ فيه الأَنجُمُ
 فَكَأَنَّهُ بِناتِ نَعشِ مُلَبِّبٌ وكأَنما هو بالثَريا مُلجَمُ
 وقلت: عارضتُ فيه النَجْمَ فوَقَّ مُطَهَمُ يهوى لطيئته هُوى الأَعقبِ
 ذارَى العَسيبِ قَصرَهُ ضافى السَيبِ طويلُهُ صافى الأَدِيمِ مَحَببِ
 كالنورِ بَينَ العَشبِ بِبَهْرٍ حَسنُهُ بَينَ الجِياذِ إذا بَدَأَ في مَوكبِ
 وَطَيرٌ أربَعُهُ بِهٍ في أَبطَحِ فَكَأَنَّهُ من طولها في مَرقبِ
 صَمِ الحَوافِرِ شَربِ صَمِ الصَفا منها الأهلَةُ في الصَفا وَالصَلبِ
 وَكَأَنَّ غَرتَهُ نَفَضَ وَجِهُ وَالنَقْعُ بِذَهبِهِ وَإِن لَمْ يَذْهَبِ
 وَكَأَنَّ في أَكفالهِ وَتَليلِهِ غَسَقُ النَجْمِ فَتَسْتَطِيلُ وَتَرتِبي
 وَكَأَنما الأَرساغُ ماءٌ لَمْ يَسَلِ وَالجِسمُ كَأَسُ مَدامَةٍ لَمْ يَقْطَبِ
 لَمْ يُطَلَبِ إِلا يَفوتُ وَيَطَلَبِ إِلا يَفوزُ فَلَمْ يَحْبِ في مَطابِ
 وَالعاصِفاتُ حَسيرةٌ وَالبارِقا تُأسِرةٌ في شَدةِ المَتلَهِبِ
 وَكَأَنما يَحوى مَدارُ حَزامِهِ احناءَ بَيتِ البَراءِ مَطنِبِ
 وأول من شبه الحافر بالحجارة الأَفوه في قولهِ * يرمى الجلاميد بأمثالها *
 ثم قال رُوْبَةُ * يرمى الجلاميد بجلود مدق * وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الأشناداني عن الجرهمي:
 سَيانَ نَحْتِ طَموهِ وَطَمورِهِ أَمَّ الفِلاِ وَمَقابِلِ الوَلدانِ
 بَطَأَ الخِبارِ فِلا يَطيرُ غِبارَهُ وَيَرضُ حَافِرَهُ حَصى الحِزَّانِ
 يقول سواء عنده إذا طما في سيره أى ارتفع وإذا طمر أى وثب، الأَمُّ
 وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبوا خبيثاً فمن أخرجه
 فقد غلب، والخبار الأرض السهلة، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهي الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
 جرير * ضرم الرقاق مناكل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
 الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
 لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر . شادخة تشدخ من أدلاها .
 يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذي لاشبيهه قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمر قادح رفعت قوائمه غمامة قسطل

ومحجّل غر اليمين كأنه متبختر يمشى بكم مسبل

وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأوله في منعه الخطو آخره

وقد قطعت من لونها الشمس غرة له وججولاً ثم كالظل سائره

وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف

إذا تقرط يوماً بالعذار غدا كأنه عادة في أذنها شنف

وقلت : إذا تحلى بالعذار ومشى قلت فناة تتصدى لفتى

كأنه تحت الحلى روضة درّ عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي ذؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق

كأنى إذا عاليت حوزة منته تعلق برى عند بيض أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ؛ فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم الغدو والرواح نخاله يمشى على أرماع

وأخبرنا أبو القسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل

من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقعد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نفس وان حر كته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أعدو وتحتي طرف^١ لاحق^٢ بالمهاديات^٣ طمر

طوى الشحم على متنيه مثل ما يطوى القباطى تجر
فهو نار^٤ والتراب^٥ دخان^٦ مستطير^٧ وحصى الأرض جمر^٨

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق^٩ أحكمتهن^{١٠} المضامير

مكنفات بأذان^{١١} نواصيها كما يشق^{١٢} عن الطلع الكوافير

تنزوا كراتهم^{١٣} في كل^{١٤} معترك كما يطير^{١٥} من الذعر^{١٦} العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

في الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب^{١٧} بين لحبيه يذهب * ومن مליح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة^{١٨} شمها واسترطا

وإذا سار رمى^{١٩} يده والتقطا

وكأن ملجمه^{٢٠} يفتحان سفظا

وقال : وغدونا بأعنة خيل^{٢١} تأخذ^{٢٢} الأرض بأيدى عجال

زينتها غر^{٢٣} ضاحكات^{٢٤} كبذور^{٢٥} في وجوه^{٢٦} الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب^{٢٧} بيض دون صافيه الى التعريض

وقال العماني الراجز :

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطن منه أكلبا بيضاً صفاراً ينتهشن المنقبا
وتبعه الحماني فقال :

وليل مثل خافية الغراب عي مذهب وخفي باب
دلفت له بأسود مستمر كما نظر الغضاب إلى الغضاب
أجش كأنما قابلت منه تبسق جلة وحريق غاب
تراه كأن عينك لا تراه إذا وصل الوئاب إلى الوئاب
كأن لدي مغابنه التماعا بهادس عنده مبع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذ كر قوائمه ثم قال :

بخالس بينها رفعا ووضعاً كما خفت بنائك بالحساب

ومن أحسن ما قيل في الحصى الذى يترامى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرىء القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته (١) رجاها خذف أعسرا

وجعلها أعسر لذهابها على غير استواء ، أخذها ابن المعتز فقال وغير لفظه وآتى بمعناه :

يقذف بالرجل حصى الطريق كأنه رام بلا تحقيق

وقال : ينقى خفاف الحصى والنقع منتشر كأنها خلف رجليه الزناير

وقد أجاد السكيت فى قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوب

فجعلها لكثرتها تتلاقى فى الهواء ، وزاد فى ذلك على الممرق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاء بين فروجها بوادى نوى رضخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز فى قوله * يرضخ ما يرضخ مالا يرضخ (٢) * يقول إذا

وتأ الحصى نبت من تحت سنبك فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكان رضخه

أى رمحه والرضخ الرمح . وبشبهه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء

القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذها ابن المعتز فقال :

(١) النجل : الرمى كما هو ظاهر . (٢) فى الاصل (يرضخ) فى مواضع .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينفى الحصى بحافرٍ كالقمدح المكبوب
 قد ضحكت غرْمته عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافرٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلقٍ أحلقٍ
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال إن الحوافر لا تحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك أنها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 الحديثين للخيل وأكثروا إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلمعه جوانب غرة جاءت بحجى البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عرفه فكأنها عذباتُ أثيلٍ مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكان فارسه وراء قذاله ردفٌ فلست تراه من قدمه
 لانت معاطفه فخيّل انه للخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان صهته إذا استعلى بها رعدٌ يقمع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قواه
 والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيم محجّل قدرُحتُ منه على أغرِّ محجّل

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذافي الديوان ، وفى الأصل (جلبابه) .

كلهيكل المبني إلا أنه
 ذنبٌ كاسحب الرداء يذبُّ عن
 جذلانٌ ينفضُ عذرةً في غرةٍ
 تسوهمُ الجوزاءُ في أرساغه
 وتراهُ يسطمُ في الغبار لهيبه
 هزج الصهيل كأبٍ في نغماته
 ملك العيون فان بدا أعطينه
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :
 عجباً لشمسٍ أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيتُه
 وقال ابن المعتز :

تحملي طرفه صادرةً وارده
 ترضيك في يومها وهي غداً زائده
 ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نجيمة :

لما رأيتُ الدينَ ديناً يُؤفكُ وأمست القبةً لانتمسك
 تُفتقُ من أعراضها وتهتكُ سرت من الباب فسارت ذكرك
 منها الدجوجيُّ ومنها الارمكُ كالليل إلا أنها تحركُ

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتنيها وأنت على غير وضوء ، قوله

كالليل ألا إنها تحركُ . استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرةً وجهه كهنقود كريم بين غصنين نوراً
 وردفاً كظهير الترس أسبل خلفه عسيباً كميص الطود لما تحدرأ
 ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهد^(١) الليل بفتيان غرر على جياذ كتمانيل الصور
 كأنما خيطوا عليها بالابر أو سمر الفارس فيها فانسمر
 وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكتابه أناثم
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ماطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما ألدّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأس تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخل اليها
 والهأ وتخرج عنها هاربا ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذي اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا سهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام أنف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفا قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقو ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفي دينار .

وقيل لاعرابي أتعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا اتضّب
 اتلابّ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكنى .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استديرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .
 ووصف رجل من العرب خيلا فقال : إنها خليقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجبت رحاب المناخر صلاب الحوافر وقمها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فأت

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والمسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض الباب والحجبة والخذ ، منيف الجوانح
والقدال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن منادر في وصف فرس :

وإذا أعرَضَ قطريه لنا وفيا واستوفيا قَدَّأً بَقْدَ
فهو كالتدح أقامت دراهُ كَفُّ باريه فما فيه أوَدَّ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي التميمص جيد الفصوص وثيق القصب

نقى المصعب يبيع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الضباء في الاستواء ان حر كته طار وإن
زجرته حار وإن طرحته عَنَّانُهُ سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً
أمعن وإن فقدته ضمن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب اليه :
قد بعثت اليك ببرذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدِ أَمْسَى حَمَارِي لَهُ مَرَجٌ وَوَيْسَ لَهُ لُجَامُ
كَمَثَلِ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلِيٌّ وَوَيْسَ لَهَا نِظَامُ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها
أطرف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمْشِينَ زَهُوًّا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرِّيحُ سَاكِنَةٌ وَالظَّلُّ مُعْتَدِلٌ
قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا
من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ما قيل في صفة هاجرة .

ومن مליح ما قيل في ضمير الناقاة قول ابن الخطيم :

وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضِينَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسِ جَالٍ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ

وَيُسَبِّهُ الزَّمَامَ بِالْحِيَةِ فَمِنْ أَوَّلِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يُعَالِجُ مِثْنِي حَضْرَمِي كَأَنَّه حَبَابٌ نَقَا يَتْلُوهُ مَرَّ تَجَلُّ يَرْمِي

وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

رَجِيمَةٌ ^(٢) أَسْفَارُ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى يَسْرَى الذَّرَاعِينَ مَطْرَقٌ

وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْإِعْتِنَاقِ مِنْهَا الْإِفَاعِيَا »

من أجود ما قيل في ضمير الأبل قول الفرزدق :

إِذَا مَا أَنْيَخْتُ قَابِلَتٌ عَنْ ظَهْرِهَا حِرَاجِيحٌ أَمْثَالُ الْإِهْلَةِ شَسْفٌ

شَبَّهَا بِالْإِهْلَةِ لَضَمْرِهَا وَاحِدٌ بِدَائِمِهَا . وَتُسَبِّهُ بِالْقَسِيِّ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي

ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَخِدَانِ الْقَلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بِلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ

بِتَرْقُوقِنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضَّنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْمِمْ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَادِ

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَلَائِ

(١) الوضين كالحزام . (٢) أي معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .

(٤) كذا في ديوان البحتري ، والذي في الأصل « وحذاق القلاص » .

(٥) كذا في ديوان البحتري ، والذي في الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا ضمرَّ يرْعَن بالمشاح من جذب البرى
يرُسَبِن في بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون في الآل^(١) إذا آل طفا
ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذى الرمة :

كأنما عينها منها وقد ضمرت^٢ وضمها السير في بعض الاضى ميم^٣
فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد
قصر بنى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
فراه ترك في الخط لأمأ فقال له ذو الرمة أ كتب لأمأ فقال حماد وانك لتكتب قال
لا أكتبم عليك فانه كان يأتي باديتنا خطا فعملنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
الليالى المقمرة فاستحسنها فثبتت في قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زى اعرابى فأنشده :

دِمن^٤ ألم بها فقال سلام^٥ كم حلَّ عُقدة صبره الامام^٦
فجعل المأمون^٧ يتمجب^٨ من غريب ما يأتى به من المعانى ويقول ليس هذا
من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

هُنَّ الحامُ فان كسرت عِيافةً من حائهنَّ فانهنَّ حِمام^٩
فقال المأمون^{١٠} الله أكبر^{١١} كنت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
وكنت حسبتك بدويا ثم تأملت معانى شعرك فاذا هى معانى الحضريين واذا أنت
منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى فى وصف الناقة :

ولقد تجوب^{١٢} بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العُفر^(٣)
شدنية^(٤) رعت الحمي فأتت ملء^(٤) الجبال كأنها قصر

(١) فى الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنثرة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدنُّ لا قضي حاجة المتلوم
إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذة^(١) فتقول رنق فوقها نسراً
أما إذا وضعته عارضة فتقول أسبل خلفها^(٢) ستر

أخذهم من قول أبي دواد : قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي

دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

ونسفٌ أحياناً فتحسبها مسترسماً يقتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادير ملطم حر
وكانها مصغ لتسبغه بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألعن يقصرن من نجب محلّسة ومن عراب ببيدات من الحادي

أى يسبقن الحادي فيعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطى وراءها فكانها صفٌ تقدمهن وهي أمام

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهمه رمى بها هم إذا نام الوري سرى بها

فهي أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها

ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تاقي الغلاة بخف لا يقر لها كأن مسقطه في تربها طبق

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظها :

كأنا عند نهضته رفعتنا خباءً فوق أطراف الرياح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامذة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أنف بشاهق لم يُجبال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مُتبتل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأسود في دهاس أهيل
ويشد حاديا بجبل كامل كسبيب نخل خوصه لم يُنجبل
وقال أيضاً :

كان المطايا إذ غدون بسحره تركن أفاحيص القطا في المبارك
ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :
لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :
خوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قدام أيديها
وذکر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً
سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

نخال آخره في الشد أو له وفيه عدو وراء السبق مذخور
وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان
كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حبسان
وقال آخر :

كان يد يها حين يجري صفورها طريدان والرجلان طالبتا وتر
ومن بليغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها سباح قفر كأنه يخاف لحاقاً أو يبادر أولاً
توارته الأيخاف حتى كأنه ليس ضنى أعيا الطيب المعدلاً

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج (١)
 كأن أيديهن بالقاع القرقُ أيدى العذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص (٢) في قوله :

وإبل يركبُ الركبا ن في أمواجه الخضر
 توكلتُ على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الربيع في المهمة القفر
 شمائل يصاخن مُتون الصخر بالصخر
 بإجاف يقدُّ الليل عن ناصية الفجر

وقلت : لنا هجماتُ تنثنى سرواتها بأسنةٍ مثل الاكام سوامق
 خبطنَ الربيع وانفسنَ نباته كمامرت الاجلامُ فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعدُ نجىء على آثارِ جون بوارق
 تدورُ بأحقبها البروقُ وتنثنى كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العينِ خضتُ ظلامهُ بأزرقَ لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يمترف السير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى (٣) أمثاله عن السرى وساعده ميعه تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعي :

في مهمه قلقت بها هاماتها قَلَقَ الفؤوس إذا أَرَدَنَ نصولا

(١) كان عارفاً باللغة وحشياً وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها
حسبتها غيرى استغز عقلها
أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيرى تخاصم وتشير
بيديها لا تفتخر . وقلت :

ومهمه ^(١) قلقت فيهار كأنبنا
والليل في قلق تسرى ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه
وُجبت فكان النجم جائبه
بكل ذى ميمة جد الوجيف ^(٢) به
فانهذ غاربه وانضم حاله
وبات ينهب جناح الليل في عجل
كأنه لآعب طابت ملاعبه
حتى بدا الصبح مبيضاً ترائبه
وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإنما النجح في ليل ترادفه
إذا تأوب أوصبح يواكبه
وساهر الليل في الحاجات نائم
وزاهب المال عند المجد كاسبه
وقال أبو تمام :

على كل رواد ^(٣) الملاط تهدمت
عريكته العلياء وانضم حاله
رعته الفياق بعد ما كان حقة
رحاها وماء الروض ينهل ساكبه
وقلت : واستنهنك الى المآثر والعلا
هم نخال زهاؤهن جبالا
أردفت عرائماً فكأما
أردفت مرهفة النصال نصالا
حملتها قلص الركاب كأنها
قلص النعام إذا اتبعن ربالا
مهرية الرى السفاد بنحضا
فتخالها تحت الرحال رحالا
وقال مسلم :

اليك أمين الله رامت بنا السرى
بنات الفياق كل مرت وفد ^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأمرعت
خطاها بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمة : المغازة . (٢) . الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المغازة .

لبسن الدجى حتى نضت* وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بدیعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسى عثونته زبدًا فنصيلاً الى نحره (١)
ثم يعمم الحجاج (٢) به كاعتماد النوف في عشره
ثم تذروه الرياح كما طار قطن الندف عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كل خيشوم كريم الخطم (٣)

وقال الشماخ بن ضرار :

كان ذراعها ذراعا مدلة بعيد الشباب حاولت ان تعذرا
من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعت فراس بن غم أولقيط بن يعمر
بها شرف من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفتى أو منصبي أن أعبرا
كان بذفراها مناديل قارقت أ كف رجال يعصرون الصنوبرا
وقال الراجز : كأنها نائمة ترجع تبكى بشجوى وسواها الموجع

وهو نحو قول الراجز : حسبتها غيرى استغز عقلها . ومثله قول الآخر :

كان ذراعها ذراعا بذية مفجعة لاق حلائل من عفر

سمعن لها واستغرغت من حديثها فلا شىء يفري باليدن كما تفرى

فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد
زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعات تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثونته . (٢) الحجاج :

العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبى نواس (نبيل الخطم) ونفحن :

حركن ، واللغام : الزبد ، والخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطم .

فما صلاتي إذا كان الصلاه بها جمر الفضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحترى :

والعيس تنصل من دجاءه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب
وقال ابن المعتز :

ولم تزل نخبط الفلاة بأخفاف المطايا والظلل معتدل
كأننا طارر تحتنا قزع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

نصنى الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الغصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامسكاء الدر جاءت بمشعب كما سئل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب (١) حسن جدا :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغواسل أموابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كثنانا من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن رجل
وقال : وقت بها عيسى تطير بزجرها
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت
ينخطم الريح بشعبان
وبأمرها وحي الزمام فترقل
يد الخصم حقاً عند آخر يطل
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخب و يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبا^(١) في السير قول بعض العرب :
جاءَ وقد ملَّ ثَوَاءَ البحرينِ يَنْسَلُّ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانَيْنِ
مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفْنِ الْعَيْنِ
وأبلغ ما قيل في غزر الناقة قول أبي حية :

تَدِرُّ لِلْمَصْفُورِ لَوْ مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفَيْلِ لَوْ أَنَاهَا
ومن جيد ما وصف به سعة الاخلاف قول ابن لجأ :
كَأَنَّا نَصَّتُ إِلَى ضُرَّاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلْحِ مُجَوِّفَاتِهَا
وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتِكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطْيَبَةٍ عَلَيْهَا فَتِي كَالنَّصْلِ يُونِسُهُ النَّصْلُ
وقال أبو نواس :

أَيَا حَبْدَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِيِّنِ سَعُومِ
تَرَامِي بِهَا الْإِيجَافُ^(٢) حَتَّى كَأَنَّهَا تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال
سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة :

نُفُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَّتْ بُوَيْزِلُ حَامِ أَوْسَدَيْسٍ كَبَاذِلُ
قال فكلاد صدى بن فرج من جودتها حتى كتبتها . ودرة الأبل مع النعاس
والغمم تدر مع الاحتراس فن أجود ما قيل في ذلك قول جيبها الأشجعي :
رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدَّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنْحَاشَ مِنْ قَاذُورِهِ لَمْ تَنَّا كِرْ
أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة إذا كان يتجنب النساء ويتقي مجامعتهم .
ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ يَرْدُ دُنَّ الْمِيَاهِ إِلَى الْعَشْرِ
يشبهها بالأبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الاصل « حواجبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

ممنًا وإذا شربت في اليوم العاشر التقت في مثله وفي كروشها بقية من الماء .
وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبناها ؟ قال احلب في أي انا .
شدت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال اجمل على
الحائط ماشئت ؛ قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
شيئًا مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئًا مما وصفت قال ما كذبتك
قال فأقنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادي مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على آخراهها
مشى العروس قصرت خطاهها فاصمطت القيعان من رغاها
وانخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والزغا
جمع رغو ، وانخذتنا كلنا طلاها أي لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمها قول أبي ذؤاد :
فاذا أقبلت تقولُ اكلمُ مشرفاتُ فوقَ الأكامِ اكلمُ
وإذا أعرضت تقولُ قصورُ من سماهيج فوقها آطامُ
وإذا ما فجيتهما بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حان منه صرامُ
الغيب ماوارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومهمه فيه السرابُ يلحُ يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا
ثم يظلونَ كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيثُ أصبحوا

وقال رؤبة بن العجاج * يَكلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تسكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
 * ويسبقُ وفد الريح من حيثُ ينتحى * وقال مُسلم بن الوليد :
 تجرى الرياحُ بهامِرضي مولهةً حَسْرَى تَلوُذُ بأطرافِ الجلاميد
 قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست في بيت رُؤبة . ويشبهون استواء الغلاة
 باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه كمثل ظهر الترس *
 وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :

ودو ككف المشتري غير أنه بساطٌ لأخماس المرائيل واسع
 شبهه بكف المشتري لأن كفه الصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يسط
 كفه للصفق . وقلت في نحوه :

وبحر ككف الأكرمين يحفه صعيدٌ كأيدي السائلين مديد
 وقال بعضُ المحدثين :

ودوِّيةٌ مثل السماءِ قطعها مطوقة آفاقها بسائها

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفي حزنًا أني تطاللتُ كي أري ذرَى على دَمخِ فَا يُرِيان
 كأنهما والآلُ يُنجأبُ عنهما من البعدِ عينا بُرُقعِ خَلقان
 وهذا من أغرب ما روي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :
 ألا تيكما أعلامُ بئنةٍ قد بدتُ كأنَّ ذراها عمته سبيب
 طوامس لي من دُونهنَّ عداوةٌ ولي من وراءِ الطامساتِ حبيبُ
 بعيدٌ على كسلانٍ أوذي ملالةٍ وأما على ذى حَاجةٍ فقريب
 والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرى في الاشرار
 والظلُّ مقرونٌ بكلِّ مطية مشى المهارِ الدُّهم بين رماك
 ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

أذا شئت أداني صرومٌ مُشيعٌ معى وعقامٌ تتقى الفحلُ مُمقات
يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس حتى في الأكرع مبيتٌ
أداني : أداني ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مُشيعٌ : شجاعٌ كأن معه أصحاباً
يُشيعونه فهو جرى ، يعنى قلبه ، العقام : التى لا تلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ،
والمقلت : التى لا يبق لها ولدٌ ، وحى في الأكرع مبيتٌ : يعنى ظلاً قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :

وماراعنى بالبين إلا ظمائنٌ دَعَوْنَ بكأنى فاستجابت سواكبه
بدت فى يياض الآل والبعد دونه كَأَسْطَرِ رِقِ أَمْرَضَ انْطَظَ كَاتِبِهِ
ولهم فى وصف الاسفار فى البحار شعرٌ قليلٌ فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
* نعاجٌ يرتمين الى نعاج *
ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقولُ وقد مالتُ بنا نشوةُ الكرى نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل
أنخُ نعطِ انضاء النعاسِ دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الظريفة مُنجلى
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودٍ خلق كأنه والليل يرمى بالغسق
مَشَاجِبٌ وِفْلَقٌ سَقْبٍ وَطَلَقٌ

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِنَّ ، على عود خلق أى
طريق قديم دارس فكأنه يُريدُ كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلق كأنه فى الجلدِ توليعُ البهق
أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عودٌ من عمد

الخباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
 عودٌ على عودٍ قوود للابل يموتُ بالترك ويحيا بالعمل
 عودٌ : يمير ، على عود بمعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطربق يدرس اذا لم
 يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :
 فأصبحنَ بالمومةِ يحملنَ فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العائم
 كأن الكرى سقاهمُ صرخديّةً عُقاراً تمشى فى المطا^(١) والقوائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
 ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدیر ويعجب منه غاية العجب :

كان يديها وقد أرقلت وقد حرن ثم اهتدين السبيلا
 يدا سابح خرّ فى غميرة فادرکه الموتُ إلا قليلا
 وما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :

بدان بنا وابن الليالى كأنه حسامٌ جلا عنه القيون صقيل
 فما زلتُ أقمى كلَّ يوم شبابهُ الى أن أتتك العيسُ وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجرى مع ذلك)
 فن أجود ما قيل فى وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول
 الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسئل ويغمد
 وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) فى وصف ثورين وما يشيران فى عدوهما من الغبار وهو
 يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء مخملة هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملي ، من معاصري جرير

مدح نبى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الفبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

بُرْحَى أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا
وقد أحسن الراعى في وصف الوعل :

يرودُ بها ذبُّ الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل رامج
ذبُّ الرياد أي^(١) الوعل ، ويرود بجي . ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاو من الوحش ناشط تخال قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحاً جاذر رملة تلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إير القرون كأنها أخذ المراد من سحيق الأثمد
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقح ملأته غيره فهو خلفهن كمي
قابض جمعها اليه كما يجتمع أبتامه اليه الوصي
كلما شم لاقحاسي منها رأس فخل برجلها معلى
خارج من ظلال تقع كما مسزق جلباب به الخليج العوى
قد طواها التسويق والشدحتي هي قب كأنهن القسي
هربت في رؤوسهن عيون غائرات كأنهن الركي
وقال أيضاً : كأن آثار أظلاف الظباء به ودع يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ما قيل في الكلب وبلغه قول أبي نواس :

كأن لحية على افتراه^(٢) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مؤهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد الخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابه موسى صناع رُدِّ في نصابه
تراه في الحضرة إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اهايه
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايفال باقية حتى تسكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجها على شياتها شمّ العراقيب مؤفقاتها
مفروشة الأيدي شربنثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أعماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لنمناً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) (٣) في الاصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الأطواقِ ضواحك من سعة الأشداق
 وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تهجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
 * كأنما يعجلن شيئاً لقطاً * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرر في الثور:
 وكأنما جهدت ألبته أن لا تمس الأرضَ أربعة
 ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادرُ الناظر وهو يبدرُهُ كأنَّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهُ
 وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

ترى طرفه ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عودُ النبعة المتتابعُ
 ينأمُ بأحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ
 وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصه غبارُهُ في فيه شفرتُهُ ونارُهُ
 هو الخبيث ^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
 عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيتُ باليمن غلاماً من جَرَمٍ ينشدُ عنزاً فقلت
 له صفها يا غلامُ فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
 سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنميتها تتواقلنسوة يالها
 أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر
 شعرها ، والعترة عثرة كدرة ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحرارة ،
 والدبسة حمرة كدرة ، والسجحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين
 المضطربتهما ، والفغساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصور : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث

عينه فراره : تعرف الخبيث في عينه إذا بصرتة » . وفي النسخ « عيبه » بالباء ، وهو تصحيف .

والزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحملُ زورهُ وأضلاعهُ من جانبيه شوى النهدُ
له ذئبٌ مثل الشواءِ يمدُّهُ ومتمنٌ كمتنِ القوسِ أعوجُ مُنادُ
طواه الطوى حتى استمرَّ مريرُهُ فما فيه إلا الروحُ والعظمُ والجلدُ
يُقضضُ عضلاً في أسرتها الردى كقضضِة المقرورِ أرعدَه البردُ
عوى ثم أقمى فارتجرتُ فهجتهُ فأقبلَ مثلَ البرقِ يتبعه الرعدُ
وأتبعته أخرى وأضلتُ نصله بحيث تلوى اللبُّ والرعبُ والحقدُ

وقال غيره في الفيل :

أجرُدُ كالعودِ طويلِ الناينِ بعيد ما بينَ محطَّ الرجلينِ
ينفضُ أذنينِ كفضلى بردينِ

وقال ابن الرومي فيه :

ولأعضلِ الناينِ حاملِ مخطمِ به حججٌ طوراً وطوراً به فعم
يقلبُ جثماً عظيماً موثقاً يهدُّ بركنيه الجبالَ إذا زحم
ويسطو بخرطومِ يطاوعِ أمرهُ ومشتبهات ما أصابَ بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه إذا عملَ الناينِ فى الناسِ أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

بما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين طاجى

(١) قال المحبى فى جنى الجنين فى تمييز الثنيتين « الزئمتان هنتان تكون للمعز فى حلوقها ، فان كانتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجى الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين
فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخواقي
والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق عاجي المنقار
أغنّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطاسي الدفتين سبجى الجناحين كأن رجله خاضتا دماً أو شربتا عندما وكأن
عينيه جمرة ورأسه زُبدة . وقلت في حمام أبلق :

وَمُتَفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ لَبْسَنَ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَقَمَا
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسِرًا وَخَضِبْنَ بِالْحِنَاءِ كَفًا وَأَصْبَعَا
وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا جَلُونَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مَرْصَعَا
تَطِيرُ بِأَمْشَالِ الْجَلَامِ كَأَنَّهُمَا جِنَادُلُ تَدْحُوهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوْءِ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ مَجَازِفًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
إِذَا هِيَ عَمَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا تَزُقُّ فِرَاحًا فِي الْمَغَادِرِ جُوعًا
وقال بعضهم في عين العفوق :

يَقْلَبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطْنَا زُبُقًا

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنيتين للمحيي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَتَّى لَسَنِي الصَّبِيحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّحَى أَسْفَا
وَقَالَ دِيكَ الْجَن :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةَ التَّاجِ مَا عَلَّيْتُ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النَّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدُ الْمُنْتَاوِلِ ظَاهِرُ
التَّكْلِيفِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّجٌ بِعَمِيقٍ مَقْرَطٌ بِلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطِقٌ وَشِيٍّ مُشَمَّرُ الْكَفِينِ
قَدَزَيْنَ النَّحْرَمَنَةَ ثَمَانَانَ كَالْوَرْدَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو مُطَرَّرَ الطَّرْتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طُرُوبٍ مُصَفَّقِ الْكَفِينِ بَرَهِي بَتَّاجٍ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذُورَعَيْنِ

وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَا حُ قَنَاعَهُ فَتَأَلَّقَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبِهِيمِ فَأَطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَّرَ بِالصَّبَا حُ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ تَوَجَّجٌ بِالْعَمِيقِ وَطُوقًا
مُرَخِي فُضُولِ التَّاجِ فِي لُبَّاتِهِ وَمُشَمَّرٌ تَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرْفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَمَّا الْعَرَفِ مِنْهُ مَنَشَارُ

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّعْمَانِ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانٌ زَعَلَ ظَلْمَانَهُ كَرَجَالِ الْحَبَشِ تَمْشِي بِالْعَمْدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمْدِ . وَمِنْ أَحْسَنِ تَشْبِيهِ أَخْذِهِ الْعَمَانِي :
كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودَ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِقِ
وَكَانَ يَذْبُقِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَا حِنَّةَ فَانْتَ الْجَنَانُ فَمَا تَبْلَغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تُنْمِنُ
أَلْفُهَا فَاتَّخَذَتْهَا وَطَنًا إِنَّ فُؤَادِي لِحُبِّهَا وَطَنٌ

(١٨ - ثَانِي الْمَعَانِي)

أنظر وفكر فيما تطيفُ به
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ
ومن نعامٍ كأنها سفنُ
ومثله قوله :

زر وادى القصرِ نعم القصرِ والوادي
ترقى قراقيرُهُ والعيسُ واقفةٌ
وحذا أهلهُ من حاضرِ بادي
والضبُّ والنونُ^(١) والملاحُ والحادي
وقول الآخر :

كأنَّ بالسهبِ على خربائه
يضحك جنُّ الأرضِ من نحائه
عرشاً يخرُ الريحُ في قصبائه
كأنَّ قوسَ الفسيمِ من ورائه
يعنى النبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاختة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنها
تُعلُّ مع الاشراقِ راحاً مُفلقلاً
ويروى « تُعلُّ رحيقاً في الغُصونِ مُفلقلاً » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها
بَدَتْ تجتلي للعينِ طوقاً ممسكاً
تجللُ من جلدِ السحابةِ مفضلاً
وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلاً
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما
تُبْقِشُ طلعاً أو تجرِّدُ منضلاً
إذا حلقت في الجوِّ خلتَ جناحها
يردُّ صغيراً أو يحركُ جُلجلاً
وقال أبو نواس في حباريات :

يخطرُنَ من برانس قشوب
من حبيرِ عُولينَ بالتذهيب
فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ في قبجة^(٢) :

أهديتها كلهدي آنسة
تلبسُ ممشورةً مُشمرةً
وهي سليلُ النواشِرِ النفرِ
تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرِها
فضمَّ لِبَاتِها مع الثغرِ

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

نَظَرُ فِي حِلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّ أَكْمَامَهَا مِنَ الْحَبِيرِ
 وَاحْمَرَّ مَنَارُهَا وَمَنَخَرَهَا تَفْتُحُ الْوَرْدِ فِي نَدَى السَّحَرِ
 كَأَنَّهَا حَسِينٌ نَقَطَ قَرَطْمَهَا تَضْرِبُ يَاقوتَةً عَلَى دُرِّ
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ :

كَأَنَّهَا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَاعِقِ صِرَصِرَةَ الْاِقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ
 وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا :

يَصْفَرُّ أحيانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجِ مِنْ مِثْلِ حَرْفِ الْمَجْدَحِ الْمَغْنَجِ

المجدح : ما يجده به السويق ، والمغنج : المعطف .

وأحسن ما شُبهَ به ذلك قول بعض الأعراب يصف طيراً أنشدَه الأصمعي :

يَضْرِبَنَّ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لِيَبْقَ كَمَفْرُوجِ الْمُنَاقِشِ أَسْبَجِ
 لِيَبْقَ : أَي رَفِيقَ بِذَلِكَ حَازِقَ بِهِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكَ لِيَبْقَةَ بِالشَّرْبِ ،

والمفروج : المفتوح ما بينه . وَقَلْتُ فِي الْخَطَّافِ :

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ تَزُورُنَا فَيُخْبِرُنَا عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارَهَا
 تُخْبِرُنَا ^(١) أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَمِيصُهُ وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى أَزَارَهَا
 وَأَنَّ وَجْهَ الْقُدْرِ رَاقٍ يِيَاضُهَا وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارَهَا
 تَحْنُ الْبِنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَى بُعْدٍ مِنَ الشَّكْلِ دَارَهَا
 فَيَمْجِبُنَا وَسَطًا الْعِرَاصِ وَقَوْعُهَا وَيُؤَنِّسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارُهَا
 أَغَارَ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَمِيصُهَا وَفَازَ بِالْوَانِ اللَّيَالِي خِمَارُهَا
 تَصِيحُ كَمَا صرَّتْ نَعَالُ عِرَاسِ تَمَشَّتْ إِلَيْهَا هَنْدَهَا وَنَوَارَهَا
 تَجَاوَرْنَا حَتَّى تَشَبَّ صَفَارُهَا وَتَقْضَى لِبَانَاتِ النِّفُوسِ كِبَارَهَا

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

وَعَرَبِيَّةٌ حَنَّتْ إِلَى أوطَانِهَا جَاءَتْ تَبشُرُ بِالزَّمَانِ الْقَبِيلِ

(١) فِي النِّسْخِ مَهْمَلَةٌ مِنَ النِّقْطِ .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها :
بالعاج فيه وقهته بالصندل

أياعجباً من آنس لك نافر
يزور على بعد المسكان ولم يُرد
له في الذرعى شذر يُمرُّ وينثى
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كأن أصواتها في الجو طائرة
وقال ابن المعتز في البازي :

فارس كف مائل كالأسوار
أو مصحف منمنم بأسطار
يرفع جفنًا مثل حرف الزنار
ذو جوجو مثل الرخام المرمار
ومقلة صفراء مثل الدينسار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلة تصدقه إذا رمق
وقال أبو نواس :

في هامة عليها تهدي^(١) منسراً
وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليل داج
وَضوءُ الصبح متهم الطلوع

كان بُزاتهم أمراء جيش
على أكتافها صدأ الذروع

وقال في عين البازي * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً: ومنسر عضب الشباه دام كمتدك الحسين بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام بنشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً: ذي جؤ جؤ محبر موسى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفي واتصلت براته القوهي

صاف كغصن الذهب المجلي

وقال أيضاً: أقر من ضرب بزاة قمر يصقل حمالاً شديد الطحر
كانه مكتحل متبر في هامة لت كلم الفقر
تريح ان راح لأمر بهر من منخر رحب كعقد العشر
وقلت في الصقر:

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
معتبر هوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقر
منمن الصدر كصدر الدفر بمثل اهداب جفون الاحور
وقلت: بصلتان سلط جصور تخاله في مفصل مزورور
ضم جناحيه على محور معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوان بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغاني عريبها
تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الاضمعي يتمجب من حسن بيت الطرماع في صفة الظليم

بجتاب . وقلت في بلابل:

مررتُ بدكنِ القمصِ سودِ العائمِ نفى على أعرافِ غميدِ نواعمِ
 زهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاحمِ
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ ماخرِها ولجيناً بطنه بالمقادمِ
 فياحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضة وخزٍ وديباجِ أحمرٍ وقامِ
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الاصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشئ فقال الاصمعى أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلس الأوقات من فيها
 وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابِ والحشفِ البالى
 فقال الرشيدُ ما بعلٌ ^(١) القومِ بشئٍ إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب :

وجرى بينهم غداةً تحملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبخِ النسا خرقُ الجناحِ تخالهُ فى الدارِ إثرَ الظاعنينِ مقيدُ
 وقال آخر فى عمق :

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ فلا بارك اللهُ فى عمقِ
 طويلِ الذنابِ قصيرِ الجنا حمتى ما يجد غفلةً بسرقِ
 يُقلِّبُ عينينِ فى رأسه كأنهما قطرتا زئبقِ

وقال آخر فى الزنابير :

لها حماةٌ كأنها شعر تظهرُ مسودَّةً وتستترُ
 قد أذهبت فى الجبينِ غرته إذ فضضت فى جياتنا الفررُ
 وقلت فى ظبية داجنة وقارى :

(١) بعل بأمره كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ تومى بناظرها إلى ظمياء
 تختالُ في متصنل متكفر تبراّ أضرّ بغضةٍ بيضاء
 ودقيقة الأطرافِ وهي جسيمةٌ رياً تمرمر في متونِ ظماء
 ومغنيات من وراءِ ستائرٍ مشقوقة الأوساط والاحماء
 غنّت فلم تحوج إلى مشهورةٍ وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
 تبدو على أعناقهنّ أهلةٌ سودٌ تبدل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والخرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب الصحاح أبو القاسم في وصف قنفذ: قد أمحفنك ياسيدي بعلق نفيس
 يتمجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعتبر في آياته فما تعرف
 بديهية النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
 الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
 حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
 سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
 جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
 مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه راوية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
 أكتافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رآته الأرقام رأته حينها أو
 عاينته الأساود عاينت حتمها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجين
 في حنادسه - شعر :

كفشم الغتيان غير مهمل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبهه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذوق غماضا ولم يرقد حثانا بات بليلة الأتقد ، وذكره الشيهم وهو الشيطم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسليخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنف مآكلها وأفخر مطاعها حتى تراه أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جملة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو أطف من الفرس حساً وأصدق ممماً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أوأبده أنه يسود إذا هرم ويصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طارق في أرجوزته :

بصيرُ بَمَدَ حَلَقِهِ وَنُورَتِهِ كَقَنْفَذِ الْقَفِّ اخْتَبِي فِي فِرْوَتِهِ
وَيُسَبَّهُ السَّاعِي وَالنَّمَامُ بِهِ نَجْبُهُ وَمَكْرَهُ وَاضْطِرَابَهُ فِي لَيْلِهِ قَالَ أَيْمَنُ بِهِ خَرِيمُ :

كَقَنْفَذِ الرَّمْلِ لِاتَّخَفَى مَدَارِجُهُ خَبٌّ إِذَا نَامَ لَيْلُ النَّاسِ لَمْ يَنِمْ
وقال عبدة بن الطيب (١) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِذَ بِالْمَيْمَةِ تَمْرَعُ
وقال جرير :

يَدْبَسُونَ حَوْلَ رِكْيَاتِهِمْ دَيْبَ الْقَنَافِذِ فِي العَرْفِجِ

فخذه ياسيدي ممتماً واقبله شاكراً برى فيه فاحتط عليه احتياط الشيخ على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أنظر من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أَرِقْتُ مُقَلَّتِي لِحَبِّ عَرُوسِ طِفْلةٍ فِي المَلاحِ غَيْرِ شَمُوسِ
فَتَنَّتِي بِظَلْمَةِ وُضِيَاءِ إِذْ بَدَّتْ لِي كالعَاجِ فِي الابنُوسِ

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مُقتلها بشمع يحكي شمع الشموس
 ذات دلّ قصيرة كلما قامت تهادى طويلة في الجلوس
 لم تزل تسبغ الوضوء وتنقى كلّ عضولها مس التنجيس
 دأبها ساعة الطهارة دفن السمعبر الرطب في الخنوط اليبس
 ومن أجود ما قيل في الحية قول النابغة :

صلّ صفا لا ينطوى من القصر طويلاً الاطراف من غير خفر
 مهرودة الشدقين^(١) حولاً النظر تفر عن عوج حداد كالأبر

داهية قد صغرت من السكر

وقال الآخر : خلقت لهازمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعير
 فكان شديقه إذا استعرضته شداً عجوز مضمضت لظهور
 وأجاد خلف في قوله :

ثم أتى بحية مانجى أبت مثل يذق الشطرنج

وليس من شعر المحدثين في الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنني ساورتنى يوم بينهم رقشاءُ مجدولة في لونها بلق
 كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
 ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابية القرقر

وقوله أيضاً :

أنتم رقشاء لا يحيى لديفتها لو قدما السيف لم يعلق به بلل
 تلقي إذا انسلخت في الأرض جلدتها كأنها كم درع قدّه بطل
 وقت : وخفيفة الحركت تفرع الربى كالبرق يلع في الغمام الرائع
 منقوطة تحكي بطون صحائف ابان تبدو من بطون صفائح
 ترضى من الدنيا بظل صحيرة ومن المعاش باشتام روائح

(١) أي واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعام واكتفت بالنسيم .
وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوارِ غايتهُ شبرٌ من الاشبارِ
كانهُ قضيبُ ماءٍ جارِي يفتَرُّ عن مثل تَلْفِي النارِ

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلبٌ يُقالُ أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأنما لسانه على فيه دخانٌ مصباح ذكت ذواكبه

وقال عبد الصمد بن المعدل في المعرب :

ياربِّ ذى إفكٍ كثيرٍ خدعه يبرزُ كالقرنينِ حينَ يطلعه

في مثلِ ظهرِ السبتِ حينَ تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنعُ الرقشاءُ مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسة عقرب كالنارِ طارت من زنادِ القادح

قد خلتها نمشى بسبحة طابد كلالقد نمشى بصعدةٍ رامح

وقال آخر: يحملُ رمحاً إذا كعوبٍ مُشتهرٍ فيه سنانٌ كالخريق يستعر

انفَ تأنيفاً على حسنِ قدرٍ تأنيفِ أنفِ القوسِ مُشدَّتْ بالوترِ

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالمظاة تأتي شجرة بالتنضبة

فتمسكُ بيديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس

عن ساق منها خلَّتْ يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح

في الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إني أتيج لها حرباءُ تنضبة لا يرسلُ الساقُ إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخره ،

وَيُسَبَّهُ بِهِ الرَّجُلُ الْخَصِيفُ ^(١) الَّذِي لَا يَتْرُكُ سَبَبًا إِلَّا أَخَذَ بِسَبَبِ أَمْتِنَ مِنْهُ .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

مابها قد حسنت ورقبيها أبدأً قبيحٌ قبح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبدأً يكون رقيها الحرباء
وقال بعض العلماء : الحرباء فارسية معربة وأصلها خورباء أى حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودوية جرداء جداء خيمت بها صبوات الصيف من كل جانب
كان يدي حربائها متمسكاً يدا مذنب يستغفر الله تائب
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء بصفر لونه
ويخضر من حر الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه
أخو نجره أوفى به الجذع صالبه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً
على الجدل إلا أنه لا يكبر
إذا حول الظل العشي رأته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر
وهذه تشبيهات مصيبة عجيبه الاصابة دالة على شدة الخلق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه ييضات القطا كسرا كأنها فى الأفاحيص القوارير
كان حربائها والشمس تصهره صال لنا من لهيب النار مقرر
وهذا تشبيه مصيب أيضاً إلا أن للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل فى الضب قول الخفافى :

ترى ضبها متسعاً رأسه كما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد الوشى وبطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد سكانه فاذ ضمه فهو الضفدع

ومن أجود ما قيل فى البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) فى نسخة « الخصيف » وفى أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتُ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغنياتها
 لم تُطربِ السامعَ خافضاتها وأرقَ العينينِ رافعاتها
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها يقصر عن بُغيتها بُغاتها
 ولا يصيبُ أبداً رُماتها راحمةً خرطومها قناتها

وقال آخر: * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز:

بِتْ بِلِيلِ كُلِّهِ لَمْ أَطْرِفِ قِرْقِسُهُ ^(١) كَلِزِيرِ الْمُنْتَفِ
 يَنْقُبُ الْجِلْدَ وَرَاءَ الْمَطْرِفِ حَتَّى تَرَى فِيهِ كَشْكَالَ الْمُصْحَفِ

أو مثل روس العصفَر المندف

وقلت: غناءٌ يسخنُ العينَ وينفَى فَرَحَ الْقَلْبِ
 ولا يَأْتِي عَلَى الزَمْرِ ولا يَجْرِي مَعَ الضَّرْبِ
 غناءُ البِقِّ بِاللَيْلِ يَنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ
 إِذَا مَاطَرَقَ الْمَرْءُ جَرَى فِي طَلْقِ الْكَرْبِ
 نَحِيفٌ رَاحَ كَالشَّنِّ وَاسْكَنَ بَاتَ كَالوُطْبِ
 إِذَا مَانَقَبَ الْجِلْدَ عَ أَخْفَى مَوْضِعَ النَّقْبِ
 سَوَى حَمْرِ خَفِيَّاتِ تَحَاكِي نَقْطَ الْكُتُبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه لإقول

عنتره في الذباب فإنه لم يتعرض ^(٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله:

وترى الذبابَ بها يُفنى وحدهُ زجلاً كفعلِ الشاربِ المترنمِ
 هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأجدمِ
 وقلت: وبدا فغنائى البعوضُ مطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غنائى
 ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطاً المعلمِ مُشكَلِ القرآنِ
 حتى إذا كشف الصباحُ قناعه قرأتُ لى الذبانُ بالالخانِ

(١) القرقس بالكسر: البعوض. (٢) في الاصل «لاتعرض».

وكتب أبو القاسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخٌ كان يخلفنى ويخلف من كان يلى الديوان قبلى يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيتَه لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ سمناً ووقاراً وليس له عملٌ خلف سَلْتَه إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبانٌ يطيرُ عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعى وهذا صيفى وهذا ملحٌ وهذا لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلساع وهذا يقع على الأقدار وهذا ترهٌ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو المنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقماً وهذا مما يدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الاحكال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كحل عمى من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزجٌ مغنٌ وهذا صموتٌ وهذا يُندِرُ وهذا يُبشِّرُ بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يعمدُ ويوعدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر فى باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك ففأجته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذباب إلى شىء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف فى ذلك :

فيا لبلادِ الله ما لقبيلةٌ إذا ظهرت فى الأرض شدَّ مغيرها
فلا الدينُ بينها ولا هى تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍ يضيرها

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرى طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرى يحيى بن خالدٍ

بلاذٍ إذا جنَّ الظلامُ تقافرت
براغيثها من بينِ مثنى وواحدِ
ديازِجِه سُودُ الجلودِ كأنَّها
نعالٌ بربدٍ أرسلتْ في المزادِ
وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصرى
كأنَّ جفتي عن عيني قصيرانِ
يطلبنَ مني ثاراً لستُ أعرفهُ
إلا عداوة سودانٍ لبيضانِ
وقد شكاهن الرماح الأُسدى فأحسن في قوله :

تَطاولَ بالفسطاطِ ليلي ولم يكن
بجنو الفضا ليلي على بطولِ
يؤرقني حُذبٌ صغارٌ أذلةٌ
وان الذي يؤذينه لذليلُ
إذا ماقتلناهنَّ أضعفنَ كثيرةً
علينا ولا ينعي لهنَّ قتيلاً
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً
وليس لبرغوثٍ إلى سبيلِ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمي
خلت في كلِّ موضع منه خالاً
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :
للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ
من بين مَقْتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنَّ إذا علونَ قميصه
فردٌ وتوأمٌ سمسمٍ مقشورِ
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصيبانَ ما كفةً عليه
كمنقعة الفرزِ ذقٍ حين شابا
وقلت في النمل :

وحَيِّ أناخوا بالنازلِ باللوى
فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدَّارِ ظلتْ كأنَّها
تبددٌ فيها الريحُ برزَ قطنونا
إذا طرقوا قدرى مع الليلِ أصبحت
بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يُمْنِي ومُسرَى إذا مشوا
كأمرٍ مرعوبٍ يخافُ كينا
ويمشون صفاً في الدَّيارِ كأنَّنا
يجرّونَ خيطاً في الترابِ مُبيننا
ففي كلِّ بيت من بيتي قريةٌ
تضمُّ صنوقاً منهمُ وفتوننا

فِيَا مَنْ رَأَى يَتَأْتِي بِضَيْقٍ بِخَمْسَةِ وَفِيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْمَعُ مِثْنَا
قَالُوا وَمِنَ الْأَيَّاتِ الْجَامِعَةِ لِلشَّرِّ قَوْلَ بَعْضِ الْقَدَمَاءِ :

بِهِ الْبَقُّ وَالْحَمَى وَأَسَدٌ خَفِيَّةٌ وَعَمْرُو بْنُ هِنْدٍ بَعْتَدَى وَيَجُورُ
وَبِالْمَصْرِ بَرَعُوثٌ وَبَقٌّ وَحَصْبَةٌ وَوَحْمَى وَطَاعُونَ وَتَلْكَ شُرُورُ
وَبِالْبَدْوِ جُوعٌ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخَانٌ عَلَى حِدِّ الْأَكَامِ يَمُورُ
أَلَا أُنَمَّا الدُّنْيَا كَمَا قَالَ رَبُّنَا لِأَحْمَدَ حُزْنَ تَارَةً وَمَرُورُ

وَقَلْتُ فِي الْجِرَادِ :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا أُرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ لَكِنَّمَا مَنقُوطَةٌ مِثْلَ صَدُورِ الْكُتُبِ

وَأَرْجُلُهَا كَأَنَّهَا مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وَقَلْتُ : وَأَعْرَابِيَّةٌ تَرْتَادُ زَادًا فَتَمْرُقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ

غَدَّتْ تَمْشِي بِمَنشَارٍ كَلِيلٍ تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلُّ وَادِي

وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِذَاءَ شَرْبٍ عَلَى أَرْجَائِهِ نَقَطُ الْمِدَادِ

وَتَلْبَسُ تَحْتَ ذَلِكَ عَطَافَ لَازٍ عَلَى أَكْنَافِهِ وَدَعِ الْجَسَادِ

وَمِنْ عَجِيبِ مَا قِيلَ فِي الْفَأْرِ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ

سَعِيدٍ عَنِ الرَّيَّاشِيِّ قَالَ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْبَصْرَةَ فَاشْتَرَى خَبْرًا فَأَكَلَهُ الْفَأْرُ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

عَجَلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعَقَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخِرَابِ

كَحَلِّ الْعَيُونِ وَقَصِّ الرِّقَابِ بِمَجْرَدَاتِ أَجْبَلِ الْأَذْنَابِ

مِثْلَ مَدَارِ الطُّفْلِ الْكِعَابِ كَيْفَ لَهَا بِأَمْرِ وَثَابِ

مُسْنَهَرَتِ الشَّدْوِ حَدِيدِ النَّابِ كَأَنَّمَا يَكْشُرُ عَنْ حِرَابِ

يَغْرِسُهَا كَالْأَسَدِ الْوَثَابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على

محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتلفه وراهنه فجعل لنا في
أنفسنا مواعظ وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يسر ديننا من مرض بعد
صحة وشيبة بعد شيبة لنعبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدائق إيانا حمداً تتألف
أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)
والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابى يقولُ
لأعرفُ في التفرُّج على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهلى
على قُرب عهدِه :

لأنكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ بيوم واحدٍ بدلُ
شُرْحِ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ قانيةٍ وبالشبابِ شفيماً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيباً ».

وأحسن منه عندي قول منصور النمري^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بان الشبابُ ففانتنى بشرته^(٢) صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
ما كنتُ أو في شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
فقال نعم لا خير في دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقلتُ وهل بعدَ الثلاثينَ ملعبُ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصيرِ وعُصنه ذى الورقِ النضيرِ
وسُكره وذنبه المغفورِ ومَرَحِ القلوبِ فى الصدورِ
وطولِ جبل الأملِ المجرورِ فى ظلِّ عيشِ غافلٍ غريرِ
أغدو وجنى الصبا أميرى ملء العيونِ الغاياتِ الحورِ

وقال الحامى :

وأيامه العُرُّ مثل الخطوطِ فى المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله
بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شيرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلدته) .

ليالى أنت جُذيل الصِّبا
وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغواي
وأيامه وعُذيق الغواي
كالسوادِ من القلوبِ
فاذا استظعنَ خبأتني
وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع
وقال يصف نفسه في شببته :

من بعد ما قد كنتُ أى فتى
كقضبِ بانِ ناعِمِ رَطْبِ
فاذا رأيتني عَيْنُ غائِبَةٍ
قالتْ أو ابدُ طرفها حسي
ونحوه قوله : إذا ما تمشت في عين خريدة
فليست نَحَطَانِي الى من ورائيا
وقال أعرابي : سقى الله أياماً لنا وليالياً
لهنَّ بأُ كِنَافِ الشَّبَابِ مَلَاعِبُ
إذ العيشُ غُضُّ والشبابُ بَغْرَةٌ
وشاهدُ آفاتِ المَجِينِ غَائِبُ
وانما آتى بالبيت والبيتين لأن في أعتد الفقرة فأوردتها وأقصد النادرة فأكتبها

وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفت إلى كل شيء منها شكها وقرنت إليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جذيراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما .

تذكرُ إذ أنتَ قضيبُ رطيبِ
عليه للحسنِ رداءُ قشيبِ
خالطَ ماءَ الحسنِ في وجهه
ماءَ شبابٍ لم يرقه المشيبِ
إذا مشى يخطر في برده
غابر فيه الشكل حسن رطيبِ
كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب
وأنتَ من بعدِ قضيبِ قضيبِ
فألهو مغبرٍ مقاديمه
معفرُ الوجهِ حريبِ سليبِ

(١) في الأصل (تحرقت)

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبيد بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسى بساحته لله درُّ الشبابِ الله الخالي
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على ما فات من وصل خلة وريق شباب سله الشيب منجلي
ومثل ليالينا بمحطمة فاللوى بلين وأيام قصار بمأسل
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضيف
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
وقلت : قوام كما شاء المشيب معوجٌ ووجهٌ كما لا تشتهيهُ مشنج (٢)
وفرع جلاه الشيب حتى كأنما نغشاه معروف من الصبح أبلغ
وعهدى به بالأمس جونا كأنما تجلله عرف من الليل أذعج
ليالى جاءتك الليالى عرائساً تروق ونصبى أو تضوع وتأرج
حسان الوجوه كلرياض أنيقة تخطيط لها كف الغمام وتنسج
رقاق جلايب النسيم أريجة لها نكهة كالسك ابان يمزج
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرَّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجردان إذا ما خلقا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذوالرمة فسأله كذلك فأجاب بمثله وجوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو بينان الشباب أفقا والشيب لاسوق له ان سؤقا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيض لها في مفرق الرأس انتشار
جديد^١ والبيس^(١) أعز منه وأحرى أن ينافس^٢ التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات^٣ لخادع نفسه ومن قبله عيش^٤ تعلق جادبه
ومن الشعر الخذل السهل المطيع المتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول الحمري :

ومنازل لك بالحمي وبها الخليط^٥ نزول
أيامهن^٦ قصيرة^٧ ومُرورهن^٨ طويل
وسعودهن^٩ طوالع ونحوهن^{١٠} أفسول
والمالكية والشبا ب وقينة^{١١} وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحري :

وددت^{١٢} بياض^{١٣} السيف يوم^{١٤} لقينى مكان^{١٥} بياض^{١٦} الشيب حل^{١٧} بمفرقي
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيباً لاح^{١٨} بي حدثاً^{١٩} وأكبرى أنى^{٢٠} فى المهد لم أشب
لاتنكرى منه تجديد^{٢١} تجلله^(٢) فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب

ولا يرو عنك^{٢٢} ايماض^{٢٣} القتير^{٢٤} به فان^{٢٥} ذاك ابتسام^{٢٦} الرأى والأدب
ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم^{٢٧} مشيب^{٢٨} فى ظلام^{٢٩} شمسية^{٣٠} وما حسن^{٣١} ليل^{٣٢} ليس^{٣٣} فيه نجوم
وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يبرعك^{٣٤} المشيب^{٣٥} يا ابنة^{٣٦} عبد الله^{٣٧} فالشيب^{٣٨} زينة^{٣٩} ووآقار
انما تحسن^{٤٠} الرياض^{٤١} إذا ما^{٤٢} ضحكك^{٤٣} فى خلالها^{٤٤} الأنوار
وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تجديداً تجلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجلك عجب
 فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا فان الكرى عند الصباح يطيب
 وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جريري قوله :
 يقول العاذلاتُ علاك شيبُ أهذا الشيبُ يمنعي مراحي
 وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاح شيبى فرجتُ أمرحُ فيه مَرَحَ الطرفِ في العذارِ المحلى
 وتولى الشبابُ فازددتُ غياً في ميادينِ باطلى اذ تولى
 إن من ساءهُ الزمانُ بشيءٍ لآحقُ امرئٍ بأن يتسلى
 وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بيأضه بمفرقِ رأسي قلتُ للشيبِ مرحبا
 ولوخلتُ أنى إن كفتُ تحبتي تنكبَ عنى رمتُ أن يتنكبنا
 ولكن إذا مال الكرهُ حلَّ تسامحتُ به النفسُ يوماً كان للكرهِ أذهبا
 وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
 والمعنى مع اصابة تشبيهه في قوله * مرح الطرفِ في العذارِ المحلى *
 وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقة في الحياة تدعى جلالاً (١) مثل ماسمى اللديغُ سليماً
 غرة مرة (٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهيماً
 وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخلودُ الكعابُ
 وقلت : فلا تعجبا أن يعين المشيب فما عين من ذلك إلا معينا
 إذا كان شيبى بغيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
 وقد كنت أرفل برد الشباب قشيباً وأرفل وشياً قشيباً

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيباً وان صلت صلت قضيباً قضوباً
ومن مليح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكتُ من شيبه ضحكتُ في سوادِ اللمة الرجله
ثم قالتُ وهي هازلةُ جاءَ هذا الشيبُ بالعجله
قلتُ من حبيك لا كبير شابَ رأسي فانتنتُ خجله
وثنتُ جفنًا على كلِّ هي منه الدهرَ مُكتحله
أكثرتُ منه تعجبها وهي تجنيه وتضحكُ له

ومن مليح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فضلتُ أطلبُ وصلها بتعطفٍ والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلني
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقه إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيبُ كرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقني أحبُّ بشيءٍ على البغضاءِ مودودُ
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيبِ ثم بكى عليه فكانَ أعزَّ فقدأً من شباب
فقل للشيبِ لا تبرح حميداً إذا نادى شبا بك بالذهب
ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك له شيبٌ عليٌّ مما فقدتُ من الشبابِ أشدَّ فوتنا
هذا البيتُ مضطربُ اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تملتُ الشبابَ فكانَ شيباً وأبليتُ المشيبَ فصارَ موتنا
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشدَّ فقدنا » لقوله « فقدت من الشباب ». وقلت :
والشيبُ زورٌ يجتوى وقربه لا يرتضى وفقدُهُ لا يُشتهى
قد يشتهي كلُّ امرئٍ بلوغه وقلَّ من يبلغه إلا شكنا
كأنما الشبابُ كانَ فرقةً له من الأنفسِ حبٌّ وقلي
وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدح الشيبِ عندي مُعمَّرٌ
فقلت انظرني أوْلاً منه مؤلماً
نصرم من عمرى ثلاثونَ حِجَّةً
شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابهُ
أفمت به صدرَ السرورِ فلم يزلْ
فطر بجناحِ اللهِ في زمن الصبا
تناولَ وخط الشيبَ أطرافَ عارضى
ومن المشهور قول دعبل الخزاعي^(١) :

لا تعجى يا سلم من رجلٍ
ضحك المشيب برأسه فبكى

ومما يحتج به المشيب على الشباب أن الشباب قلما يبق أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إن بعدَ الفقرِ المرءَ قنوةً
وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تحدد لجه
أبلى ثلاثَ عمامٍ ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف
وأجدُّ لوناً بعد ذلك هجانا
قصر الليالي خطوهُ فتداني
وحنونَ قائمَ ظهره فتحاني^(٢)
والموت يأتي بعد ذلك كله
وكأتما يعني بذلك سوانا

لأعرف في وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا ، وقوله (وكأتما يعني بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خفَّ نازله
ومشيب آب نازله
ليتة عادَ كما كانا
ليتة إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتحاننا » .

خائني دهر^١ وثقت به^٢ رب^٣ موثوق به خانا

وأشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^٤ شمس^٥ الشيب^٦ في ليل^٧ لتي^٨ لعمرى^٩ لليلي^{١٠} كان^{١١} أحسن^{١٢} من شمس^{١٣}
كان^{١٤} الصبا^{١٥} والسمت^{١٦} بطمس^{١٧} نوره^{١٨} عروس^{١٩} أناس^{٢٠} مات^{٢١} في ليلة^{٢٢} العرس^{٢٣}

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحترى :

في الشيب^{٢٤} زجر^{٢٥} له^{٢٦} لو كان^{٢٧} ينزجر^{٢٨} وبالغ^{٢٩} منه^{٣٠} لولا^{٣١} أنه^{٣٢} حجر^{٣٣}
إبيض^{٣٤} ما سود^{٣٥} من فوديه^{٣٦} وارتجعت^{٣٧} (١) جلية^{٣٨} الصبح^{٣٩} ما قد^{٤٠} أغفل^{٤١} السحر^{٤٢}
ولفتي^{٤٣} مَهْلَةً^{٤٤} في^{٤٥} الحب^{٤٦} واسعة^{٤٧} مالم^{٤٨} يمت^{٤٩} في^{٥٠} نواحي^{٥١} رأسه^{٥٢} الشعر^{٥٣}

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا^{٥٤} الشيب^{٥٥} (٢) مَحْتَطاً^{٥٦} بفودي^{٥٧} خُطَّةً^{٥٨} سبيل^{٥٩} (٣) الردى^{٦٠} منها^{٦١} إلى^{٦٢} النفس^{٦٣} مهبع^{٦٤}
هو^{٦٥} الزور^{٦٦} يجفني^{٦٧} والمعاشر^{٦٨} يجتوي^{٦٩} وذو^{٧٠} الأنف^{٧١} يُقلى^{٧٢} والجديد^{٧٣} يرقع^{٧٤}
له^{٧٥} منظر^{٧٦} في^{٧٧} العين^{٧٨} أبيض^{٧٩} ناصع^{٨٠} ولكن^{٨١} في^{٨٢} القلب^{٨٣} أسود^{٨٤} أسفع^{٨٥}
ونحن^{٨٦} نرجيه^{٨٧} على^{٨٨} الكره^{٨٩} والرضا^{٩٠} وأنف^{٩١} القتي^{٩٢} في^{٩٣} (٤) وجه^{٩٤} وهو^{٩٥} أجدع^{٩٦}

ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^{٩٧} لما^{٩٨} رأنتي^{٩٩} عادة^{١٠٠} ما بين^{١٠١} غيد^{١٠٢}
ضحكت^{١٠٣} إذا^{١٠٤} بصرتني^{١٠٥} قد^{١٠٦} تزيت^{١٠٧} لعيد^{١٠٨}
ثم^{١٠٩} نادين^{١١٠} جميعاً^{١١١} باعتيقاً^{١١٢} في^{١١٣} جديد^{١١٤}
غرنا^{١١٥} منك^{١١٦} خضاب^{١١٧} قد^{١١٨} تراهي^{١١٩} من^{١٢٠} بعيد^{١٢١}
لاتفالطنا^{١٢٢} فما^{١٢٣} تصلح^{١٢٤} إلا^{١٢٥} للصدود^{١٢٦}

وقال ابن الرومي :

فدعته^{١٢٧} إلى^{١٢٨} الخضاب^{١٢٩} وقالت^{١٣٠} إن^{١٣١} دفن^{١٣٢} المعيب^{١٣٣} غير^{١٣٤} معيب^{١٣٥}

(١) في الأصل (إرتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا لهم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذار^ه كمثل^ه الأحمى مطر^ز و فرع^ه كلون^ه العبرى^ه محبر^ه
 وقد كان^ه من صبغ^ه الشباب ممسكا فأصبح^ه في كف^ه المشيب مكفر^ه
 فقل^ه للعدول أقصر^ه الآن إننى على الرغم^ه من أنف^ه الصباية مقصر^ه
 كفناك^ه تسكاليف^ه الملام كواكب^ه من الشيب^ه في ليل^ه الشيبية تزهر^ه
 لوائح^ه من تحت^ه الخضاب كأنما سنى^ه الصبح^ه في وجه^ه الدجفة يكشر^ه
 وأول^ه من ذكر^ه أنه شاب من غير^ه كبر^ه ابن^ه مقبل^ه (١) في قوله :

ماشبت^ه من كبر^ه والسكى^ه امرؤ^ه عالج^ه قرع^ه نوائب^ه الدهر^ه
 فرأيتها^ه عضلا^ه موقحة^ه عزت^ه فما^ه تسطاع^ه بالكسر^ه
 فلذلك^ه صرت^ه مع^ه الشيبية نازلا^ه في غير^ه منزلى^ه من^ه العمر^ه
 ومن أجود^ه ما قيل^ه في تقارب^ه الخطو قول^ه أبى الطمجان :

حننتى^ه حادثات^ه الدهر^ه حتى^ه كأنى^ه خاتل^ه أدنو^ه لصيد^ه
 قريب^ه الخطو^ه يحسب^ه من^ه رآنى^ه ولست^ه مقيدا^ه أنى^ه بقيد^ه

وقد أحسن^ه الآخر^ه في قوله أيضا :

الدهر^ه أبلانى^ه وما^ه أبليته^ه والدهر^ه غيرنى^ه وما^ه يتغير^ه
 والدهر^ه قيدنى^ه بقيد^ه مبرم^ه فمشيت^ه فيه^ه وكل^ه يوم^ه يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصره » من أحسن^ه العبارة^ه عن^ه ازدياد^ه الضعف^ه وتقصير^ه الخطو^ه
 فى كل^ه يوم . ومن أعجب^ه ما قيل^ه فى الصلح^ه قول^ه الاعرابى :

قد ترك^ه الدهر^ه عصاتى^ه صنفنا^ه فصار^ه رأسى^ه جبهة^ه الى^ه القفا^ه
 كأنما^ه قد^ه كان^ه ربما^ه فمعا^ه يمسى^ه ويضحى^ه للنايا^ه هدفا^ه
 ومثله قول^ه الآخر :

ثم حسرت^ه عن^ه صفاة^ه تلمع^ه فأقبلت^ه قائلة^ه تسترجم^ه
 مارأس^ه ذا^ه إلا^ه جبيننا^ه أجمع^ه

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، مخضرم معدود فى الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبج الجلا جبين وجه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه بهجو رجلاً يجذب طرفه من قفاه الى وجهه :
يجذب من نقرته طرة إلى مدى تقصر عن نيته
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من يله
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطامعه
فما شوق عيني إلى قره كشوق يميني للصامعه
يسكاد وإن لم يردها الضمير تشوق الحليم إلى صفعه
فعلنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تود النساء المبصراتي أنه يمار فيستأجرنه للعرانس

وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشدد الكف بالمريح الجميل
مازى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بني أسد فهوها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له
فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظماً وأدمعاً تنهلُ منها سحبا
 علمت ما بي فجعوت علماً من سئم الوصل تجنى الجرما
 فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فمن لأمني فيه فبدل مايا
 فما أشرف الابقاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال الا نداويا
 فأتى الزوج أباه فأخبره فأتابها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :

فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبيَّ ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضباً وإذا يزيد بقنائه وهو يقول :
 ترامتُ وأستارُ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
 بعيني مهابةً تحدرُ الدمع منها بريمين شتى من دموع وأتمد
 فجمع أهل بيته وأخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لمتي بعقفاء مردودٌ عليها نصابها
 ترفقُ بها ياتورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فياربَّ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
 تولى بها ^(١) ثورٌ ترفُّ كأنها سلاسل درع لينها ^(٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخيرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهار
 ولا بُي إسحق الصابي آيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقلَّ مالي وضاق متسعى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الاغانى « خبؤها » .

حاسبت عن لتي مزينها حسابَ شيخٍ للحقّ متبع
 قلتُ له اقع من أصلٍ واجبها بالثلثِ مما به عملتَ معي
 واعمل على أنها مُزارعةٌ شكوتُ فيها شكاةً مُتضع
 فاحطط خراجَ الذي أصبتَ به واستوفِ مني خراجَ مُزدرع

ومما جاء في مدح الصلغ ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الانباري عن ثعلب
 عن ابن الأعرابي قال ألحَّ رجلٌ النظرَ الى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال له
 الى أيّ شيء تنظر؟ قال الى بطن مندح وهامة صلغاء فقال عليه السلام أما البطن
 فأسفله طعم وأعله علم وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بني انا المجدد آباءٌ لهم شرفٌ مُصلغُ الرؤوسِ وسيا السؤددِ الصلغُ
 وقال آخر: كني حزنًا أني أدبٌ على العصا فيأمنُ أعدائي ويغضني أهلي
 ويوصي بي الوغدُ الضعيفُ مخافةً عليّ وما قام الحواضنُ عن مثلي
 أقيمُ العصا بالرجلِ والرجلَ بالعصا فما عدتُ ميلي عصايَ ولا رجلي
 وقال محمود الوراق في ذم الخضاب:

يشيبُ الناسُ في زمنٍ طويلٍ ولى في كلِّ نالتهِ مشيبُ
 وأخفى الشيبَ جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ
 وقالت: جريت له ارض غيث الليالي تحالك لونه فايضٌ جبهُ
 وصرت تقص ما يبيضُ منه أتخلقه إذا ما يبيضُ كلهُ
 تعزُّ عن الشبيبةِ والله عنها فان الليلَ ليسَ بدوم ظله
 وخلُّ الشيبَ يضحكُ ناجداه فانَّ الصبحَ لا يخفى مظه
 وان حلت عرى اللذاتِ فيه فلستَ بما قد ماجد حبله

(الفصل الثاني من الباب الحادى عشر)

(فى ذكر العلل والامراض والمرأى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمذ قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ
مهمرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى إليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قسلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقات لهم من كثرة القتل مسها الوصب
مُحَرَّتْهَا من دماء من قتل والدم فى النصل شاهدٌ محب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسِر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط النرجس فى ورده
ما احمرت العين ولكنه يكحلها من وردنى خده

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخد
فقلت لم يرمذ ولكنه يصفح النرجس بالورد

ومن مليح ما قيل فى شكايه الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت محم ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحة قد أصبج للسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشن وجهه الجميل ولكن جعلت ورداً وجنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خدّه فأبدلت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنى المسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طامر إلى عثمان بن عفان : اني اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشب بكريماتهم
فاشتراه بنو المسحاس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف فحدثني من رآه
في شجرة واطعاً أحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تبعُ
ما يبتغي خابَ من محاسنها أماله في القباح متسع
لو كان يبغى الفداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وجم

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشب بفتياتهم حتى قتله فضحكت منه
امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكي مني فيارب ليلتـُ جعلتـُكِ فيها كالتقاء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدرت من جبين فتاتكم عرقٌ على وجه الفراش وطيبُ
ومن عجب ما يُروى له قوله يُمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسي حرةٌ كراماً أو أسود اللون اني أبيض الخلق
وهذا أحسن ما يمدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبي نواس الحسن بن هانيء :

ياقمرًا للنصفِ من شهره أبدى ضياءً ثمان بقين
 ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
 قالوا محمدٌ المحمدُ موجعُ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
 فلئن مُحمتَ فلا مُحمتَ فانها داءُ الاسودِ وفي الرجالِ أسودُ
 وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محموداً وإن طالُ عمرهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
 على أنه معنى مولدٍ وشيءٌ تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
 وقد سرّني اني رأيتك واطناً على عقبي داء تراخي فأدبرا
 وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا
 ولا غرو أن يفشاك عارضُ علةٍ فاني رأيتُ الورد يغشى الفضنغرا
 ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا مُنورا

ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقايتي ثقلاً من الألم
 فالدهرُ لا يُبدُّ محدثُ طبعاً في صفحتي كلُّ صارمٍ خذم^(١)
 وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً في رجل اعتل :
 طالَ فكري نمجباً لمصوغٍ ذهباً كان يقبلُ الاقضاء
 والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسناً كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبقهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
 الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المهدي^(٣) يذكر الحمى :
 فطوراً ألقيا سُخنةً وطوراً ألقيا فستره

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطار .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد

العارضه ، أبوه وجدته وأخوه من الشعراء .

وقد أعقتُ خلقِي حِدَّةً وأورثني الفها ضجره
فلاعبدٍ ان غاظني لطمَةً وللحرِّ ان ساءني زجره
ويربو الطحالُ إذا ما شبت فتعلو السرائب والصدرة
وأمسى كَأني من معدني لبستُ ثيابي على ذُكره
أسائلُ أهلي عن سحتي وأمنحهم نظرةً نظره
وأجزع إن قيل بي صفةٌ وأشفقُ إن قيل بي حمرة

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدرُ لم تزل في كمال الأُمِّ بدراً وفي النماء هلالاً
كيف كانت عقي افتصادك كانت صحةً مستفادَةً واندمالاً
واعتدالاً بين المزاج كما أو تبت في الخلق والخلاق اعتدالاً
فعل الله ذلك انك ما زلت لمرضى ما ارتضى فعلاً
وفي الفصد شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر ما مرَّ بي مختارٌ إلا ما أنشدته لعلي بن

عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت أملك وليت نفسي تقسمت سقمك
أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
أعرتهُ حسنَ وجنتيك كما تعيره ان لثمت من لثمك
طرفك أمضى من حد مبضعه فالخط به العرق واغتمم أملك

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان
الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزك الله
لست يومى هذا للسكرام با كيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكومٌ والزكمة قبيحة
الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداع شيء مليح أثبتته لك غير أنى سمعت
لبعضهم آياتاً في صغر العمامة حتى أشبهت عصابةً يعصب بها الصداع وهي هذه الآيات :

وقدّمتْ إليّ وعداً بأنك مُلبسى ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضرَبُ
 يقولُ أناسٌ لي إذا مالبتها أراسك هذا من صداعٍ مُعصبٍ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٍ فيه ذكر الصداع وهو قوله :
 حلٌّ من قلبه محلٌّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشي صداعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالتُ فوقَ منال الصداعِ مني
 وجدتُ فيه اتفاقاً سوءِ صدعني مثل صدعني
 وقتت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنوانِ قسبٍ وينشر لحية مثلَ الشراعِ
 عليه عمامةٌ قصرتُ ودقتُ فتحسبه تعصبَ من صداعِ
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجههُ للحسن معدنٌ فتأملُ وتبينُ
 نقطُ من جدرى كدباقي معيينُ

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أصبتُ به من ألمٍ في أناملِ القدمِ
 كأنني لم أطأ بها كبداً من حاسدٍ سرَّ قلبه ألمي
 والحمد لله لا شريكَ له لحى للأرضِ بعدها ودمي
 مامنٍ صحيحٍ إلا سننقله إلا يامُ من صححةٍ إلى سقمِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العينا. قال كان أبو علي الحرّ مازى
 (٢٢ - ثانی المعانی)

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتختلف
الحرمازي ببغداد لتقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختلَّ جانبي ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف تقرس أما تقرس في مفلس بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفة ، ومنه قول الاعرابي :

فصرت بعد الفقر والتأيس يخشى على القوم داء النقرس
ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس • يخشى عليك من الحباء النقرس
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجل فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال ائتني في الحمى :

وزايرتي كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
جعلت لها المطارف والحشايا فمافتها وبانت في عظامي
إذا ما فارقني غسلني كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لان الفصل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من اللال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخبرني رحمتي في حلة الضنى ليالى عشر آضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية كما انتفضت في الدجن قادمي نسر
تذرني على الورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصر
إذا انصرفت جاء الصداع مشعراً فأرني عليها في الأذية والشر
وتجمل أعضائي عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر
فتحسبه طلاً على أقحوانة وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تَمَدَّتْ عَذْتُ مِنْهَا بِحِمِيَةٍ كَمَنْ تَرَكَ الرَّمْضَاءَ وَانْفَلَّ فِي الْحَجْرِ
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَضُرٌّ عَلَى الْأَحْرَارِ يَأَلُّكَ مِنْ ضَرِّ
 مِنْ مَرَضٍ لِمَرَضِ الْجَفُونَ : أَنشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ قَالَ أَنشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ :

تَمَارَضْتُ لَمَّا لَمْ تَسْكُنْ لَكَ عَالَةً وَقَلَّتْ شَهِيدِي مَا بَطَّرَفِي مِنَ السَّقَمِ
 فَلَا تَجْعَلْنِي سَقِيماً بِطَرَفِكَ عَالَةً فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ السَّقَمِ فِي صِحَّةِ الْجِسْمِ
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَحْبَبْتُ مِنْ أَجَلِهِ مَنْ كَانَ بِشَبَهِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعشُوقِ مَعشُوقٌ
 وَقَدْ جَلِبْتُ بِجِسْمِي سَقَمَ مَقْلَتِهِ كَأَنَّ جِسْمِي مِنْ عَيْنِيهِ مَسْرُوقٌ
 وَقَالَ الْأَخِيضَلُّ : كَيْفَ يَضُنِّي بَعْدَ مَا كَانَ الضَّنِي عَوْنًا لِعَيْنِهِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَقَدْ مَرَضَ فَتَخَلَّفَ إِخْوَانُهُ عَنْ عِيَادَتِهِ :

عَلَيْكُمْ لَا يَبْعَادُ مِنْ عَالَةٍ وَضَيْفِكُمْ لَا يَسُدُّ مِنْ خَلَلَةٍ
 لَا أَنْ جَفَوْتُمْ دَنَا الْمَمَاتُ وَلَا أَنْ زُرْتُمْ تُنْسَوْنَ فِي أَجَلِهِ
 مَا ضَرَّ بِجَفْوَتِكُمْ جَفَاؤُكُمْ بِالْأَمْسِ فِي جِسْمِهِ وَلَا أَمَلُهُ

وَأَنشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْيَزِيدِيِّ :

مَالِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْ وَرَغِبْتُ فَيْكَ فَلَمْ تَجُدْ
 الْحُبُّ يُذْهِبُهُ الْأَذَى فَاحْذَرْ عَلَيْهِ وَلَا تَعُدْ

وَهَذَا شِعْرٌ مَطْبُوعٌ مُخْتَارٌ ، وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

فَأَنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
 وَقُلْتُ : وَقَدْ عَادَنِي الْإِخْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَا قَصَرُوا فِي الْعَرَفِ وَالْفَضْلِ وَالْبِرِّ
 فَلَمْ لَمْ تَسْكُنْ فِيهِمْ فَيَكْمُلُ حَسَنُهُمْ أَيَاظُمًا أَخْلَى النُّجُومَ مِنَ الْبَدْرِ
 وَإِذْ كُنْتُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكْتَدْ فَلَمْ تَسَلْ عَنِّي فَتَخْبِرْ عَن أَمْرِي
 وَمَالِكَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِأَسْطَرِي تَجْمَعُهَا إِحْدَى يَمِينِكَ فِي ظَهْرِي

تضنُّ بتسليمِ وزرةٍ ساعةٍ فكيف يُرْحَى جودُ كفيك بالوفر
فإن كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعرِ
إذا لمْ تكونوا للحقوقِ فمنْ لها وأنتم كرامُ الناسِ في البدو والحضرِ
وأنتَ إذا أنحيتَ تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
وما لعداةِ العلمِ تذكُرُ عيهمْ وأنتَ على أمثالِ غارهم تجرى

ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومي :

قد قلت إذ مدحوا الحياةَ فأكثرُوا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانٌ لقاءه بلقاؤه وفراق كلِّ مُعاشِرٍ لا ينصفُ

ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وبات بدرُ سماننا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألمْ يبلغك والأنباء تنعى وللدنيا بأهلها صروف

صريعٌ لمْ يُوسِّدهُ قريبٌ ولمْ يشركه في الشكوى أليفُ

يظلمُ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف

المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر

إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيب لا يُتارى به ومنه أخذ قوله :

وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهمُ الحزنُ

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له

ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً

فلمْ على ذلك فقال : ليسوا في الموت بيدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد

ولا جدوى للجزع فعلامٌ تلو مونى . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها .

(١) في الأصل « بيدع » .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أباد وأجزل حظك فيما أفاد .

ولأعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانته بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذ قرب من سريري فقل له وُلد لأُمير المؤمنين في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سررك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدةٍ ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذي زعموا أنه يتصنع لكلام مارأى الناس أطيع من عبد الملك في الفصاحة قط^(١) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن مقيل في مدفون قول ابن الرومي في بستان جارية أم علي بنت الراس :
 لله ما ضمنت حفيرتها من حُسنِ مرأى وطهرٍ مُختبر
 أضحت من الساكني حفائزهم مُسكني الغوالي مداهن السرر
 لو علم القبر من أتيح له لا تخفض القبر غير محتفر
 وهذا البيت مأخوذ من قول الأوَّل :

لو علم القبر من يوارى ناه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيها النفسُ أجملِي جزعاً ان الذي تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبي تمام الطائي :

أصم بك الداعي^(٢) وإن كان أسما وأصبح معنى الجودِ بعدك بالقعا

فقال فيها : فتى كان شرباً لاهمّة ومرتعى فأصبح للهنديّة البيض مرتعا

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) في ديوان أبي تمام « الناعي » .

إذا ساءَ يوماً في الكربةَ منظرًا اتصالهُ علمًا ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن مُحبرِ تداني به المدى فخانك حتى لم يجدُ فيك منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا
وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
في الزدة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
لقد لا منى عندَ القبورِ على البكا رفبقي لتذرافِ الدموعِ السوافك
هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
أمنُ أنجلِ قبرٍ بالملأ أنت نائحٌ على كلِّ قبرٍ أو على كلِّ هالك
فقلت له انَّ الشجي يبعثُ الشجي فدعنى فهذا كله قبرُ مالك
يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب عن
الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
لهفي عليك للهفة من خائف كنتَ الحجيرَ لهُ وليسَ مجيرُ
عمتُ صنائعهُ فعممُ مُصابهُ فالناسُ فيه كلهم ماجورُ
فالناسُ ماتمهمُ عليهِ واحدٌ في كلِّ وادٍ رنةٌ وزفيرُ
بثني عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناءِ جديرُ
ردتُ صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
والصحيح أن يقول «منشرٌ» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث :

على قبره بين القبورِ مهابةٌ كما قبلها كانت على صاحبِ القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر
وقالوا أرثاه قول ابن منادير :

أنمي فتى الجود الى الجود مامثل من أنمي بموجود
أنمي فتى مص الثرى بعهده بقية المساء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول
لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختَر على أبيات الخزيبي :

ألم ترفى أبني على الليث بنيةً وأحيتي عليه التراب لا تخشعُ
وأعدده ذخرًا لكلِّ مُلمِعةٍ وسهمُ المنايا بالذخائر مُولعُ
وأنى وإن أظهرت مني جلادةً وصانعتُ أعدائي عليه لموجعُ
ولو شئتُ أن أبكي دمًا لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كان قيسٌ هلكاً هلك واحدٌ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهديماً
وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنتَ أكمل من مشيٍ وافترَّ نأبُك عن شباه القارح
وتسكملت فيك المروءة كلها وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعي أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتَّ مستشعر الثرى ووردن^(١) بما روّدتني مُتمتعا
ولو أنني أنصفتك الوُدَّ لم أبتَ خلافك حتى تنطوي في الثرى معا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيشَ في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

الأموية والعباسية، تقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبراً معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرضِ خُطتْ للسماحةِ مضجعا
وياقبراً معنٍ كيفَ وارىتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٍ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنيينُ المسكارمِ أجدعا
وأنا أقولُ إن هذه الأبياتِ أرثى ما قيلَ في الجاهليةِ والاسلامِ .

وقالوا أرثى بيتَ قيل قول مهلهل في كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلُّ عظيمه لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفاً إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرثى قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جديمةً حقبه من الدهرِ حتى قيلَ لن تصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا طولِ اجتماع لم نبت ليلةً مما

وليس في الحديثين أحسن مرثى من أبي تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد^(١) نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحتِ أخصك الحشرُ
فتى مات بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ إن فاته النصرُ
فتى سلبته الخيل وهو لها حى وبزته نارُ الحربِ وهو لها جمر
كانَ بنى نهبان يومَ وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبرُ
وكيف احتمى للسحاب^(٣) صنيعة بأسقائه قبراً وفي لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختار .

(١) في ديوان أبي تمام «والحمد» . (٢) في الاصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

إدريس ضاع المجد بعدك كله
وضل بك المرثاء من حيث يهتدى
وتبسّط كفاً في الخطوب ^(٢) كما سما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بني حميد :

عهدى بهم تستنير الأرض انزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيا الشماتة إعلاناً بأسد وغي
وقوله أيضاً: إذا فقد المقود من آل مالك
خيلبي من بعد الأسي والجوى قفا
ألماً فهذا مصرع البأس والندى
ألم تريا الأيام كيف فجعننا
خطوب اليه من نداءه وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك. وقد أحسن القائل:

ومميته يحيي ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الفأل حين رزقته
الى ردّ أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن الفأل فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

وجفن سلاح من معدّ رزقته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أنسأته لياليا

(١) أي قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادة أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
ان الفجعة بالرّياض نواضراً لا أجل منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلها
لغدا سكونهما حجا وصباها حلماً وتلك الأريحية نائلها
ان الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرّاً كاملا
ثم قال بوسيه :

ان تررّ في طرفي نهار واحد رزّمين هاجا لوعة وبلا بلا
فالتقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن يؤسبك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواظ قادهالك سمحة اسجاح لبك سامعاً أو قائلها
هل تكاف الأيدي بهزّ مهنّد إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للعرب مرتبة أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثى فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمره مُنكوب^{هـ} على آثارهنّ مُنكوب
هوت أمه ما يبعثُ الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
حليم إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الاصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الاصل (سمخت) . (٤) في الاصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف بهتره للندی
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدت تمانى انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دعا نمان من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا
ومن عجب المرأى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
فقل للمطايا قد أمنت من الشرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجمفر
وقل للمطايا بعد فضل تعطى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
ومن جيد المرأى قول الآخر :

سأبكيك للدينيا ولالدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية^(٢) حين صاب :
عبلو فى الحياة وفى المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كان الناس بعدك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان براً جواداً ، نغم عليه عز الدولة أمراً
فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحق تلك) .

كانك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصَّلَاتِ
 مدتَ يدك نحوهم جميعاً كدَّ كها اليهم بالهباتِ
 ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أن يضمَّ علاك من بعدِ الماتِ
 أصاروا الجوقَ قبرك واستنابوا^(١) عن الأَكفانِ ثوبَ السافياتِ
 فلم أرَ قبلَ جدعك قطُّ جدعاً تمكنَ من عناقِ المَكْرُماتِ
 ومن جيد ما قيل في عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم في نمشه قوموا انظروا كيف تزولُ الجبال
 وقول أبي تمام:

بني مالك قد نيهت خاملَ الثرى قبورٌ لكم مستشرفات^(٢) المعالمِ
 رواكد قيد^(٣) الكف من متناول وفيها علاً لأيرتقى بالسلامِ
 وقلت: سائل القبر كيف أضمرت قدساً وأباناً ويندبلاً وحرأً
 من رأى البدرَ بالترابِ تواري أوعلى ذروةِ النعوشِ تراءى
 وقال ابن المعتز وأحسن:

تعالوا نزرُ قبرَ الساحةِ والرِّفدِ ولا نعتذرُ من دمعِ عينٍ على خدِّ
 لقد عشتَ لم يعلقْ بملكِ ذمَّةٍ ومُتَّ على رِغمِ المحامدِ والمجدِ
 وقال أيضاً:

ألست ترى موتَ العليِّ والمحامدِ وكيفَ دفنًا انطلقَ في قبرٍ واحدِ
 وللدَّهرِ أيامٌ يُسْتَنَّ عوامداً ويحسنُ أن أحسنَ غيرَ عوامدِ
 وقال دعبيل بن علي الخنزاعي:

حنَّطتهُ يا نصرُ بالكافورِ ورفعتهُ للمنزلِ المهجورِ
 هلا يبعثُ خلاله حنَّطتهُ فيضوعُ أفقِ منازلِ وقبورِ

(١) في رواية (واستعاضوا). (٢) في الأصل (وذاكم مشرفات).

(٣) في الأصل (رواكد قيس).

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 فمرا على قبر المسود وانظرا
 فان يك واره التراب فكبرا
 ولانسا ما نوحا عليه مكررا
 فما كان قيس هلكه هلك واحد
 ولانحسبا انى اواريه وحده
 غدت داره قفرا ومغناه بلقما
 اشل وان الجود اصبح اجدما
 الى المجد والعليا كيف تخشما
 على الجود والمعروف والفضل اربعا
 ونوحا لفقد العارقات مرجعا
 ولكنه بنيا قوم تضعضما
 ولكنى واريت والندى معا

ومن بارع المرأى قول ديك الجن الحصى :

مات حبيب فمات ليث
 سممت عيون الردى إليه
 ما أمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم
 وغاض بحر وبانح نجم
 وهى إلى المكرمات تسبو

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناب
 يزاد عمرا نأ على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 له عن عدو فى ثياب صدیق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء وهن صدیق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

حتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملسها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فانت فى عرض الدنيا ترغبتها

دار إذا أنت الآمال تمرها
 جاءت مقدمة الآجال نخر بها

أصبحت تطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

وسيرُ إلى الآجال في كل لحظة
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقلت: ألسَتِ ترى موتَ العادل والفضائل
فما المنايا أغفلت كل ناقص
على الرغم من أنف العلاء سبق الردى
على أن من أبقته ليس بخالد
رأيتُ المنايا بين غاد ورائح
ولم أرَ كالدينا حبيباً مُضرةً
وقال ابن المعتز:

عجرت منه على الموت الخيل
وملوك بليت أيدبهم
وقلت: فتمجبتُ كيفَ لانهدرُ الموت
وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً وبومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
لك دُوب أطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركت نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محتومة
إلى أمدها كما تحث براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثانها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعروة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشقى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ، ألم تر أجزاءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها وبعضاً ويعود إرماها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثامه واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساءعاً لشبقه وقرمه إذ كر أن جسده وشيكا مفارقك وأنه وإن جدده لمخلقك وأنك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تنك في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسها الجهال بد كر الموت وفجأته وبتناته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخزال المحالة عن دفعه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها من الأَعْظَم والأَعْصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض والأوصال سياتى رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة وفي الجوانح ررجرة وفي اللهوات غرغرة وفي الخلقوم خرخرة بالنزع الجاذب والعلن الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمى بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله نهى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول النمر بن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفل
يودُ الفتى طولَ السلامة والغنى فكيف ترى طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .
وقال بعضهم في معناه :

ما بالُ من آفته بقاؤهُ نغصَ عيشي كله فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماترأهُ من الأشياءِ نحلوا في الحلو
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤُ كما يشفى وإنَّ كانَ لا يجدي فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندي
توفي حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ
طواهُ الردي عنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصلِّدِ
ومامرئى أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلدِ
ولا بعته طوطاً ولكنَّ غضبته وليسَ على ظم الحوادثِ من مُعدى

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمع من سفرٍ فلقي غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتى قال فما فعلت امرأتى؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخى؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع
كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

يا أهل بكاؤ لقلبي القريح وللدُّموع الذوارفِ السفنجِ
راحوا يبجي ولو تطاوعنى الأُقدار لم تبتكر ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له الـــــــيومَ ومن كانَ أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمد يده من الجزع الذي كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أودى ابن أرطاة فارساً بصنعاء والليث الهزبر أبى الأجر
تأمل فان كان البكا رداً هالكاً على أحد فاجهد بكالك على عمرو
فسررى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجعم :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه على الناس حتى غيبته الصفائح
فأصبح فى لحد من الأرض ميتاً وكان به حياً تضيق الأباطح
سأبكيك ما فاضت دموعى وإن تغض فحسبك منى ما تحن الجوانح
كأن لم يمتم حتى سواك ولم تقم على أحد إلا عايك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وقيلها لقد حسنت من قبل فيك المدائح
وما أنا من رزء وإن جل جازع ولا يسرور بعد موتك فارح

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا

أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيت المنايا تصطفى سرّواتنا كأن المنايا تبتغى من تفاعره
فما كان قيس طاجراً غير أنه حتى أنفه من أن يضيع مجاوره
وطاب لورد الموت نفساً ولم يخم وقد ضاق بالنكس اللثيم مصادره
فصادف رق الموت حراً سميدعاً إذا سئل المعروف لانت مكلمره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه ويفنى الحياء المرء والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان قوت الموت سهلاً فرده عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر
وعزى ابن السكك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلس من السكر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا الأُم بيت قائته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردى . والجيد النزاع ، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل . وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بزه بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بداء فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها خوفاً ^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آفهم للناس . وقديين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرُسُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُمْ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْنَا بِهِمُ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبابين والجللاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقته^٢ دطاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إن الهجر بشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعت الرمح ^(٢) إذ قالوا قريش^٣ وشبهت الشائل والقبابا ^(٣)

(١) سقط من الأصل «خوفا» أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «ويدت الشائل والعتابا»

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحابا
وقال الخويدرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الأرض بأفغهُ الفتي وحنينهُ أبداً لأول منزل
وقد قالت الهمد : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذائك منها
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظنره وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرطابة والرطابة من الرحمة والرحمة من كرم
القطرة وكرم القطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :
لقربُ الدار في الاقتار خيرُ من العيش الموسع في اغتراب
وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تنفوت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الأرض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال يداوى
كل عليل بمعايير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا :
ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذمم من
كل شيء كرهه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كرهه الغذاء ولولا حب الناس
للاوطان لحرب أخابث الأرض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا أيت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جمد
وهل تنفضنَّ الريحُ أفنانَ لمتى على لاحقِ الاطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسمى مزاحم وقد ضربتهُ نفحةٌ من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه ، والخويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فإنه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سلمي
وما دهري يحب تراب أرض

وان كانت بوادها الجدوب
ولكن من يحمل بها حبيب

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمة
فقد ألقته النفسُ حتى كأنهُ
وجبَّ أوطانَ الرجالِ إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وقد ضامني فيها اللثيمُ وغرني
فإن أخطأتني من يمينك نعمة
وقلت في نحو من ذلك :

ثوى في حفرة العاناتِ يمن
وإن تهوَّ البقاع فليس غرواً

تغلغل في المنازلِ والرِّباع
هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فإذا تصوَّر في الضميرِ وجدتهُ
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظُ واتعل كل شيء ظلّه ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدنا ميلاً ويرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقي
عليها كسائه ويجلس يكتبال ربيع فكأنّه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رملتهُ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من النلِّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذلِّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثراً في التناي
فكان الخيرُ أكثر في التنادي

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى فسرت مع الوسواس في عنان
 ألا لله حزمٌ واصطبارٌ تقاسمه بنياتُ الزمان
 عزيزٌ أضمرته نوى شطون فظل من المهانة في ضمان
 يناطُ إلى العزيزِ إذا نبوى بمنزل غربةٍ طرف الهوان
 وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنُّ النجيبُ إلى عطنه . وقلت :
 إذا أنا لا (١) اشتاقُ أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن اشتاقَ أولَ منزلٍ عنيتُ بخفضٍ في ذراهُ ولسين
 وروضِ رعاهُ بالأصائلِ ناظري وغصن ثناءهُ بالفسدةِ يميني
 وقال ابن المولى :

سررتُ بحمفٍ والقرب منه كما سرَّ المسافرُ بالاياب
 كمطور ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
 وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمُ كمطور ببلدته فسراً أن جمعَ الاوطانَ والمطرا
 وفضلَ بعضهم السفرَ على المقامِ واحتج بقول الله تعالى (عليمٌ أن سيبكون
 منكمُ مرضى وآخرونَ يضرُّونَ في الأرضِ يبتغونَ من فضلِ
 الله وآخرونَ يُقتلونَ في سبيلِ الله) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها
 في البعد ، وقال تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرضِ
 وابتغوا من فضلِ الله) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً
 دون أرض ولا قرباً دون بعد ، ويُشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخلوقٍ لدياجتيهِ فاعتربُ تنجددِ
 فاني رأيتُ الشمسَ زِيدتُ محبةً إلى الناسِ اذليستُ عليهم بسرمدِ
 وقال (٢) في الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم اشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلة^١ والبركات^٢ في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .
 وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويننا يكسب الضنى ، وقال أبو المعاني :
 وإنَّ التواني أنكحَ المعجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرا
 فراشاً وطيباً ثمَّ قال لها انكبي فقصرنا كما لا بُدَّ أن تلد الفقرا
 وقال نُهيك بن أساف :

أمُّ نُهيك إرفى الطرفَ صادقاً^(١) ولا تياسى أن يثرى الدهر بائس
 سيفنيك سعي^(٢) في البلادِ وغربتي^(٣) وبعل التي لم تحظَ في البيتِ^(٤) جالس
 وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكرم بن
 صيفي : ما بودني أتى مكفى وأتى أسمنت وأيذت، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة المعجز .
 وفي الحديث المرفوع « سافروا تنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :
 فانَّ تآتيا في بالشتاء وتلمسا مكان فراشى فهو بالليل بارد
 وقال آخر : أبيض بسام يروء مضجعه والقمم الفرد مراراً تشبعه
 وقال الخطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
 وقال أبو عبادة البحرى :
 وقد سألتُ فما أعطيتُ مرغبةً وكان حقى أن أعطى ولم أسل
 أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاء به فاعجب لاخطاء رام من بنى مُعل
 أسيرُ إذ كنت في طولِ المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرتحلى
 شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأينق الذمل

(١) في الأغانى (صاعدا) . (٢) في الأغانى (سيرى) . (٣) في الأغانى
 (ومطلبى) . (٤) في الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ
 مختلفة وزیادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .
 (٦) فى ديوان البحرى « فما أعدو » .

ولا تقل أمم شئ ولا فرق (١) فلا أرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحلَ صاحبي كأن المنايا في المقام يناسبه
أخذه من قول الأعمش : * وكم من رد أهله لم يرم * والأول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسرى يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فإنه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولائمت هزالا بجرآن نعاوى كلابها
فقد خبر الركب أن جدیده تباح ورغفانا شباعاً رغابها
وماء فرات ما شتهيت وقربة تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أتباع رُغفان خالد بأرواح نجد ما أقام تراها
إذا باحت بالمرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بُغاييني نمر كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس
به حراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برقٍ على قَلل الحمى ليهنك من برقٍ على كريم
لمت اقتداء الطرفِ والقومُ هَجَّعَ فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من مُعير طرفَ عين خلية فانسان طرف العامرى كليم
رمى قلبه البرقُ اليماني رميةً بذكر الحمى وهناً فبات بهم
قال فقلت ان فيابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقى .

(١) في الأصل (شقق) .

وقال عبد الله بن محمد الفقعسي :

ألا ليت شعري هل آيتنَّ ليلة
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(١) السراب الطلح بيني وبينه
فاني لأرعى النجمَ حتى كأنني
وأشتاقُ للبرقِ الميماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياءُ وأنني
مسيرى مع الفتيان في طلقِ الهوى
فلم يبقَ من تلك^(٢) اللذازدةِ عندهم
وقال أعرابيٌّ :

أُمغترباً أصبحتَ في رَأْمِهْرٍ مُزٍ
إذ أراحَ كعبٌ مُصعداً انَّ قلبه
وانَّ الكثيبُ الفردَ من أيمن الحمى
تفوقتُ ذرات الصبا في ظلاله
إذا هبَّ عُلوىُّ الرِّياحِ استمالني
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاءُ عليكَ أمراً
فمالكَ قد أقيمتَ بدارِ ذُلٍّ
تبلغُ بالكفافِ فكلُّ شيءٍ
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى
رضيتُ من السلامةِ بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحرى :

وكان رجائى أن أووبَ مَمْلُكاً فصارَ رجائى أن أووبَ سليماً

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أخ لي كأيام الحياةِ أخاؤه تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةٌ فهجرته دعنتى إليه خلةٌ لأعيبها

وقال البحرى :

قدمت فأقدمت الندى يحمل الرضا إلى كل غضبان على الدهر عاتب
وجئت كما جاء السحاب^(٢) محراً كما يدبك بأخلاف تفى بالسحاب
فمادت بك الأيام وهى كواكب^(٣) جلا الدهر منها عن حدود الكواعب
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همتى إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتب
فياخبر مصحوب إذا أنا لم أقم بشكرك فاعلم أنى شراً صاحب
وكتب بعضهم : است أذم من أيا مننا إلا قصرها وطول الحمرة على أثرها .

وقريب من المعنى الأول قول الآخر :

خليل إذا ما جئت أبعيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهى بمائه
بلوت رجالاً بعده فى إخوانهم فما ازددت إلا رغبة فى إخوانه

وقال دعبل بن علي :

أخ لي عاداه الزمان فأصبحت مذممة فيما لديه المطالب
متى متذوقه التجارب صاحباً من الناس رده اليك التجارب

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) « ما » ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحرى (الربيع) .

(٣) فى الديوان « الايام زهراً كأنها » . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للناثبات إذا هب الزمان باذره هباً
لما رآني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضاً :

ولكن الجوادَ أبا هشام وفي العهد مأمونُ المغيب
بطيءُ العهد ما استغنيت عنه وطلّاعٌ عليك مع الخطوب
والبيتُ الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *
ونحوه قول إبراهيم أيضاً :

أسدٌ صار إذا هيجهتُ وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أترى ولا يعرفُ الأذنى إذا ما افتقرا
وقال أيضاً :

ولكنَّ عبدَ اللهَ لما حوى الغنى وصارَ له من بين اخوانه مالٌ
رأى خلةً منهم تسدُّ بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أترى باخوانه فقلل عنهم شبيه العدم
وذكره الجزمُ غيبُ الأمور فبادرَ قبلَ انتقالِ النعم
ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقي فصار
عديك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرها حتى تستقر
النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحنُ في غفلات عيش^(١) كأنَّ الدهرَ منها في وثاقٍ
وأياماً لنا وله^(٢) لدانا عريناً^(٣) في حواشيها الرقاقِ
وفي هذا الموضوع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكي بعمده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عريبا»

أيا منا ما كنتِ إلا مواهباً وكنتِ بأسعافِ الحبيبِ حبايباً
سفرُ بٌ تجديدهمهدك في البكا فما كنتِ في الأيامِ إلا غرائباً

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ^(١) حسامٌ منتضى يزينُ في السلمِ ويكفي في الوغى

وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسامِ أكنى وأغنى من أخٍ ذي كفايةٍ وغناءٍ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ يعتريه وزينةٌ في الرِّخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراهُ الصديقُ بدالهُ بأرضِ الأعدى بعضُ ألوانها الربدُ

ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمسْتَبِقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثِ أيِّ الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لاتعاتبه
فحسٌ واحداً أو صلَّ أخاك فانه مُقارِفُ ذنبِ مرَّةٍ ومجانبه
إذا أنتَ لم تشرَبْ مراراً على القذى ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربه

وقال آخر : إلبس أخاك على تصبُّه

ما ظلتُ ألخصُ عن أخي ثقةً

وقال آخر :

ومنَّ ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها كفى المرءُ نبلاً أن تُعدَّ معائبه

وكتب صاحب في فصل : وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس المساء

ولم يرق الهواءُ ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرمُ أخلاقُ جددٌ غير

(١) في نسخة « الصديق » .

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً
ان ذاك الصدود من غير جرم
لم يدع في موضعاً للوصل
لا عدمنكم على كل حال
إذ رجونا إلى احتمال الملل
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً
ترى يضرُّك أن لو
لا تبلننا بصدود
بل مالنا منك بُد
وليس منك جزاء
يكون منك وفاء
إن الصدود بلاء
فاصنع بنا ما نشاء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبتَهُ
الله يعلمُ أتى لستُ أذكره
إني وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ
وكيفَ يذكره من ليس ينسَاهُ

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهيدِ طعمُ إخوانه
كأمنية الملهوفِ حزماً وناثلاً
له نعمٌ عندي ضعفتُ بشكرها
تحملَ عنى شكرها فأراخني
إذا اختلفتُ بيضُ الليالي وسودها
وعوناً على عمياءٍ أمرٍ بكيدها
على أنه في كلِّ يومٍ يزيدُها
وللشكر مرقاةٌ كزودٍ صعودها
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الرأوية (١) :

(١) هو حماد بن ساور بن المبارك ، كان طالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتنا . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فخطب عند بني أمية ، قال له الوليد الأموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال باني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفي دونِ ما أوليتِ ما اجتهدَ الشكر
ومن مليح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ نحرثي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقى
فلاغفرنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السَّبِقِ
حتى جنابتهُ بما فعلَ المشيبَ بمفرقي

(في ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك)

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمُ وبقيت في خلفِ كجلدِ الأجر
وضمَّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهمُ فكأنتي حاولتُ تنفَ الشعرِ من آناهمُ
قمٌ فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّني ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمُ
وأنشدنا أبو القاسم عن العسدي عن أبي جعفر لأبي الشيبس :

وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتُ إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول عني وكان ينظرُ منْ
وكانَ لي مؤنساً وكنتُ له
حتى إذا استرفدتُ يدي يدَه
عيني ويرمي بساعدي وبدي
ليس بنا حاجةٌ إلى أحدٍ
كنتُ كمسترفدٍ يدَ الأسدِ

ومن جيد ما قيل في ذى الوجهين :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصحٌ
لسانك لي شهيدٌ وقلبك علقمٌ
أراك إذالم أهو شيئاً هويته
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولايَ طحتَ كما هوى
كأنك ان قيل ابنُ عمك غانمٌ
بدا منك غشٌ طالما قد كتتمته
وقريبٌ من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو
ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فنزل بآل
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنيةً عاليةً فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان الساحة والندي
فقد أصبحت أضياف آل عطارد
جبال وما شدي بخير شعابها
واكن فتيانا تسوي ثيابها
خاصاً مطاياها خفافاً عبابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيتَ بُرداً وُحلةً
فما يكُ من خيرٍ فما تستطيعه
وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتلٌ
وما أكثر أحدٌ في ذم الزمان
وإذا افتقرت فكلهم لي جافي
اكثر ابراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كَمْ أَخْ كَانَ مِنِّي فَلَسَا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ جَفَانِي جَفَانِي
 مُسْتَعْدُّ لِي بِسَهْمِ فَلَسَا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ رَمَانِي رَمَانِي
 وَقَالَ غَيْرُهُ : إِحْذَرْ مَوَدَّةَ مَا ذِيقِ شَابَ المرارةَ بِالْحَلَاوَةِ
 يُحْصِي العيوبَ عَلَيْكَ إِسَامَ الصَّدَاقَةِ لِلسَّادَةِ
 وَقَالَ إِبرَاهِيمُ :

بَلَوْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانَ وَكُلُّ بَلْوِمٍ وَذَمٌّ حَقِيقٌ
 فَأَوْحَشَنِي مِنْ صَدِيقِي الزَّمَانَ وَأَنْسَى بِالْعَدُوِّ الصَّدِيقِ
 وَقَوْلُهُ : أَخْ كُنْتُ آوِي مِنْهُ عِنْدَ أَدِّ كَارِهِ إِلَى ظِلِّ آبَاءٍ مِنَ العَزْرِ بِاذْخِ
 سَمِعْتُ نَوْبَ الأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَقْلَعَنْ مَنَا عَنْ ظُلُومٍ وَصَارِخِ
 وَإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا كَلْتَمَسَ إِطْفَاءَ نَارٍ بِنَافِخِ
 وَقَالَ بَعْضُ الجَمْعَرِيِّينَ :

إِنَّ الجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ أَفْسَدَ النَّاسُ
 فَلَا يَغْرُنُكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يُرَكَّبُ الدَّيْرَ الدَّامِي بِاحْتِلَاسِ
 قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ زُفَرِ بْنِ الحَارِثِ :

وَقَدْ بَنَيْتُ المَرْعِيَّ عَلَى دَمِ الثَّرَى وَتَبَقَى حِرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
 قَالُوا بِعَنِي الرَّجُلُ يَظْهَرُ لَكَ الوُدُّ وَيَضْمُرُ خِلَافَهُ كَالنَّبَاتِ الحَسَنِ يَنْبِتُ عَلَى
 التَّقْدِرِ فِيصِيرُ رَائِقَ الظَّاهِرِ خَبِيثَ البَاطِنِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : الدَّمْنَةُ حَيْثُ تُنْزَلُ
 الأَبْلُ فَتَدْمُنُ بِالأَبْوَالِ والأَبْعَارِ فَلَا تُنْبِتُ شَيْئًا فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ المَهْدُ وَسَقَمَتْ الرِّيَاحُ
 وَأَصَابَتْهُ السَّمَاءُ نَبَتَ بَعْدَ حِينٍ ، فِيقُولُ قَدْ يَنْبِتُ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَنْبِتُ وَيَتَغَيَّرُ
 بِالنَّبَاتِ وَتَبَقَى حِرَازَاتُ القُلُوبِ لَا تَتَغَيَّرُ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ أَلْفَاظَ
 البَيْتِ تَقْتَضِيهِ والأَوَّلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَقْتَضَاهَا .

وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ فِي ذَمِّ الأَخْوَانِ فَأَجَادَ :

تَنَاسَانِي الأَصْحَابُ إِلَّا عُصْبِيَّةً سَتَلْحَقُ بِالأُخْرَى غَدًا وَتَحْوَلُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناسِ سبباً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه (١)
ومن ذا الذي يبقى (٢) على الدهر إنهم
وصرنا نرى أن المترك محسن
أقلب طرفي لا أرى غير صاحب
وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلِي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدي
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لذكك البصرى لنفسه يذم الزمان:

يا زماناً أبسَ الاحـرارَ ذلاً ومهاناً

لست عندى زمان إنما أنت زمانه

وقلت: زمانُ كثوبِ القولِ فيه تلوُّنٌ
وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حلالاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ

يقولونَ الزَّمانَ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسَدَ الزَّمانُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن حريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالى بارْتِفاعِ الأَسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزَّمانِ وأهلِهِ
تقل لاعبُ هذا وليسَ بلاعبِ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله ». (٢) في الديوان « وإن الذي يبقى ».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدلَ هذا الدهرَ فيما رَجَوْتَهُ على أنه فيما أحاذره نَدْبُ
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :
لا تعجبنيك عمامتي فالفقرُ من تحتِ العمامةِ
والفقرُ في زمنِ اللثا لم لكلِّ ذى كرمِ علامه

وقلت في قريب منه :

وليسَ ينفكُ كسُخَّانٌ يجاذبنا علامةُ الحرِّ أن يبلى بكسُخَّانِ
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :
ربُّ قد ضاقت النفوسُ وقد قلَّت الحِيلُ
فلكُ لا يدورُ إلا بما تشهى السفلى

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبٌ حتى ليسَ فيها عجائبُ
ومن عادةِ الأيامِ أنْ صُروفاها إذا سرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذي بصروفِ الدهرِ عيرنا هل تاندَ الدهرُ إلا من له خطرُ
فإنْ تكنْ نشبتْ أيدي الزمانِ بنا ومسننا من تمادى بُؤسه ضررُ
ففي السماءِ نجومٌ غير ذى عدد^(١) وليسَ يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
وقريبٌ من هذا ما قلته :

إن كنتَ تسلم من شغبِ الزمانِ ولا أعطى السلامة منه كلما شغبنا
فالعاصفاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ حطمنه وتركن البقلَ والمشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالي حقوقهمُ عني
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم مسي
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوي (١) :

ليَ خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخضع بهمُ ثوبَ الفقير
كلهمُ كالَ ليَ الحرَ مانَ بالصاع الكبير

ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سألتُ قفيزينِ من حنطة فجدتَ بكُريٍّ من المنعِ وافي

وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالكُ يدٌ من مداراته
أصبحت في دار إيسآته أعداد أنفاسي وساعاته

وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري (٢) :

ليتك أدبني بواحدة تقمعي منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لي لاتبرئني (٣) أبداً فانَّ فيها برداً على كبدي
اشف فوادى مني فانَّ به على قرحاً (٤) نكأته يدي
ان كانَ رزقي اليك فارم به في ناظري حية على رصدِ
فكيفَ أخطأت لَأصببت ولا تهضت من عشرة الى سدد

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواجر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لاتبرئني » .

(٤) في الأغاني (منى جرحاً نكأته) .

لو كنت حراً كما زعمت وقد
 لكنني عدت ثم عدت فان
 قد صرت من سوء ما بليت به
 وقلت: العين تذرف والفتواد يذوب
 ولقلة الكرماء أنت مُضَيِّعٌ
 تالله لم تخطفك أسباب الغنى
 فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى
 عابوا قطوبى ان تعذر مطلي
 وشحوب جسمى من مواصلة السرى
 واقعد يدك على كمال كرامتى
 ولقد جلا حزنى وفرج كربى
 لاتلمبن فن ورائك طالب
 وقال أبو تمام:

هب من له شيء يريد حجابهُ
 مازال وسواسى لقلبي خادما
 ما ان سمعت ولا أراى سامعاً
 ما كنت أدرى لادريت بأنه

كددتنى بالمطال لم أعد
 عدت إلى مثل هذه فعد
 أكنى أبا الكلب لأبا الاسد
 والوجد يحضر والعزاء يغيب
 ولكثرة الجهال أنت غريب
 إلا لأنك طاقل وأديب
 أن ليس يدركه أغر نجيب
 أرايت بدراً ليس فيه قطوب
 هل من هلال ليس فيه شحوب
 أنى الى قلب الكريم حبيب
 أن اللثيم لرؤيتى مكروب
 ومن العجائب لآعب مطلوب

ما بال لاشيء عليه حجاب
 حتى رجا مطراً وليس سحب
 يوماً بصحراء عايتها باب
 يجرى بأفنية البيوت سراب

(فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
 حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
 فى حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
 القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة إذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعمم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فأنى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شبك السكرام بصطادون بها محامد الاخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة الخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألحق معروفه عندى بالوعد ونتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبهه بالتههد وهرمه باستتمامه من جهاته وهناه بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء فى الحث على الانجاز ما حدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يمتوت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المعدل قال شكركا رجل جمعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواءً فى الأتوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فان أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأتمجد الوعد وإلا قصر القول فانه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزره بالوعد أن يثمر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبى تمام :

نومُ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمارُ موعده قصار
تحنُّ عذاته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المفيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
ابن الضحاك الخليلع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :
فلا فرحَ المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
أُعِينك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجدِ
فما لى شفيعٌ عندَ حُسنك غيرهُ ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
أبيخلُ فرد الحسنِ فرد صفاتهِ على وقد أفردته بهوى فردِ
فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى اللهُ عبد الله خير عباده فما لكُ واللهُ أعلم بالعبدِ

قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا أنى
نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد في
تشبيهه فذكرنيه . وما أحسن ما قاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
قبحه على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجل .

﴿ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زهير في قوله :

تراهُ إذا ماجئته مُتهللاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله
ولو قال مكان « إذا ماجئتهُ » « إذا ماسأته » لكان أجود .

ومن الجيد في ذلك قول أبى نواس :

بشراً قبل النوال اللاحق كالبرق يبدو قبل جود دافق
والغيث يخفي وقعه المراق إن لم يجده بدليل البارق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزل الأمل البعيد يبشره بشري الخيلة بالغيث^(١) المفق
وكذا السحاب قلما تدعو إلى معروفها الرؤاد مالم تبرق
وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كلزنة استؤنفت أولى مخيلتها ثم استهلّت بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطري قلت للبحترى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمرى واسكن سارضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد^(٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحاب ما بدان بوارقا في عارض إلا نئين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلا نئين مواطراً ثم رده فقال :
إنما البشر روضة فاذا أعقب بدلاً فروضة وغدير
وقال البحترى :

ملك عنده على كل حال كرم زائد على التقدير
وكاننا من وعده ونداه أبداً بين روضة وغدير
وقال : ضحكات في إثرهن العطايا وبروق السحاب قبل رعوده
وله أيضاً :

متهلل طلق إذا وعد الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل
كلزن إن سطعت لوامع برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولي لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالربيع). (٢) في ديوان البحترى (بعوائد).

لست تلاقى سائلاً برءٌ نعيد بشر سؤدد ونبدى
كالبرق يأتيك أمام الرعد بشرى الغيوث بحجاب رغد
يلقى بك الطالب نجم السعد بلفت فى الاعمار أقصى المد

(فصل فى تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبى صالح محمد بن عبيد الله يتأ غلط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقبل بعلب نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر معلب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقتها مدامعٌ حقلٌ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخص الذى كان نزهة يحصنه ستر من الله مسبلٌ
لماذا هتكت الستر عنك تعمداً ولست بحمد الله ممن مجهلٌ
رأيتك قد عميت يتأ رسمته بكل خطأ فهو مثلك أحولٌ
وكان لتبول الفؤاد معذبٌ أخى حسرة بالهجر والصدى يقتل
فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتامل
إذا قلت أسلو دامت العين بالبكا دماءً وحقتها مدامعٌ حقلٌ

وعى حمزة الأصفهاني على أبى جعفر محمد بن أيوب يتأ رسمه :

نرجس خيري بنفسج حماحم شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين
زعفران تمام سوسن أفرنحمشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين تمام منشور

خيرى منشور اقحوان زعفران سيدسنبه خز امى بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا يغلى أخُ لك لم يزلْ بعدك ذخراً عند كلِّ جليل
إلى أن قال :

فقالَ وقد جابَ البلادَ فلم يجدْ أبا ثروةَ يسخى لهُ بقتيل
كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ مصابيحَ تزهوُ منه انقادا
وتج^(١) فما شكَّ ذو ناظرٍ رأى سيلهُ أن فيه مرادا
فعمَّ بشربوبه سادى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار لصفِ الزمانِ إذا ما تمادى
فداؤك نفسى وإن سمئى غناءً طويلاً حماني الرقادا
أتنى الطيورُ فسارتنى بيت تعمت فيه عنادا
إلى أن تمكنتُ من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلتُ لها غردى بالذى كتمتِ فأسرعنَ نحوى انقيادا
وأنشدتُ بيتاً معادَ الفصولِ ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلٌّ ومن قلَّ ذلٌّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا
أردتَ سقاطى فما نلتُهُ فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاك ربى بقاء النعمِ عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعبي :

دمعي على الخلد سكبُ ونارُ شوقي تشبُّ
وليس ييتي على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
وإذ شبابي لدنٌ وغصنٌ قدّي شطب
يا جعفر القوم يامن يدعي إذا جلّ خطب
فذاك عبدٌ مشوقٌ إلى لقائك صبُّ
أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لدى وقرب
أخلط طيب أنتني منها يمينٌ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تجبو
عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبُّ
أوردتها نار فكري ففاح شرقٌ وغرب
وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
فقلت بالشّم مالم ينله عجمٌ وعرب
بيتا كما اهتز روضٌ أو أكل الوشي عصب
شيبٌ وسنٌ وجهلٌ هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نالَ الوري ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلٌ بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهفٌ وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضَّ دهرٌ غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجمل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا

مضت الكلمة تدبير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكررت منها وأكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر أكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكررت ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل واليئ وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها انه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبدأ أن فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة التريخية وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه عُسى له قول الشاعر :

وكن ذا كراً يبت النوبيع إنه سيحلو على سمع اللبيب ويمذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر.
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النوبيغ) وفي قوله (اللييب) فلما صحت الألف
واللام رأيت اللام قد تكرر فعملت أنها لا تكرر إلا في مثل اللييب واللطيف
وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت وييد وييدش
وييضُ وييع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة واو فلما صح (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها ها وان الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذا كراً » لأن الذال ظهرت في
يعذب والالف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والالف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافي يديه ملتماً وكنتُ أشكو اليه ضيقَ يدي
أحصت ألوفا يسراهُ أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفي هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفرُ تحمرُ أطرافه يا أحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يأنم
وهو على ما كان من ذلّة سُسى باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصر قيام
وقات: وميت لا يسكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعدما ماتا
وميت غيبوا في الأرض جثته عمدالكي يجعلوا الأحياء أمواتا
الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعرٍ مُورى
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنٌ فنا لؤلؤةٌ منك قد تقبناها
وكرمةٍ من أيبك منبتها حتى اذا أينعتُ قطفناها
تخبرنا ماها وما سُبلٌ تشعبت منك قد سلكنها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
 فان تصبها فانت ذو فطنٍ وحاجتي أن تصيب معناها
 فقال أيها الأمير انه كلامٌ ردىءٌ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فالأخت وأما السبيل التي تشعبت
 فالأم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخريذ كر دعوة يدعو بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرض تبغى محلاً ولم يقطع بها البيد قاطعٌ
 سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 تكرر وراء الليل والليل مظلمٌ إذا قرع الأبواب منهن قارعٌ
 اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامعٌ
 وانى لأرجو الله حتى كأنى أرى بجميل الظن ما الله صانعٌ
 ﴿ أحسن ما قيل في تقصيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خالد
 الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فنلقانا العدو
 فخاص الناس حيصه^(١) فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 نظر في وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لوعرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأبيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال « بل أنتم الكرارون »
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يا رسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
 (إلا متحراً فاقْتَالَ أو مَتَحَبِّراً إلى فَيْتَةٍ فَقدَّ بَاءَ بِقَضِيبٍ مِنَ اللَّهِ).
 وباسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبى مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبى مسلم؟
 قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجمل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجملنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد
الله العتيبي قال قبل رجل يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها
في المسكارم وطهارتها من الماء ثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيل الصدق شعبي الرفق
فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فجعله الله طريداً خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس
في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثل
فبسطتها للفني وسطوتها للأجل
وباطنها للندي وظاهرها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت هزيبا
فامدد إلى يدآ نعوذ بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل
وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن مقبلٌ وباطنها عينٌ من الجود عيم
هو البحر لآعين من الجود عيلمٌ عفاء على عين من الجود عيلم
يجل عن تقبيل ظاهر كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن
العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة
ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تحدد فاعفني من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله النمري عن الضحاك بن
مُخَلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمَ فإن قام والقومُ جلوساً فليسلمَ فإن الأولى ليست بأحقَّ
 من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله
 ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الردِّ عليك
 إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يرُدَّ عليَّ فاذا رأيتني هكذا فلا تسلمُ عليَّ فانك
 إن تفعل لا أرددُ عليك السلامَ « وعنه عليه السلام « تمامُ التحيةِ أخذُ باليدِ » وحدَّثنا
 أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جدته عن مكعب الأسيدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ

سلامِ الآلهِ وريحانهُ وروحِ المصلينِ والصائمِ

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ نحيبةُ الموتى » قال المصنف تقول

العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشرٍ سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ الفتى سيراً إلى الموتِ قاصدٌ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحمنا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن

الكناني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيدٍ فخرٍ لدى المحضر

فأنت المهدبُ من هاشمٍ وخير قريشٍ إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يده

وهما مسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين

يُطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء » كما في جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قل فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
 فهذي ثيابي قد أخلقتُ وقد عضني زَمَنٌ من منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودفا بغيرها ودفعها إليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الإنكار على عافاك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالإشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الأسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى البقيع فقام فضلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يرث عليهم قال كان يشير إليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأودي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لابي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا قتلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيورُ
 وما كنت أدري أن في الخير ريبية ولا أن رجماً بالسلام يضير

﴿ ما جاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاهة عن ابن
 (٢٨ - ثاني المعاني)

أبي ليسى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ أحدهُما صاحبه تناثرتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن: المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناس اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصاحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قبَّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فإنه قال يا أمير المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يُقبَّل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسعى بها المؤمنون فبسط المتوكل يده فصاحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :
تصاغت الأُكفُ وكان أشهى لنا لو تصاغت الخدودُ
نمت إذا التقى كفٌ وكفٌ فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصاغت من لاقيتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوى منى لمن لم أصافح
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّت بنا ممسوطاً كوراً على بقل
قد نطقت في كفها نقطة مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصاغت له فقال دع كفى وخذ رجلي

﴿ حياك الله وبياك ﴾

مغنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي بياك

أضحكك ، وقال على الاصحى أرادوا بؤاك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الاعرابى معناه قصدك بالتحية ويديت الشيء قصده
 واعتمده . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن ابراهيم بن بشار الرمادى
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال اتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلى قال نزل الطماح العميل
 بقوم من بنى تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرِ إحسانكم كذا يجبُ
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهبُ
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحبُّ أكثر ما يأتى على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعارة :

حياً الآله خيالها من دانٍ لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كانَ عَرَجَ أو تَعَلَّ ساعةً حتى نَسائِلُهُ عن الأوطان
 كفانٍ شيدنا بناءَ محامدٍ لمهذبٍ هسَّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكهولٍ وحلهم وتقامُ وحلاوةَ الغنيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حياك من لم تكن ترجو تحيته لولا الدراهم ما حياك إنسان

(قولهم مرحباً)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يزيد المبرد النحوى عن أبي عثمان
 المازنى قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون يا ابن الأكرمين حسبا لما ترحلت و كنت كئيبا
 من أرض بغداد تؤم المغرباً طابت لناريج الجنوب والصبيا

ونزلَ الفَيْثُ لَنَا حَتَّى رَبَا مَا كَانَ مِنْ نَشْرِ وَمَا تَصَوَّبَا

فمرحباً ومرحباً ومرحباً

فقال الرشيدُ وبك مرحباً وأهلاً ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً باين ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً باين ذى الفرّتينِ فى الدّولتينِ

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً باين ذى المحتدينِ فى المصرينِ

مرحباً مرحباً بمن كفه البحرُ إذا فاضَ مُزبدِ العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحباً فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى (١) :

وبالسهل ميمون النقيمةِ قوله للتمس المعروفِ أهلُ ومرحبُ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن

الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا

وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسنتُ إذا أنتَ لم تخلطُ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شذوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لا يباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت

قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدير الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومرورته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جرى برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنوية ، قال وأنشدني ثعلب :
فمالك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام
وقلت : تضنُّ بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجي جودك كفيك بالوفر
وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام
ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي
قرطستُ عشراً في مودته لبلوغ ما أملت من طلي
ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحررت العود د بمضراها فغنت وغمي
ليتني كنتُ ظهر عودك يوماً فاذا مأخذته صرت بطنا
فبكت ثم أعرضت ثم قالت من بهذا أنباك في النوم عنا
قلت لما رأيت ذلك منها بأبي ما عليك أن آمني

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي
فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .
فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن
عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه
ويسقم بصحته ويؤتى من آمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نقص عيشي كله فناؤه
وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألت به كيف حاله
ياقريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صدوده حين يرحى وصاله
مسعدٌ لي مقاله فانك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

﴿ ماجاء في أطال الله بقاءك ﴾

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاعة بن رافع قال شهدت نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن بكر الموءودة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون موءودة حتى يأتي عليها الخلات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاءك .

قال ابن هـيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظماً ثم لحمأ ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاءك كما أطال جفاك وجعلني فداك إن كان في فداؤك - شعر :
كنت ولو قدرت هوى وشوقاً اليك لكنت سطرأ في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبي تمام .

﴿ جعلت فداك ﴾

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما بعمدك جعلني الله فداك فقال

الذي عليه السلام « يازبير أماترك أعرابيتك بعد » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحق قال حجبتني خادم جعفر بن يحيى يقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عنى فعرفه سبب انقطاعى فقال قل له إن حجبتك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فجئت فحجبتني فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيتك أشكو أنا
 يحولون بيني وبين الدخول فما إن أسلم إلا اختلاسا
 وأنفذت أمرك في نافذ فما زاده ذلك إلا شمساً
 فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعات يا أبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم
 إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتب ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر في أخيه صقر :
 أخى أنت في دين ودنيا كلاهما أسرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُّ
 إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر
 فقيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
 قائله . فأما قولهم (وآتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدى بن الرقاع :
 صلى الآله على امرئ ودته وآتم نعمته عليه وزادها
 قالوا وأول من قال « وأسأله أن يصلى على محمد » إسحق بن سليمان بن علي .
 وأنشد للسرى في ضد قولهم مُتَّ قبلك وإن الحظ عنده أن يكون هو ومن
 يحبُّ يموتان في وقت واحد :

لا مُتُّ قبلك يا أخى لا باخلاً بالنفس عنك ولا تمتُّ قبلى
 وبقيت لى وبقيتُ فيك مُمتَّعاً بالبرِّ والنماء والفضل

حتى إذا قصد الحمام لنا
 من بعدِ مُحمِرٍ واردِ الجبل
 مُتنا جميعاً لا يُؤخِّرُ واحد
 عن واحدٍ لمرارةِ الشكل
 وكفاك من نفسى شهيداً ناطقاً
 يا صاحِ أنك عندها مثلى
 وفي نحو ذلك قول الآخر:

إني لأشفقُ أن أُؤخرها
 بعدى وأكره أن أقدمها
 وقال يعقوب بن الربيع:

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حمامها
 أحممُ في أمرى لشاطرتها عمرى
 فخلّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً
 فانت ولا أدري ومتى ولا تدري
 وقريب منه قول الآخر:

لامت من قبلى ولا مت من
 قبلك بل عشنا الى الحشرِ
 حتى نوا في الموت في ساعةٍ
 لأنت تدري بي ولا أدري

﴿ كيف أصبحت ﴾

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
 ابن حازم يقول: العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار،
 وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول، وتقولُ في يومك
 كان الليلة كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة، هذا معروفٌ عندهم،
 وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقولُ صبحتك الأُنعمه
 بطيبات الأُطعمه. وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمعى قال قيل
 لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحت كما قال الربيع بن ضبعم الفزاري:
 أصبحتُ لأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفراً
 والدُّبُّ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا
 وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقاله رجلٌ كيف أصبحت؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طنبيل القشيري (١):

أصبحتُ مالى من عزِّ أُوذٍ بهِ إلا التمرُّزُ بعد السيفِ والبدنِ
بعرَضَةٍ جانبِ الأُدُنُونِ جانِبِها والأهلُ بالشامِ والِإخوانُ باليمنِ
وأُشدُّنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبى زيد:

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُثبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكَرِيمِ
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسن بن
ابن الضحاك الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه يا أبا عليّ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقامت فاجدُ موسىاً وقد
لبسُ جبةً أخرى فقلت:

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ يا كَرِيمَ الإخاءِ والِإخوانِ
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلت:

إنَّلى حاجةً فرأيتُ فيها إننا في قضاها سَيانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت:

جُبةٌ من جِبابِك الخُرِّ حتى لا يرانى الشنأُ حيثُ يرانى
قال خذها، ومد كفه فذرعتهما وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك. وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخرومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر:

(١) شاعر إسلامي بدوي مقلِّد، من شعراء الدولة الأموية. وجلده قره بن

هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إنَّ الليالي أسرعت في نقضي أخذنَ بمضي وتركنَ بمضي

أقعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمرُ أرفعُ من ثوبي ما كنتُ أؤجرُ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تيمية الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تيمية؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله علي ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنوب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس است لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر. قال وقيل لقريبة الدبيرة كيف أصبحت؟ فقالت:

بخير علي أن النوى مطمئنةٌ بليلى وإن العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخير أحسب علي الله بالحسنة ولا

أحسب علي نفسي بالسينة. وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف

أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم.

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت بأباريعة؟ فقال ارتجالاً علي البديه:

أصبحتُ لا يحملُ بعضُ بعضا أشكو العروقَ الناييات نبضا

كما تشكي الأرجى الغرضا كأنما كان شيبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعمش:

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرقُ ومباني من سقم ومباني تعشقُ

ولكن أراني ما أزال بجادثُ أغادى بمالم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي المتاهية كيف أصبحت فقال:

أصبحتُ والله في مضيقٍ هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لذيّنا تلاعبتُ ببي تلاعبَ الموج بالغريريق
أصبتُ فيها دُرهماتٍ فبغضتني إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سميء الخال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غمٍ بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً أهولاً ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذاغربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
أطلبُ عُتبي من حبيب نأيٍ وليس لي عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجواز لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حرائة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قبص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيقٍ أنتظر سعةً وأنت في سعةٍ تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العبيد عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشعرة وأفزع من النعرة . وحدثنا عنه
 عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
 نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
 وكان يمر بالمجلس وهم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
 عقبه بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إلى لأصرفُ نفسي وهو ساديةٌ
 عن مصعبٍ ولقد بانَّت لي الطرقُ
 رعوى عليه كما أروعى على هرم
 قبلي زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ
 مدحُ الكرامِ وسعى في مسرهم
 ثم الغنى ويد المدوح منطلقُ
 ومثله قول حاجز الأزدي (١) :

وإني لأستبقي إذا العسرُ مسني
 بشاشةٍ وجهي حين تبلى الطبائعُ
 فأعفى ترى قومي ولو شئتُ نولوا
 إذا ما تشكى المالحفُ التضارِعُ
 مخافةً أن أقلُّ إذا جئتُ زائراً
 وترجعني نحو الرجالِ المطامعُ
 ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقلُّ بذل
 صلى حسن المقال بحسن فعل
 أربني منك في أمرى نهوضاً
 يبين أن شغلك بي كشغلي

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
 طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيقة لم ير الناس
 أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا
 لردُّوا التواظرَ عن ناظرِك
 تردِّينَ أعيننا عن سواك
 وهل تنظرُ العينُ إلا اليك
 ألا يقرؤا ويحهم ما يرون
 من وحي حسنك في وجنتيك
 وقد جعلوك رقيقاً علينا
 فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالمدو .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

(ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر)

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن ميسرة عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلاً أراد سفرًا فقال « أستودعُ اللهَ دينكَ وأمانتَكَ وخواتمَ عَمَلِكَ » وحدثناه عنه
عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذًا بسفينة ابراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجدبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) المعجف
نزل الرّحْب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنب قد سلف
أما أنت ربيع باكر حينما صرفه الله انصرف
ياأبا اسحق سِر في دَعَة حينما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقًا له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلفَ الله الذي خلفته ووقاك اللهُ وعثاءَ السفر
إنني أشكرُ ما أوليتني لم يضع حسن بلاه من شكر
ردك اللهُ إلينا سالمًا بعدَ غمٍ واغْتباطٍ وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية
جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد المعجف » .

(٣) في الأغانى « الرحم » . (٤) في الأغانى « وامض مصحوباً » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخطيل :

أقدم قدمت قدوم عارض مُزنة بهتز بين أهابها الفضفاض
من كل متعبية الرياح ثقيلة تمشى به مشى الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكانها دُهم مولوعة الشوى بيباض
وقال ابن الرومي :

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمن هي السرّاء تمحق كل حزن
أظنك السلامة ما تغنّت مطوّقة على قن تغنى
قوله (أظنك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة
قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بأسك^(١) وكان في ألفي
رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

ألفا مؤمن^(٢) منكم زعتم وبهزمكم بأسك أربعونا
كذبتم ليس ذلك كما زعتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيراً
من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بحياتك ،

(١) أسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أربان .

(٢) في معجم البلدان (ألفا مؤمن فيما زعتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك) .

قال ودخل على ابن زياد فغضبه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد عليّ ولأن يذمني الأمير حياً خيراً من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهمم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهدي وطلبتها طاقتك ووسعتك فعلم الله فقرنا إليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك بيقائك ولم يخترك علينا باستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس بيقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمنا . فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلوكوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العظيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزيمين
وما ان طبننا جين^٢ ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للمعزول)

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمعَ السملِ وراعى المعالى والمحامى عن المجد
وانك صنتَ الأمرَ فيما وليتهُ وفرقتَ ما بين الغواية والرشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنياً فانّ إلى الأصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيفَ جُرداً للوغى وأخذ فيه ثم رُدّ إلى الغمد
وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال - حدثنا إسحاق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأغانى (فان نغلب فغلابون قدماً) .

الخرزمي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :

فان تكن الأمانة عنك زالت فانك المغيرة والوليد

وقدمر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله

ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادَةَ البحرى :

شهد الخرج إذ توليته أنسك في جمعه الأمين الأعف

حيث لا عند مجتبي منه إظا^(١) ولا في سياق جايه عنف

سيرة القصد لا الخشونة عنف^(٢) لتعدى المدى ولا اللين ضعف

وعلى حالتك يستصلح الناس^(٣) أباء من جانبك وعطف

لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف

إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف

فقد يما تداوَل العسر واليسر وكل فدى على الريح يطفو

يفسد الأمر ثم يصلح عن قر ب والماء كدرة ثم يصفو

ولما عزل إبراهيم بن المدر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :

أبا إسحق إن تكن الليالى عطفن عليك بالعزل اللثيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجرى بمكروه على غير الكريم

وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدرى :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل

لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل

بروم رجال حظه وهو سابق^(٤) أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أى إلحاق . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) فى ديوان البحرى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الغرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ما قيل في القيام للأجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فلقاه من بعيد وقال :

لئن قمت ما في ذلك عندي غصاصةٌ علي وإني للشريف مُذلل
علي أنه مني لغيرك ذلةٌ ولكنه بيني وبينك يجملُ

ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى :

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجملُ الكراما

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحرى لأبيه في عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُجبل وسط الرجالُ خفوفهم لقيامه وقيامهم لعوده
فاللهُ يكلؤه لنا ويحوطه ويُعزّه ويزيدُ في تأييده
وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالي لأكرمه وأعظمه هِشامُ
فلا تعجبُ لاسراعي إليه فانّ لمثله مخلقُ القيامُ
وقال البحرى :

يقومون من بعد إذا بصروا به لأبليج موفور الكرامة^(١) أروع
ويتندر الراؤون منه إذا بدا سنى قمر من سدة الملك مطلع
إذا سار كف اللحظ عن كل منظر سواه وغضَّ السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحرى « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

{ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال }

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمه
وطارت رقاغُ بالمواعيدِ بيننا لكي يلتقي مظلومٌ قومٍ وظالمه
فان شالَ شوالٌ تُشَلُّ في أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ تسالمه
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفتنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيبِ نحيبُ
ومن دونِ مانلقاهُ من لوعةِ الهوى تُشَقُّ جيوبُ بل تُشَقُّ قلوبُ
على انَّ شوالاً أشالَ بوصلنا ومرتعهُ للعاشقينَ خِصيبُ
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقبيا لشهرِ الصومِ من شهرٍ عندي له ما شاء من شُكرِ
كم من عزيزٍ فيه فزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إيامٍ كانَ لي وصلهُ إلى كجبلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدري بالذي خلفهُ أعجلهُ ذاكَ عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مُشتاقهُ في ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أمَلوا وبؤت بالآتامِ والوزرِ
وأنشد المبرِّد للحارثي :

شهرُ الصيامِ وإن عظمتَ حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطيء السيرِ والحركة
يمشي الهويُنا إذا ما رامَ فرقنا كأنهُ بطةٌ تنجرُ في شبكة
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سليلك بُدانِهِ ولا ساكهُ (١)

(١) من عدائي العرب المشهورين .

كأنه طالب ناراً على فرس أجد في إثرٍ مطلوب على رمكة^(١)
ياصدق من قال أيام مباركة إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركة
وقال آخر :

مضى رمضان محموداً وأوفى علينا الفطر يقدمه السرور
وفي مرّ الشهور لنا فناء ونحن نحب أن تفي الشهور
وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن
وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الوائق :

هزرتك للصباح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام
وعندي من قنان المصر عشر تطيب بين دائرة المدام
فكن أنت الجواب فليس شيء أحب إلي من حذف الكلام
وقال غيره :

أقول لصاحبي وقد بدا لي هلال الفطر من تحت الغمام
سنسكرك سكرة شنعاء جهراً وننعر في قفا شهر الصيام
وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك في صبياء مشمولة ليست من الدبس الذي ينبذ
فان شعبان على طيبه درب إذا فكرت لا ينفذ
وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقياني من معتقة الخمر فلا عذر لي في الصبر أكثر من شهر
وإن كنتما لم تعما فتعلما بأن زمان الصوم ليس من العمر

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموج الرازى
وقال حدثني أبي قال كتب علي بن جبلة إلى أبي دلف يستسقيه نبذاً في يوم عيد الفطر
فوجه إليه بما كفاه وبماثى دينار فقال علي بن جبلة :

(١) الرمكة : الفرس .

وأبيض عجلي رأيت غمامه وأسيفه تقضى على الحدّان
 مَدَدتُ إليه ذمّي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ ورَوَّيتُ النديمَ بماله وأدركتُ نَارَ الراح من رمضان
 وكانَ لشوّالٍ عليّ ضمانةٌ فكانت عطايا جوده بضان

وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاء وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائه سوى شهر الصيام

﴿ فصل في معان مختلفة ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له وراها فدخل إليها يوماً وهي متغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك
 لا تشب لي كما يشب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمت عبيدة إلا في ملاحظتها والحسن منها بحيث الشمس والقمر
 ما خالف الظبي منها حين تبصرها إلا سوائفه والجيد والنظر
 قلّ للذي طابها من حاسد حنق أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر
 وأنشدنا للسدبيل بن الفرّج العجلي (١) :

هل تقضينّ لمستهام حاجة نيطت إليك بها جبال رجائه
 أفنى نجلده بقاء دموعه وأدام عبرته فناء عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجل عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقل من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأهمهم جميعاً

إمرأة من بني شيبان .

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر وبشبهه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
مُبيدُهُ قالت يا جميلُ أربنتي فقلت كلانا يابسين مُريب
فبلغ هذا ابن طائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عَظيرِ إنا اختلفنا في الفعلِ من فاعلينِ
فقال قومٌ بيتي لجمعنا الهمزتين
وقال قومٌ بعدى بملتقى الساكنين
وأنت أعلم منا بذا وذاك وذين
لأنك الدهرَ فعلٌ يعتلُّ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتم دهرًا طويلًا لمسرفي أرحى نجاحًا والظنونُ فنونُ
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكونُ
وأنشدني أيضاً في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحابِ على الشمسِ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونهُ لذوى الحمْد كما خيرُ حمدٍ موزونهُ
وأصحُّ^(١) الآراءِ ما ظنَّ ذوالأفْسِنِ بذى الرأى انه ما فونه
ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

(١) في الأصل «واظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصح» .

والحملُ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكونهٌ
 وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمُ مُسلمَ العرضِ سالمًا ماعونهُ
 أنفقَ المالَ قبلَ انفاكِ العمـرِ ففي الدهرِ ريبهٌ ومنونهُ
 لا تظانُّ أن مالكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرهُ محقونهُ
 قلنا ينفعُ الثراءُ بنخيلاً علفتُ في الثرى المهيل رهونهُ
 كلٌّ وأطعمُ فربما راع ريباً^(١) زاكياً من تعولهُ وتمونهُ
 وإذا ما ظننتَ شرّاً فحفهُ ربُّ شرِّ يقينهُ مظنونهُ
 كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطلالِ الرُّكونِ قلِّ ركونهُ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأثير عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحبي العلمَ ذكركمُّهمُ ويُلمحُ الجهلُ أحياءَ بأموالِ
 ونحوه قول دعبل :

سأقضى بيتي بحمدِ الناسِ أمرهُ ويكثرُ من أهلِ الروايةِ حامله
 يموت ردىءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهُ وجيدهُ يبقى وان ماتَ قائله
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
 خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
 أنشدني بعض شعرك فأنشدته قوله :

وشيبني أن لا أزال مُناهضاً بغيرِ غنى أسمو بهِ وأبوعُ
 وأن رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيح
 أمحترمي ريبُ المتونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصى بهِ وأطيع
 فأمر له بمشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريباً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :
 وبعضُ الأمرِ أصاحهُ يبيضُ فإنَّ الفثَّ يحملهُ السمينُ
 ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلاً وفيما أضمرُوا الفضلُ المبينُ
 كلونِ الماءِ مشتبهاً وليست تخير عن مذاقتهِ العيونُ

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :
 الناسُ ان وافقتهم عذبوا أولاً فإنَّ جنامُ مُرِّ
 كم من رياضٍ لا نظيرَ لها تُركتْ لأنَّ طريقها وعُرِّ
 ولما أدلَّ أملنى فسلوته من ذا يدلُّ فلا يملُّ محبُّه
 تالله ما أتبعَ النبيُّ محمدُ لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :
 إني كثرتُ عليه في زيارتهِ فلَّ والشيءُ مملولٌ إذا كثرا
 قد رايتُ منه أنى لا أزالُ أرى في عينه قصرأ عنى إذا نظرا
 وقال السكيتُ : * ولولم تغب شمس النهارُ لَمَلَّتْ * فأخذهُ أبو تمام فقال :
 فإني رأيتُ الشمسَ زبديتُ محبةً الى الناسِ إذ ليست عليهم بسرمدِ
 ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك بأقلال^(١) الزيارةِ إناها تكون متى دامت^(٢) إلى الهجرِ مسلکا
 فإني رأيتُ القطرَ^(٣) يسأمُ دائباً^(٤) ويطلبُ بالأيدي^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
 رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر: وأغبتُ الزيارةَ لاملالاً ولكن من محاذرةِ المللِ
وهذا كله من قول النبي ﷺ «زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا» (١).

وقلت: مازلتَ تلقاهُ فضاقةَ صدره وعادَ من بعدِ الوصالِ هجره
من أكثر الغشيانِ خسَّ قدره لو كثَرَ الياقوتُ هانَ أمره
ولم يمزَّ حمره وُصِفَ ولا علا بين الأنامِ ذِكْرُه

(في ذم العجائز قول الشاعر)

رأيتُ البيضَ قد أَعْرَضَ عني فمن لي أن تساعدني عجوزُ
كانَ مجامعَ اللحينِ منها إذا حسرتَ عن اللحينِ كوزُ
ومن المشهور قول الحرمازي:

لا تنكحنَ عجوزاً إن دعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
فان أتوك وقالوا إنها نصفُ فان أطيّب نصفها الذي ذهباً
وقال آخر: وما غرني (٢) إلا خضابُ بكفها وكلُّ بعينها وأثوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبلَ الحاقِ بلبلةٍ فسكانَ محاقاً كاهُ ذلك الشهرُ

(ما ورد في فضل الحمام)

قال السري بن عبد الله الرفاء:

أسعِدُ هل لك في زيارة منزلٍ نثني عليه جوارحُ الزُّوارِ
رحب تَرى الجُدرانَ فيه بناجياً (٣) وترى السماءَ كثيرةَ الأقمارِ (٤)
بنضوحي الوجهِ ثوب حياثه فيه فيخطرُ كالحسامِ العاري
وترى على غدرانه (٥) حُم الوغى يخطرُ ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة

(وما راغني) . (٣) في ديوان السري المخطوط . «رحب تلاقى الجدر منه

بنابع» . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان «على جدرانه» .

سَلَّتْ سُيُوفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَّتْ مُخَيُولُهُمْ بِغَيْرِ غَبَارٍ
مع أبيات أخر غير مختارة الرصف . وقلت :

قَمَّ بِنَا نَنْزَلُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزَلٌ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعَ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْمَارِ نِصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدٌ حَرْبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ مَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسُيُوفِ نَائِيَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَتَتْهُ تَكْتَسِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانَ دُرٍّ تَتَكَافَأُ مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمام :

وَحَامِنَا كَالعُجُوزِ بِشَقِي بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامِنَا هَذِهِ كَالعُجُوزِ نَلْدُ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

ومن أجود ما قيل في صفة الثَّوْرَةِ قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمْرُقُهُ الْأَنْمَالُ رِقَّةً وَيَذِيهِ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فَيَهِجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نِصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيُرْوِجُ

(الشطر نج - قلت فيه)

إِذَا أُعْفِيَتْ الصَّهْبَا مِنْ قَدْحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدَى وَمَزْجِي الرَّاحِ لَا يَزْجَى
(٣١ - ثانيا المعاني)

وأرجى الشرب من برحى	والغى اللهو من بلغى
من الأحزان في الج	لأيام أخاضتنا
ومنها القلب في وهج	فنها الجسم في نقص
وإن أصبحت في تلج	فما أنفك في حر
وما من كدها منجى	وما من شرها ناج
مليح النظم والنسج	تمتعنا بمسوع
على نرد وشطرنج	وتلو ذكر من نهوى
ولسنا منه في هرج	كأنا منه في هرج
وقام الرؤم المزنج	تمشى الزنج للرؤم
تمشين إلى دعج	فما أحسنها بيضا
بلا عج ولا عيج	أقمنا بيننا حربا
ولا بوق ولا صنج	شهدناها بلا طبل
ولا رُمح ولا زج	وجئناها بلا سيف
بلا لجم ولا سرج	ترى أفراسنا تعدو
لأمر غير موعج	مشى الفرزان موعجا
فلا يعدو عن النهج	ورُخ ينتحى نهجا
بدا شلح ولا علاج	وفيل يس يحدوه
لواء النصر والفالج	وعند الشاة منصوب
عليها سيمة السرج	وحولى أوجهه غر
تراهم أول الدرج	إذا مادون الحسن

ماورد في النرد

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكما عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالماً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
 فاذا هما اصطحبا على كفّ الفتي ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلاً

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخْرَجٌ من العمى إذا صكَّ صكَّةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
 غدا وهو مجدولٌ وراحَ كأنه من المسِّ والتقليبِ بالكفِّ أو طحُ
 إذا امتحنته من معدِّ عصابة غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إذا اشتملتُ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحيبُ
 وأوطنتُ المكارهَ وأطانتُ وأرستُ في مطامنها الخطوبُ
 أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمينُ به اللطيفُ المستجيبُ
 وكلُّ الحادثاتِ إذا تنهتُ فقرونُ بها الفرجُ القريبُ
 وقلت : لكلِّ مُلمةٍ فرجٌ قريبٌ كمثلِ الليلِ يتلوه الصباحُ
 وإنَّ لكلِّ صالحَةٍ فساداً كذلك لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
 وللأيامِ أيدي باسطاتٌ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
 وقد تأتي وأوجهها صباحُ كما تأتي وأوجهها قباحُ
 وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
 فلا تجزعِ لها واصبرِ عليها فإنَّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
 وكلُّ الحادثاتِ إذا تنهتُ فقرونُ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثُ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرَةِ الأدبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمتْهَا عَدَلْتُ ۚ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوَّمتْهُ الْخَشْبُ ۚ
 وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي أزدحامِ الْمُتَجَمِّعِينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْضَلِينَ الْبَيْتِ الْمَشْهُورِ :
 مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ ۚ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْامِ ۚ
 يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ ۚ وَالْمُشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ ۚ
 وَقَالَ أَبُو الْهَوْلِ :

إِذَا السَّمَاءُ آبَتْ إِلَّا مَحَاذِرَةً ۚ سَحَّتْ بِدِ الْفَضْلِ يَاقُونَاً وَعَقِيَانَا
 تَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا ۚ وَرَدَ الْقَطَا أَقْبَلْتُ مَثَى وَوَحْدَانَا

(معنی آخر)

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسؤالٍ ۚ قَدْ يَهْزُ السُّؤالُ غَيْرَ جِوَادٍ ۚ
 إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَنْتَكَ ابْتِدَاءً ۚ لَمْ تَنْقُ فِيهِ ذَلَّةَ التَّرْدَادِ ۚ

(وَمِنْ أَجُودِ التَّشْبِيهَاتِ فِي الْمَحْجَمَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ)

وَخَضِرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْهَذِيلِ ۚ يُلْفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارُهَا ۚ
 كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا ۚ إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَّ آتَارُهَا ۚ
 وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ :

أَمَا وَأَيْكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي ۚ مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلُ السَّكْمِيَا ۚ
 وَبَرَقًا فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا ۚ تَأَلَّقَ فَتَّحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا ۚ
 إِذَا ظَهَّمْتُ فَرَاحُ أَيْكَ يَوْمًا ۚ سَقَاها مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيًا ۚ
 وَإِنْ جَرَّحَ الْأَخَادِعَ مَطْمِئِنًّا ۚ كَسَا الْوَجَنَاتِ دِيبَاجًا بِيَا ۚ
 وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ يَأْتِي عُقُوقًا ۚ وَيَدْعُوهُ الْوَرَى بَرًّا تَقِيَا ۚ
 وَقَالَ آخِرُ : أَيْبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ عَاتِقَهُ ۚ كَمِ مَنْ كَمَى أَدْمَى وَمَنْ بَطَلَ ۚ
 بِأَخْذِنَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ ۚ لَمْ يَمَسْ مِنْ نَأْرِهِ عَلَى وَجَلِ ۚ

﴿ ومما قيل في خطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْسُوطٌ وَالْعَتَبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالٌ أَمْرِيءُ كُلُّ الَّذِي بَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وقال آخر :

يَأْمَنُ بِقَلْقَلِهِ طَيْنٌ ذَبَابٍ وَيَفْلُ عَزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرَبَ السَّرَادِقُ فِي رُؤَايَ بَابِهِ وَالذَّارُ تَعْجَزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبُؤَابِ حَاجِبَ حَاجِبِ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ حَاجِبِ الْبُؤَابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَلْبَانٌ إِبِلٌ تَعَلَّةٌ بِنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامِ عَمْرٍ وَابْنِ أَوْفَى مِثْلَهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامِ
أَنَّ الذَّبْنَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادُ يَمْنٌ عَلَيْهِمُ لِلثَّامِ
لَعْنُ الْآلَاءِ تَعَلَّةٌ بِنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِ عَلَيْهِ عِيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَأَبِي دَلَامَةٌ ^(١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْنِي تَغْطِيَتِ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحَثُ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلم قومٌ ماتنضمُ النبائث^(١)

(معنى آخر)

صديقك حين تستغنى كثيرٌ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزبارة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسية تجرى من الانسان مجرى الدم
لا تعصم الحسنة من كيدها ولو توت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

تسهل كل ممنوع عسير وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف الخيال ضحى لزار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس في قيادته فأنى شاكره لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لا بليس
وكان في سرعة الحجى به آصف في حمل عرش بلقيس

(معنى آخر)

ما زددت في أدبي حرفاً أسره به إلا تربدت حرفاً تحته شوم
انّ المقدم في حذق بصنعتيه أنى توجه منها فهو محروم
وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرء بين صناعة وأحبيت أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالسالم واسع
وحيث يكون الخدق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرءٍ لانت قناته
ومثله قول الآخر : المرء يكرمُ للغنى
وهان على الأذى فكيف الأبعد
وقال آخر : غضبان يعلم أن المال ساق له
ويهان للمعدم العديم
فمن يكن عن كرام الناس يسأني
مالم يسقه له علم ولا أدب
وقال آخر : كفي حزناً أني أروح وأغتدي
فأكرم الناس من كانت له نشب
ومالي من مال أصون به عرضي
وذلك لا يبغي الصديق ولا يرضى
وأكر ما ألقى صديقي بمرحباً
وقال آخر في معناه :

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى
وكل غنى في القلوب جليل
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى
عشية يقرى أو غداة ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالب اللبيب بغير حظ
وأيت الحظ يستر كل عيب
بأغنى في المعيشة من قليل
وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا
للكل حر مبتلى
وقلت :
والنحس في طالعه
فكن رقيماً ساقطاً
وكن رقيماً ماجداً
هيهات أن يحظى الفتى

فإنهض بجد في الحوادث أودر
وإذ انصرت الأمور فارجها
واصبر على مالم ترد
بجد سعد دون جد
فإنهض بجد في الحوادث أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر

مأقربَ الأشياءَ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضوا
وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغنِ أمتُ القولِ منه بحلمٍ واستمرَّ على المقالِ
ومن يحلمُ وليسَ لهُ سفيةٌ يلاقي العضلاتِ من الرجالِ
وقال غيره: لا بُدَّ للسيدِ من أرماحِ
ومن عديدي يتقى بالراحِ

ومن سفيةٍ دائمِ النباحِ

﴿ معنى آخر ﴾

وما الجودُ من فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنهُ خيمُ النفوسِ وخيرُها
فنفسك أكرمُ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستميرُها
وقد تخدعُ الدنيا فيمسي غنيها فقيراً ويفني بعدُ بؤسَ فقيرُها
وكم طامعٍ في حاجةٍ لا ينالها وكم ^(١) آيسٍ منها أتاهُ بشيرُها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ « المرءُ على دينِ خليله ^(٢) »

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدى بن زيد العبادي:

عن المرءِ لا تسألُ وأبصرُ قرينَهُ فإنَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فلينظر أحدكم من يخالِل »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرءِ لا تسألُ وسلَّ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدى
فان كان ذا شرٍّ فجنبه سرعةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى
إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :

ولا يسل الانسان إلا قرينه وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(المأخوذ بذنب غيره)

قال الشاعر في ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القى بابن عم السوء مأخوذ

ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :

أحملتني ذنب امرئ وتركتني كذى العر يكوى غيره وهوراتع

وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما طافت البقر

(في النهي عن الظلم قول الاول)

البغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

وقال النبي ﷺ « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) . وقال بعضهم :

ظلمك من خلقك مُستخرجٌ والظلم مشتقٌ من الظلمة

وقلت في عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسه لأنصفَ الظالمُ في نفسه

إن كانَ لا يرحمُ في يومِهِ لكانَ لا يرحمُ في أمسه

(ماورد في الجبن)

وأفلتتا هجين بنى سليم يُفدّي السهر من حبّ الاياب

فلولا الله والسهر المُفدّي لأبت وأنتَ غربالُ الاهابِ

وقال آخر :

باتت تُشجّفي هندٌ وقد علمت أن الشجاعة مَقْرُونٌ بها العطبُ

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر

بلفظ « إِن تَقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ياهندُ لاوالذي حجَّ الحجاجُ لهُ
مايشتهى الموتَ عندي من له أدبُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاتاً لم يرَ الناسُ مثله
كأنِّي عُقابٌ عندَ تبعينِ كاسِرٍ
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكِّ
تقدّمَ حينَ جدّ بنا الميرَاسُ
ومالي إنْ أظمتك من حياةٍ
ومالي بعدَ هذا الرأسِ راسُ

(ومن المضحكات قول الآخر)

ألم ترني وعمراً حينَ نغدو
إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يمينيَ يديهِ
وفيما بيننا رجلٌ ضريبُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفيل :

أرأى في النومِ رُحماً أوسناناً
فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
ولكني المبارزُ حينَ ادعى
إلى أكلِ العصيدةِ والفراني
وما عمروُ هناك أشدَّ مني
ولا العبسيُّ عنترَةُ الطعانِ
ولا يزيدُ الفوارسِ حينَ أدنو
فألقى بالكلاكلِ والجراتِ
ترأى عندها ليناً نفيراً
إذا ما اصطكَّ مني الماضغانِ
أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي
بأى جنوبها وقعتُ بناني
وكم طبقِ رَدَدَتْ وليس فيه
من البقلِ المحصلِ حبتانِ

(الخلق من الثياب)

قال الحمدوني :

طالَ ترَدَّادُهُ إلى الرَّفوحِ حتى
لو بعثناهُ وَحَدَهُ تَهْدِي
وقال آخرُ : قال غسَّاليَ لما
جئته قولاً صحيحاً
ياعزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر :

يا ابن حربِ كسوفنى طيلساناً ملّ من صُحبةِ الزّمانِ وصدّاً
إن تنحنحت فيه ينحز عيراً أو تحركتُ فيه ينقدُّ قدّاً

(من أحب لبناته الموت)

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلُ يُراعيها وخدرُ يكتنمها وقبرُ يُواربها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر في الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتلىك هو المأمافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبى بتصدق القيامة غير صافى

وقال ابن أبي البغل :

باح ضميرى بمضمرة الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرُ : يا ناظرآ فى الدين ما الأمرِ لا قدرُ صحح ولا جبرُ
ما صح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرِ

قبهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويتَ بيني وبينهُ
فكيفَ وقد أعليتَهُ وخفضتني
لما كانَ عدلاً أن نكونَ سواءَ
فكنتُ له أرضاً وكانَ سماءَ

(فصل آخر)

كتب أبو الشيبس إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :
يا صديقي وأخي في كل ما يبرو وشدهُ
ليت شعري هل زرعتمُ بذراً كتانِ المخدّة
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب إليه :

وأهديتهُ زَمناً فانياً فلا للركوبِ ولا للثمنِ
حملتَ علي زَمينَ شاعراً فسوف يكافي بشعري زمن
أيا الفضل ذمّاً وغرماً معاً فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعده رجل دعبلاً نعلاً يهدبها إليه عند قدمه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :
وعدت النعل ثم صدفتَ عنها كأنك تشتهي شتاً وقذفاً
فإن لم تُهد لي نعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النونِ حرفاً
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

يا شقيقى ويا خليلي إياهُ المرجى لكل خيرٍ ومير
أنت من أطيب الأنام بخوراً غير أنى شمتهُ عند غيري
وهو جملٌ لديك فابعث بدرجٍ منه إن لم أكن تعديت طوري
فكتبتُ إليه :

قد بعثنا اليك منه بدرجٍ وأزرنالك منه أطيب زور

بين نديّ وبين عودٍ مطرّآ مالهُ مشبهٌ بنجدٍ وغورٍ
 أنتَ منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونورٍ
 ما عدّيتَ فيه طورك عندي فنبخر منه بأيمنٍ طيرٍ

وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزیده ويستهدیه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراية
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عمّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :

واقعد بلوتُ الناسَ شمَّ سبرتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرابةُ لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة

- ٣ الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
- ٣ الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
- ١٢ الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .
- ٤٦ الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
- ٤٩ الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .
- ٧٤ الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .
- ٧٤ الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
- ٨٧ الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
- ٩٢ من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
- ٩٤ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتّاب .
- ٩٧ أمثلة في البلاغة الكتابية .
- ٩٩ ومن جيد الأدعية .
- ١٠١ المديح عند الكتّاب نثراً .
- ١٠٣ النظم والتهجين نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
- ١٠٦ الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .
- ١٠٦ الفصل الأول : في صفات الخيل .
- ١١٨ الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .
- ١٢٨ الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجري مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والحضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاٲول : في الشباب والشيب والحضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
- ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل فى تجميل اليد .
- ٢١٥ الحض على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكنمار ، رد السلام على الكنمار ، ماجاء فى المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله وبياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ماجاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتبه .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
- ٢٢٩ ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمهزوم .
 ٢٣١ الدعاء للمعزول .
 ٢٣٢ دعاء الأعياد .
 ٢٣٣ ما قيل في القيام للاجلاء .
 ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
 ٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠ في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢ ما ورد في التردد .
 ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
 ٢٤٥ ما قيل في خطل الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
 ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
 ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الدبوان .
-

(اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدرجات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
٢٠ ١٠٩	١٢ ٤٣	٤ ١
٢٢ ١٠٩	١١ ٤٩	٢٣ ٤
١٥ ١١٠	١ ٥١	٥ ٦
٢ ١١١	٤٤٣ ٥٣	١٠ ٦
٤ ١١١	٧ ٥٥	١١ ٦
١٩ ١١٢	١٨ ٦٤	١٢ ٦
٧ ١١٤	١٩ ٦٤	٨ ٧
١٨ ١١٤	٢٠ ٦٤	٢٢ ١٢
١ ١١٥	٢١ ٦٤	٢٢٤٩ ١٣
١٧ ١١٦	١ ٦٥	٤ ١٥
٦ ١١٨	١ ٦٦	٦ ١٥
١ ١١٩	٦ ٦٦	١٢ ١٥
٦ ١٢١	١٠ ٦٨	٢٢ ١٦
١٢ ١٢١	١١ ٦٨	١٣ ١٧
١٧ ١٢٢	٣ ٧٠	١٤ ١٨
١١ ١٢٣	٨ ٧١	١ ١٩
١٨ ١٢٤	٨ ٧٢	٦ ٢٠
٩ ١٢٥	٨ ٧٣	٩ ٢٠
١١ ١٢٥	٢ ٧٧	١٢ ٢٠
٢١ ١٢٧	٥ ١٠٨	١ ٢٣
٢٢ ١٢٨	٢٢ ١٠٨	٨ ٢٣
٢٠ ١٣٢	١٣ ١٠٩	٢ ٣٢
٢٠ ١٢٤	١٨ ١٠٩	٨ ٣٣
٤ ١٣٥	١٩ ١٠٩	٢٢ ٣٧

(٣٣ - ثاني المعاني)

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	يتفید ١٣ ١٤٢
من الغمي ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالكف أفتح ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	كتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. يقدر ٧ ٢٤٣	بسرین ارطاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فطرح ٩ ١٤٥
الهدیل ١٢ ٢٤٤	أرضاً فيها ٦ ١٨٧	بالعظاءة التنضبة ١٧ ١٤٦
دَم ٢٣ ١٦	یحیی بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
یتأگل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقد ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقافزت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عیابها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شبية ٤ ١٥٢
وعدونا ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللبة ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشؤبوه ١٣ ٢٠٩	مخظمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	روان الجعدی ١٨ ٢١٥	بان الامة مبروبان ١٠ ١٧٢
جذيمة ١٢ ١٧٦	مكعت ٩٤٨ ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرقی ١١ ٢٢٠	الخریمی ٧ ١٧٥
	الارجحی ١٧ ٢٢٦	عن شباه ١٥ ١٧٥
	معشق ٢٠ ٢٢٦	١٨ وزدت بمازودتی ١٨ ١٧٥
	قذراً وأسلم ماسواه البرجد	٢٣ ٢٤١ مجتاب شملة برجد بسرايه

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة في الأثر

الأخنس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥ ، ١٧١ ، ٢٣٠
 أدريس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٣٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعر الجعفي ج ٢ : ١٠٨ ، ١٠٦ ، ٥٠٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٦٤ ، ١٤٥ ،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشى ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ج ٢ :
 ٢٢٦ ، ١٢
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأفوه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقبيل القيني ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ج ٢ : ٣٠٣ ، ٥٥٧ ،
 ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ،
 أمية بن أبي الصلت ٢٦ ، ٤٦ ، ١١٠ ،
 أوس بن حجر ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ،
 ج ٢ : ٤ ، ٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٧٣ ،
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(١)

إبراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 إبراهيم بن العباس ٦٦ ، ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ج ٢ :
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ،
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٣٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨ ، ج ٢ : ٢٣٨ ، ١٧٩ ،
 أبو الأسد الدينوري ٣٠ ، ٦٣ ، ج ٢ : ٢٠٣ ،
 أحمد بن إبراهيم ٢٣٢ ، ج ٢ : ٢١٩ ،
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨ ، ٩٤ ، ج ٢ : ١١٨ ، ٢٥٢ ،
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦ ،
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩ ،
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ، ٧٩ ،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧ ،
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩ ،
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥ ،
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمري ج ٢ : ١٣٤ ،
 الأخطل ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ،
 ١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٥٣،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣

ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،
 ١٩٢، ١٩٦

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١

بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢

البصير ١٢١

البيث ٢٧٧

بكر بن خارجه ٢٤٣

بلعام بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شرأ ١١٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ٨، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١١٧،
 ١٣٠، ١٤٤، ١٦١، ١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنة ١٣٨

التفوح ج ٢: ١٨٥

(ج)

جيباه الاشعبي ج ٢: ١٢٧

الجحاف ٨١

جمحة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حاحلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحماني ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤
 الحمدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن بيض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن ملبح المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الأزدي ج ٢ : ٢٣٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حرثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٦٩ ، ٥١
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكناني ج ٢ : ٢١٦

ابن الدمينة ٣٤٦
 أبو دهبيل الجمحي ١٣٩
 أبو دواد ١٤٢، ج ٢: ١٠٦، ١١٢،
 ١٤٦، ١٢٨
 ديك الجن ٥٦، ٨٥، ١٠٦، ١٣٠،
 ١٩٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٤،
 ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣١٥، ٣١٦،
 ٣٢١، ٣٤٤، ٣٥٠، ج ٢: ١٣٧،
 ١٨١، ٢٢١
 الديلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠، ١٣١، ١٥٧، ١٥٩-
 ٣٦١، ج ٢: ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢: ٦٤
 الراعي ج ٢: ١٢٣، ١٣٢
 رؤبة بن العجاج ج ٢: ١٢٣، ١٢٨،
 ١٣٠، ١٥٥
 الربيع بن أبي الحقيق ج ٢: ٣٩
 الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢: ٢٢٤
 رزين العروضي ١٩٩
 الرقاشي ج ٢: ١٧٩
 الرياح الأسدي ج ٢: ١٥٠
 ذوالرمة ١٨١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠،
 ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٧٥، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٣،
 ٣٥٥، ج ٢: ٧، ١١٩، ١٢٠

خالد الكاتب ٣، ٢٥١، ٢٨٤، ٣٥٠
 الخالدي ٢٠٨، ج ٢: ٧٨
 الحجاز البلدي ج ٢: ٤٢
 خدش بن زهير ج ٢: ٧٣
 أبو خراش ١٣١، ج ٢: ٧٢
 خريم بن فائق ٢٦
 الخريمي ٧٤، ٢٧٩، ج ٢: ١٧٥، ١٩٧
 ابن خلاد ٢٩٦، ٣٠١، ج ٢: ٣٦
 خلف بن خليفة ٧٥، ١٠٤، ج ٢:
 ١٤٥، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢: ٧٣
 الخليل بن أحمد ١٣٤، ١٤٧، ١٨٥،
 ج ٢: ٣٠
 الحسناء ٤١، ١٣٨
 الخوارزمي - متأخر ج ٢: ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥، ١٢٢، ١٤١،
 ج ٢: ٥٨
 ابن دريد ٢٧، ٣٢٠، ج ٢:
 ١١٠، ١١٩، ٢٣٧
 دعبل الخزازي ١٢٧، ١٨١، ١٨٤،
 ٢٠٧، ج ٢: ١٥٩، ١٨٠، ١٩٤،
 ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٧٧
 أبو دغفل الكلابي ج ٢: ٧٠
 أبو دلامة ج ٢: ٢٤٥
 أبو دلف العجلي ٩١، ٢٧١

زياد الأعمش ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخليل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطيرة ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦،

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١،

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩،

سعيد بن العاص ١٩٦

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠،

أبو سعيد الأصفهاني ج ٢: ٢٠٩،

أبوسعيد الخزومي ١٨١

ابن السكن ٢٠٨

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥،

أبو السمح الطائي ٢٩

السموأل ٣٧، ٨٣،

سهل بن هرون ٢٨٢

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢،

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧،

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٤٥٤، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٠،

١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢،

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥، ٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الرياشي ج ٢: ٢٣٤،

(ز)

أبر زيد ج ٢: ٥٨،

زفر بن البحارث ج ٢: ٢٠٠،

ابن الزمكدم ١٩٥

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦،

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦

أبو شراعة ج ٢ : ٢٢٩

لشماخ بن ضرار ج ١١٥ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٥٥٩

١٢٥ ، ١٠٩

الشمردل بن شريك ٣٥٨

أبو الشمعق ١٩٨

أبو الشيص ٢٥٥ ، ج ٢ : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢ : ١٦٣

الصاحب بن عباد ١٦٧

أبو صفوان الثقفي ج ٢ : ٢٣٢

صفية الباهلية ١٧

أبو الصلت ٩٢ ، ٣٠١

الصلتان ١١٩

الصمة بن عبدالله القشيري ج ٢ : ٢٢٥

الصموت الكلبي ٦٨

الصنوبري ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢

٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ج ٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢

الصولي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧

٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥ ، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤

أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧

ابن طباطبا ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٢

٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣

٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠

ج ٢ : ١١ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣

طرفة ج ٢ : ٧

الطرماع ٣٤٦ ، ج ٢ : ١٣١ ، ١٤١

١٧٥ ، ٢٣٨

طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤ ، ٥٢ ، ١٢٦

طفيل الغنوي ج ٢ : ٢٢٠

الطراح العقيلي ج ٢ : ٢١٩

أبو الطمحان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩

العباس بن الاحنف ١٦١ ، ٢٢٥

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١

٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥

العباس بن جرير ١٢٣

العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤

ج ٢ : ١١٠

عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥

١٧٨ ، ج ٢ : ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٧

عبد العزيز بن زرارة ٨٨

عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨

عبدالله بن أيوب التيمي ٦٠

عبدالله بن الحسن ٢٦٢

عروة بن حزام العذري ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢: ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢: ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤، ٢٥٠
 العلوى الأصفهاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
 ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧،
 علي بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١،
 ١٠٦، ج ٢: ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥،
 علي بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣، ج ٢: ٢٣،
 ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس النوبختي ج ٢: ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢: ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢: ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١، ج ٢:
 ١٠٩، ٢١٩
 العاني ج ٢: ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢،
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شاس الأسدي ٢٢٤، ج ٢: ٧٣،
 عمرو بن قبيصة ٢٧٦

(٣٤ — ثاني المعاني)

عبد الله بن عبد الله بن عبدة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢: ١٩٣
 أبو عبد الله الأسباطي ج ٢: ١٥٦
 ابن عبد الأسد ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيعي ج ٢: ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠، ج ٢: ١٦٦
 عبدة بن الطيب ج ٢: ١٠٨، ١٤٤،
 ١٧٥، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨، ج ٢: ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨،
 ٢٥٠، ج ٢: ٢٥١، ٢٦٠
 عتاب بن ورقم ج ٢: ٦٠
 العتابي ج ٢: ٩
 أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠،
 ١٢٥، ج ٢: ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦،
 ٢٢٧، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج، ج ٢: ٧١
 عمير السلولي ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢: ١٣١، ١٣٢،
 ٢٢٣، ٢٣٥
 عدى بن زيد ج ٢: ١٣٧، ٢٤٨
 العدلي بن الفرج العجلي ج ٢: ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢: ١٨٥
 العربي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢: ٢٢٢

القاسم بن حنبل ٤٣

القصار ج ٢: ٧٩

القصابي ٣٥٣

القطامي ١٢٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٣٢٩،

ج ٢: ١١٨، ١٢١، ١٢٧،

قيس بن الأسلت ٢٤٣

قيس بن الخطيم ١٧٠، ٢٢٩، ٢٧٦،

ج ٢: ٥٠، ٥١، ٥٧، ٧٠، ١١٩،

قيس بن ذريح ٢٧٠

قيس بن عاصم ١٣٥، ١٥١،

(ك)

أبو كبير ٣٨

كثير ٥٨، ٦٣، ٢٣٠،

كشاجم ٦٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٤،

٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٠، ج ٢:

٢٩، ٣٠، ٨٣، ٨٤، ١١٠، ١٥٨،

٢٤٦، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٤،

٣٢٦ - ٣٢٨

كعب بن الأشرف ج ٢: ٣٩

كعب بن زهير ١٩٩، ج ٢: ٦٢

كعب بن سعد ج ٢: ١٧٨

كعب بن مالك ١١٥

كعب الغنوي ٣٣٧

كلثوم بن عمرو ١٥٤

الكميت ج ٢: ١١٤

(ل)

ليد ١١٨، ٣١١، ج ٢: ١٢، ١٩٨،

عمرو بن كلثوم ٩٠، ج ٢: ٥٠،

عمرو بن محمد الثقفي ٢٩

عمرو بن معديكرب ١١١، ج ٢: ٢٣، ٥٣،

أبو العميتل ٥٣، ١٦٣، ٢٧٣،

عنترة العبسي ١١٠، ٣١٧، ج ٢:

٦٤، ١٢١، ١٤٨،

عوف بن قطن ١١٧

عوف بن محم ٢٦٢

عون بن محمد الموصلی ٣٥٢

عيسى بن أوس ٢٤

ابن أبي عينة ١٩٠، ١٩١، ج ٢:

١٣٧، ١٣٨،

أبو عينة ج ٢: ٣١، ٢١٣،

(ف)

أبو فراس ج ٢: ١٢، ٤٩، ٥٠،

٦١، ١٩٧، ٢٠٠،

الفرزدق ٢١، ٤٩، ٧٨، ٤٣، ١٤٥،

١٧١، ١٧٤، ١٨٣، ج ٢: ٨٧، ١١٩،

١٥٦، ١٦٣، ١٧٧، ٢٣٤، ٢٨١،

فروة بن مسيك الغطيني ج ٢: ٢٣١

أبو الفضل بن العميد ٣٠١

أبو فضلة ٣٣٥

الفند الزماني ج ٢: ٦٠

ابن أبي فنن ٢٨٤، ٣١٥، ٣٤٥،

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢: ٢٠٢

القاساني ج ٢: ٢٥٠

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢ : ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢ : ١٥٣ ، ١٦٤
 المخيل ج ٢ : ٦٣
 مخد الموصل ٣٣٥
 المرار الفقعي ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢ ،
 ١٣٥ ، ١٠٥
 مزاحم العقيلي ج ٢ : ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢ : ٥٨
 مسعود أخو ذى الرمة ج ٢ : ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢ : ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠ ، ٧١ ، ١١٦ ، ١٠٣ ،
 ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢ :
 ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيبي ٢١٥
 مضر بن ربيعي ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢ : ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢ : ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٤٤ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجا ج ٢ : ١٢٧
 لقيط بن زرار ٨١
 لقيط بن يعمر الأبادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩ ، ج ٢ : ٢٠١ ، ١٨٠
 ليلى الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢ : ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢ : ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢ : ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٢
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متم بن نويرة ج ٢ : ١٧٤ ، ١٧٦
 المتبي ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢ : ٦١ ،
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢ ،
 المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢ : ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدى ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢ : ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢ : ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢ : ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدي ج ٢ : ١٧١
 محمد بن مسلبة البشري ج ٢ : ١٧

٣٤٦ ج ٢ : ٣٩ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٧٠ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٩ ،

الناجم ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ج ٢ : ١٦٥ ،

الناشي ٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ،

ج ٢ : ٢٢٨ ،

التجاشي ١٧٦ ، ١٧٧ ،

أبو النجم ١١٣ ، ٢٧٩ ،

أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦ ،

أبو النشاش ٨٨ ،

نصر بن أحمد ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ ،

ج ٢ : ٣٧ ،

نصيب ١٧ ، ٣٣ ، ١٢٩ ، ٢٦٢ ،

النظار الفقعي ٢٨٢ ج ٢ : ٧ ،

النمر بن تولب ١٢ ، ٨٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥ ،

٢٦٥ ج ٢ : ١٣ ، ٣٩ ، ٥١ ، ١٨٣ ،

٢٢٦ ،

التميري ٢٦٠ ،

نهل بن حري ٦٥ ،

نهيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨ ،

أبونواس ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ١٢٧ ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،

٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،

٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ - ٣٢٠ ، ٣٢١ ،

٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ج ٢ : ٢ ،

٢٠ ، ٧٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،

٢٨٩ ، ٣٠٧ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،

٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ -

٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

٣٥٥ - ٣٦٠ ، ج ٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٢٤ -

٢٦ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،

- ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٢٦ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٩ -

١٨٢ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ،

المعدل بن غيلان ٢٨٠ ،

معن بن أوس المزني ١١٣ ، ١٥٣ ،

المفضل التكري ج ٢ : ٤٩ ،

ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ، ٢٤٣ ،

المقع الكندي ج ٢ : ١٥٦ ،

أبو مكعت الأسدي ج ٢ : ٢١٦ ،

ابن منذر ج ٢ : ١١٨ ، ١٧٥ ،

منصور التمرى ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ،

٢٥٣ ج ٢ : ٥٦ ، ٦٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،

مهلهل ١٧٣ ج ٢ : ١٧٦ ،

موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١ ،

ابن ميادة ١٢٣ ،

(ن)

النايفة الجعدي ٣٤ ، ٣٦ ج ٢ : ٦٦ ،

النايفة الذيباني ١٥ - ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ،

٢٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٨٠ ،

٢٧٦٠ ٢٦٩ - ٢٦٦٠ ٢٦٤٠ ٢٦٣٠
 - ٢٩٢٠ ٢٩٠٠ - ٢٨٨٠ ٢٧٩٠ ٢٧٨٠
 ٢٣٠٤٠ ٣٠٢٠ ٢٩٨٠ ٢٩٧٠ ٢٩٥٠
 - ٣١٧٠ ٣١٣٠ - ٣١٠٠ ٣٠٨٠ - ٣٠٦٠
 ٣٣١٠ ٣٣٨٠ ٣٣٤٠ ٣٢٢٠ ٣١٩٠
 - ٣٤٩٠ ٣٤٧٠ ٣٤٥٠ - ٣٣٥٠ ٣٣٣٠
 ٣٥٠٩٠ ٣٥٠٧٠ ٣٥٠٦٠ ٣٥٠٤٠ ٣٥٠١٠
 ٣٦٠٠ ج ٢ : ٩ - ١١ - ١٥ - ٣٣٠
 ٣٥٠٩٠ ٥٨٠ ٤٨٠ - ٤١٠ ٣٨٠ - ٣٥٠
 - ٨٠٠ ٧٨٠ ٧٦٠ ٧٥٠ ٧٢٠ ٧٠٠ ٦٨٠
 - ١١٠٠ ١٠٨٠ ١٠٠٠ ٩٣٠ ٩٢٠ ٨٤٠
 - ١٣٦٠ ١٢٩٠ ١٢٤٠ ١٢٣٠ ١١٢٠
 ١٥٠٠ ١٤٨٠ ١٤٦٠ ١٤٥٠ ١٤٢٠
 ١٦٤٠ ١٦٢٠ ١٥٩٠ - ١٥٤٠ ١٥١٠
 ١٨٢٠ - ١٨٠٠ ١٧١٠ - ١٦٩٠ ١٦٧٠
 ٢٠٤٠ - ٢٠١٠ ١٩٧٠ ١٩٦٠ ١٨٩٠
 ٢٤١٠ - ٢٣٩٠ ٢٢١٠ ٢١٥٠ ٢١٣٠

٢٤٩٠ ٢٤٧٠ ٢٤٣٠

أبو الهندي ٣١١

أبو الهول ج ٢ : ٢٤٤٠

أبو الهيثم ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢ : ٥٢٠

يحيى بن زياد الحارثي ٣١٨٠ ١٢٦٠

يحيى بن طالب الحنفي ج ٢ : ١٨٧٠

يزيد بن الطثرية ٣٣٤٠ ٢٥٩٠ ج ٢ : ١٦٢٠

يزيد بن معاوية ٣٠٨٠

يزيد الملهبي ج ٢ : ١٩٩٠

يعقوب بن الربيع ج ٢ : ٢٢٤٠

١٣٤٠ - ١٣٢٠ ١٢٧٠ ١٢٥٠ ١٢١٠
٢٠٦٠ ١٨١٠ ١٦٦٠ ١٤٠٠ - ١٣٨٠

(و)

الواثق بالله ج ٢ : ١٦٥٠

أبو جزة السعدي ٥٩

وضاح اليمن ٢٢٥٠ ٢٢٦٠

وهب بن عمرو ١٥٧٠

ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣٠ ٣٢٧٠

هرون بن محمد الأملي ١٩٦٠

ابن هرمة ٣٣٠ ١١٩٠ ٢٨٩٠ ٣٥٨٠ ج ٢ : ٦٥٠

أبو هفان ٦٥٠ ٨٠٠

أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -

١٣٠٠ ٢٠٠ ٢٢٠ ٢٣٠ ٢٥٠ ٢٧٠

٢٩٠ ٤٢٠ ٤٣٠ ٤٥٠ ٥٣٠ ٥٥٠ ٥٩٠

٦٠٠ ٦٤٠ ٦٩٠ ٧٥٠ ٧٩٠ ٨٠٠ ٨٤٠

٨٨٠ ٩٠٠ ٩٢٠ ٩٩٠ ١٠٠٠ ١٠٧٠

١٠٩٠ ١١٠٠ ١٢٠٠ ١٢٣٠ ١٢٤٠

١٢٨٠ ١٣٢٠ ١٣٣٠ ١٣٩٠ ١٤٠٠

١٤٢٠ ١٤٥٠ ١٤٨٠ ١٥١٠ ١٦١٠

١٦٧٠ ١٧٨٠ ١٨٠٠ ١٨٤٠ ١٨٦٠

١٨٨٠ ١٩١٠ ١٩٣٠ ١٩٧٠ ٢٠١٠

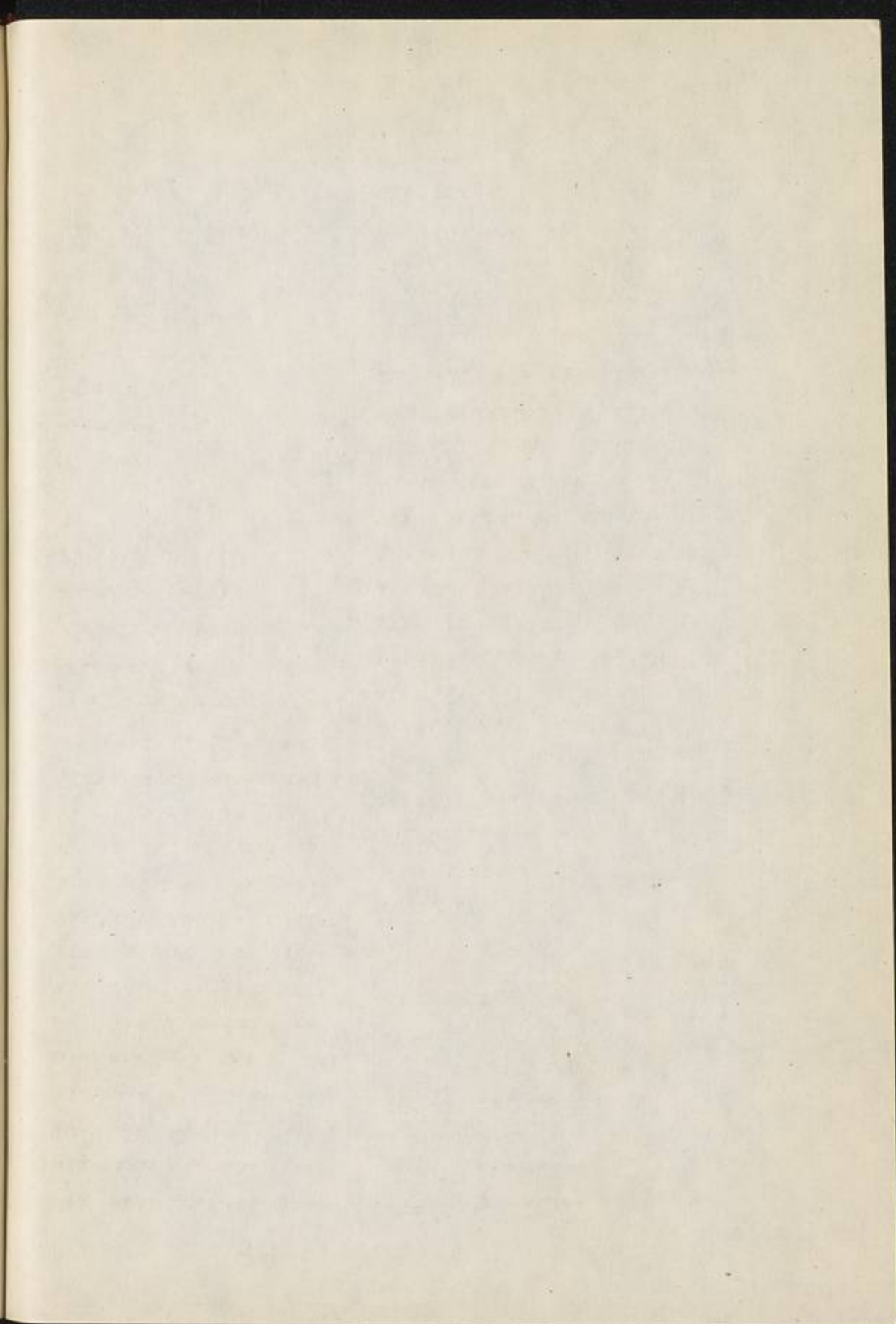
٢٠٣٠ ٢٠٥٠ ٢٠٧٠ ٢٠٨٠ ٢١٠٠

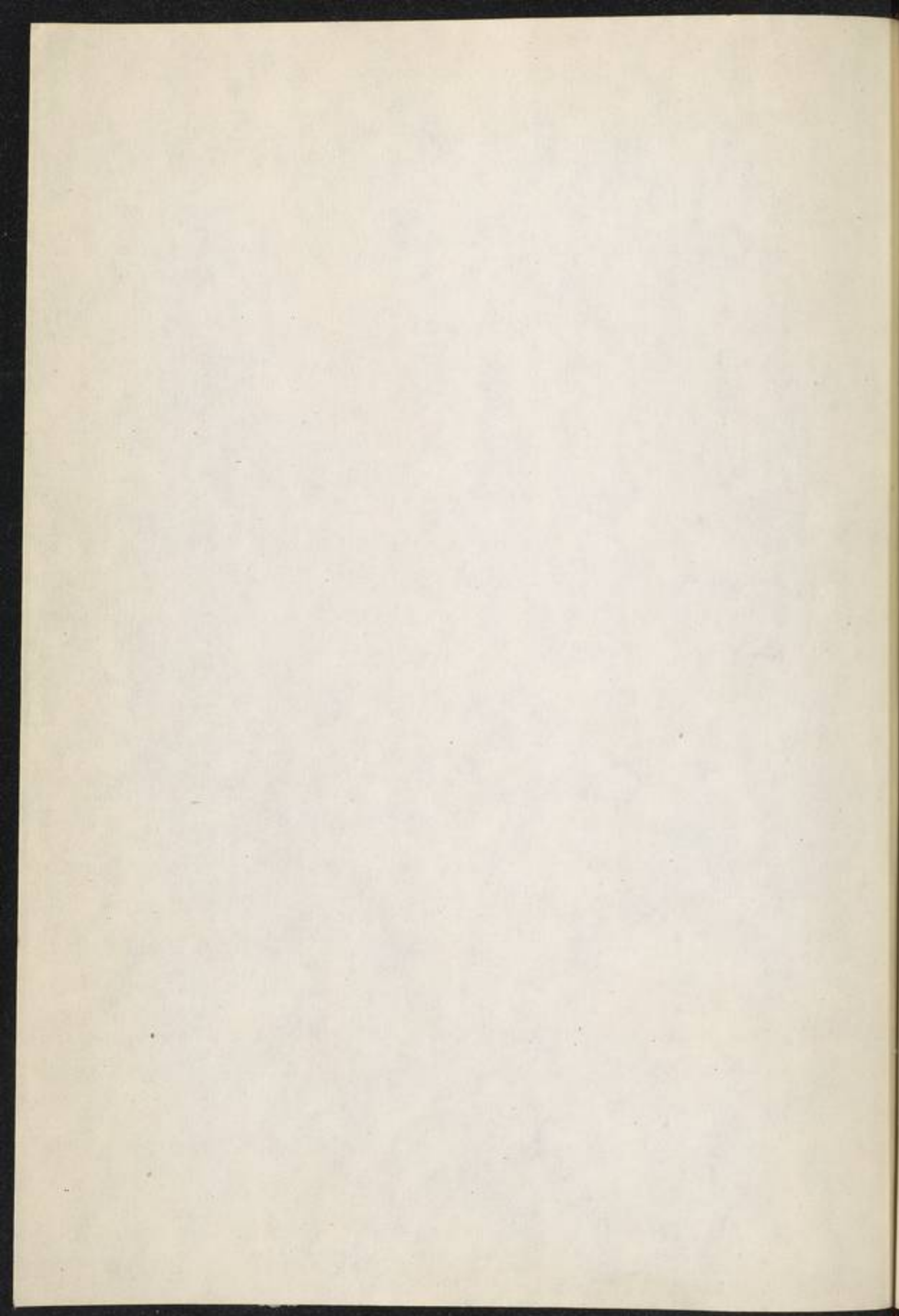
٢١١٠ ٢١٣٠ ٢١٥٠ ٢١٦٠ ٢٢٥٠

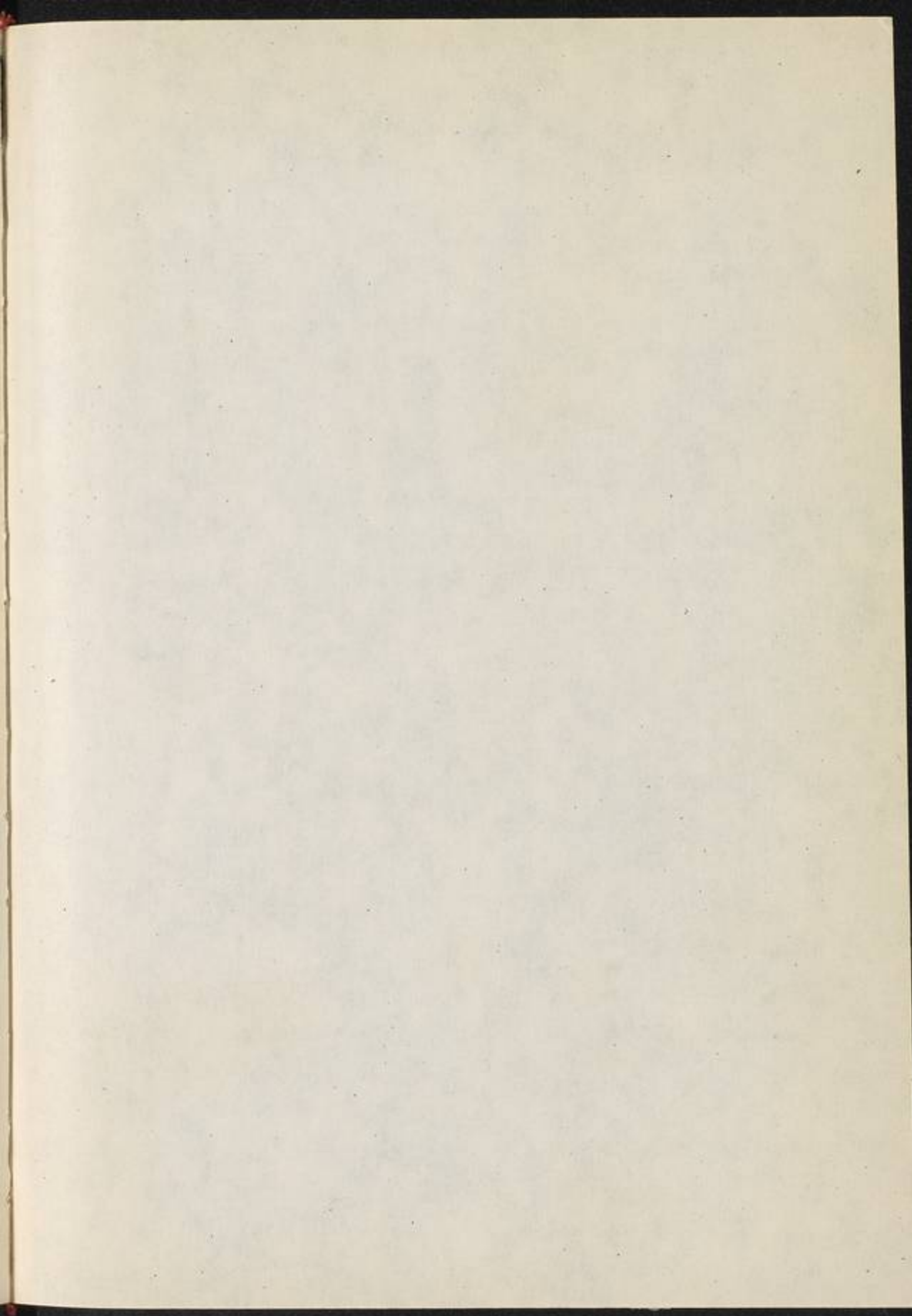
٢٣٢٠ ٢٣٦٠ ٢٣٧٠ ٢٣٩٠ ٢٤١٠

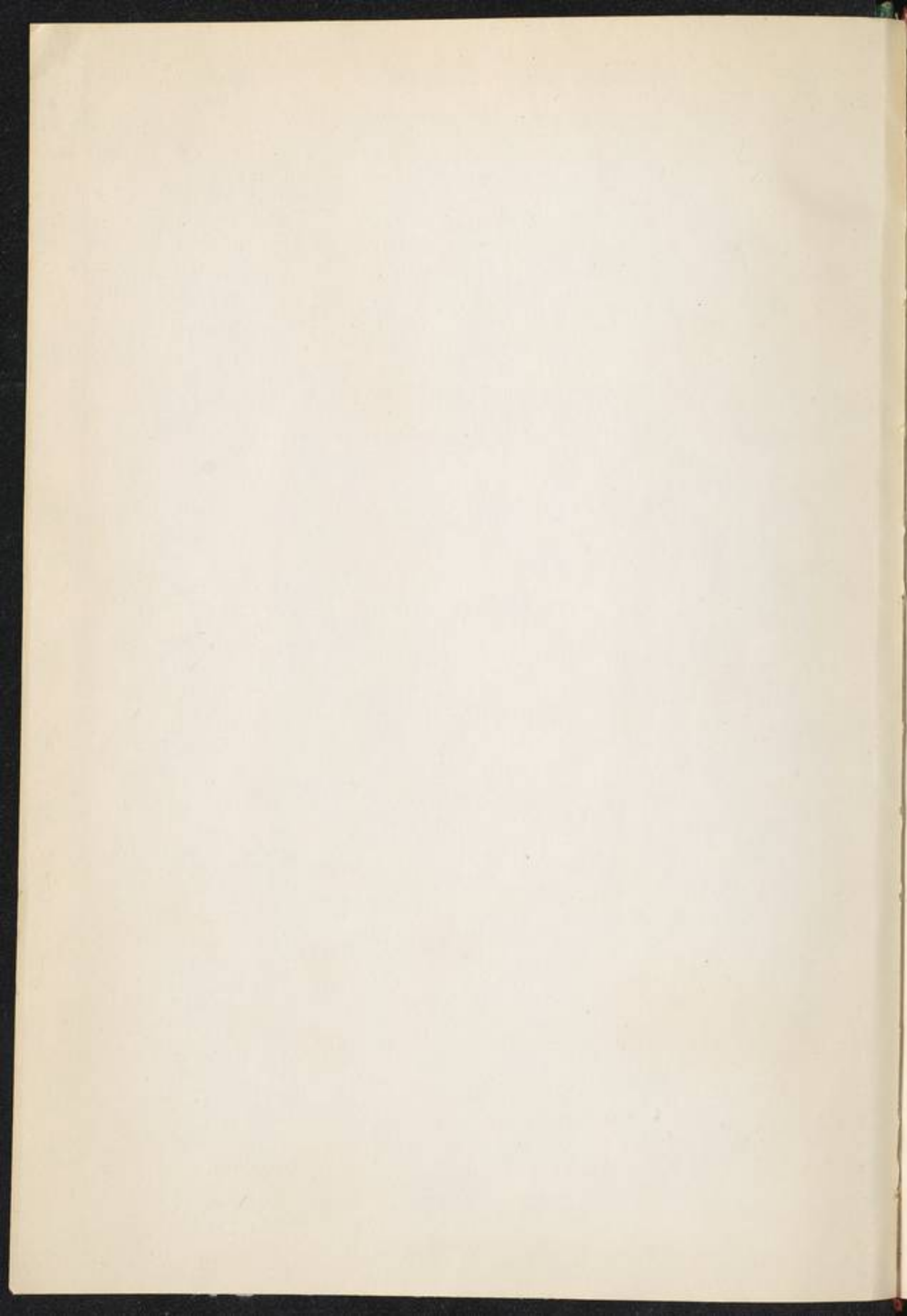
٢٤٣٠ ٢٤٥٠ ٢٤٧٠ ٢٤٩٠ ٢٥١٠

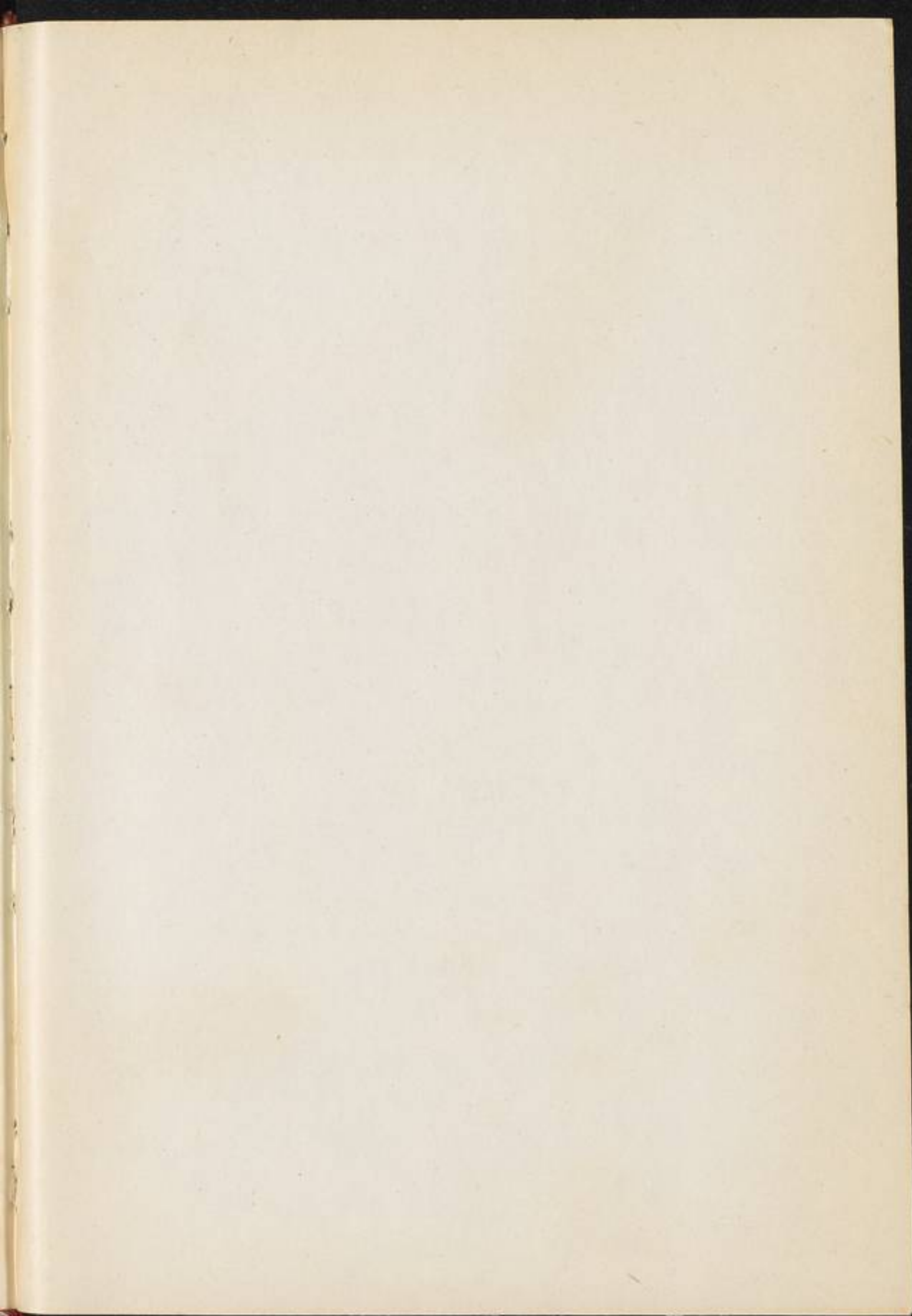
٢٥٣٠ ٢٥٥٠ ٢٥٧٠ ٢٦٠٠ ٢٦٦٠













**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

